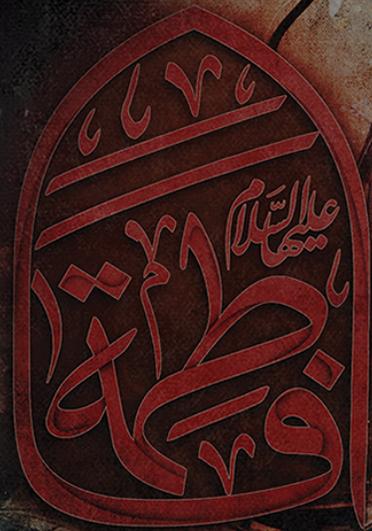


مَقَالَاتٌ وَأَبْحَاثٌ . . فِي السَّيْرَةِ وَالْعَقِيدَةِ

الوَدِيعَةُ الْمُقَهْوَرَةُ

فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ مُصْطَفَى مَصْرِيٍّ الْعَامِلِي



الوَدِيعَةُ الْمُقَهُّورَةُ

فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ

سلسلة العلم والإيمان (٨)

الوديعَةُ المَقهورَةُ فَاطِمَةُ بنتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ

مَقالاتٌ وَأبحاثٌ . . في السَّيرَةِ والعَقيدةِ

السَّيِّخُ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَصْرِيٍّ العَامِلِي

www.aliiman.net

mohammad@masrilb.net

منشورات
الجمعية العامليّة لإحياء التراث

الطبعة الأولى
بيروت، لبنان، ٢٠٢٢ م

للحصول على الكتاب:
من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢
من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنُ الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

يكتنفُ الغموضُ مفاصلَ شتى من حياة عظماء الأرض، ذلك أنَّ العظيمة لا تُلَازِمُهُم عادةً في كلِّ أدوارِ حياتهم، ولا في كلِّ حَلَقَاتِهَا وأحداثِهَا. فتخفى بعضُ خصالِهِم وِصِفَاتِهِم، وتُحجَبُ بعضُ الأحداثِ التي تجري عليهم قبل أن يصيروا في دائرة الضوء، ثمَّ يُخفُّون بعضَهَا بأنفسهم حتى آخر حياتِهِم، كي تُسْتَرَّ نقائصُهُم وِجْهَاتُ الضَّعْفِ فِيهِم.

لكنَّ عظماء السَّمَاءِ والأَرْضِ ليسوا كذلك.. فَإِنَّهُمْ بين أهل الأرض بدورٌ طالعة، وأنوارٌ في سماء المجد ساطعة.. هؤلاء هم المنزهون عن النقائصِ والعيوب.. المبرِّؤون عن المعاصي والذنوب.. الذين زُفُّوا العلم زَقًّا.. كبيرهم والصَّغِير.. إنَّ خَفِيَّتَ عن الأُمَّمِ بعضُ أحوالِهِم.. فلأنَّ أهل البغي قد أنزلوا الظُّلمَ بدارِهِم.. ألا ترى وَضِيعاً يحسدُ شريفاً؟!

وان استترت جُلُ خِصَالَهُمْ.. فلأنَّ الأَمَمَ قد عَجِزَت عن إدراك مكانتهم..
وقَصَّرَت في إدراك عَظَمَتِهِمْ.. فليس للذَّنِيِّ الحَقِيرِ أن يحوي عَظِيماً جَليلاً..

وأعَظَمُ هَؤُلاءِ العُظَمَاءِ.. أَمِينُ اللهُ المَأْمُون.. ورسولُ الرَّحمةِ.. الصادقُ
الأمِين، مُحَمَّدُ بن عبد الله ﷺ..
اختاره اللهُ تعالى.. مِنْ شَجَرَةِ الأنبياءِ، وَمَشْكَاةِ الضَّيَاءِ.. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ،
وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ.. شَجَرَةٌ طَيِّبَةٌ.. أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ..

مِن هَذِهِ الشَّجَرَةِ.. كَانَتِ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ..
هِيَ عُنْصُرُ الشَّجَرَةِ النُّبُوَّةِ وَأَصْلُهَا، فَكَأَنَّهَا شَارَكَتْ أَبَاهَا..
وَفَرْعُ الشَّجَرَةِ وَأَعْلَاهَا، فَكَأَنَّهَا شَارَكَتْ إِمَامَهَا الوَلِيَّ الأعْظَمَ..
وَعُصْنُهَا.. فَكَأَنَّهَا شَارَكَتْ أَبْنَاءَهَا.. حَجَّجَ اللهُ على عبادِهِ، وَخَزَّانَهُ فِي أَرْضِهِ
وسَمَائِهِ..

فَمَنْ هِيَ فَاطِمَةُ؟ حَتَّى بَلَغَتْ كَلَّ ذَلِكَ!؟

فَاطِمَةُ.. هِيَ بَضْعَةُ النَّبِيِّ المِصْطَفَى ﷺ، وَنورُ عَيْنِهِ، وَثَمَرَةُ فِؤَادِهِ،
وَرُوحُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنبَيْهِ!

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَحِيطُ بِبَضْعَةِ حَبِيبِ اللهِ عِلْماً؟ وَمَنْ يَقْدِرُ على النَّظَرِ إلى مَنْ
كَانَتِ (نور عين) الَّذِي كانَ (الله نوراً)؟! وَأَيُّ رُوحِ هَذِهِ الَّتِي حَوَّاهَا بَيْنَ جَنبَيْهِ مَنْ

دنا فتدلی.. فكان قاب قوسین أو أدنی؟!!

هي مريمُ الكبرى.. وقد تاهت العقولُ في مريمِ الأولى.. وعُدَّت مع الله
إلهاً! أو أمّاً للإله! فمن يقدرُ على إدراكِ كُنهِ مريمِ الكبرى؟!!

فاطمة.. هي الطَّاهِرَةُ المَطَّهَّرَةُ.. والمُطَهَّرَةُ لشيعتها بولايتها..
هي التي على مَعْرِفَتِهَا دارَت القرون الأولى!
وهي التي فَرَضَتْ طاعتها على جميع الخلائق!
وقد حازت الألبابُ في فهم ذلك.. وانكسرت الأرقامُ أمامه..

هي فوق ذلك وديعةُ الله تعالى ورسوله ﷺ للأمةِ عامَّةً، ولعليَّ خاصَّةً،
فلطالما استودعَ الرَّسولُ أُمَّتَهُ أهلَ بيته، وأولهم فاطمة عِلياً.
ثمَّ ما لبثَ أن أوصى بها أميرَ المؤمنين عِلياً قبل شهادته قائلاً:
يا أبا الحسن، هذه وديعةُ الله، ووديعةُ رسوله مُحَمَّدٍ عِنْدَكَ، فاحفظِ الله،
واحفظني فيها، وإنَّكَ لفاعِلٌ يا عليُّ.
لقد حفظَ عليُّ الوديعةَ، ومن تبعه من المؤمنين، وقد قال الموصي ﷺ:
فمؤمنو أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة.
فصاروا من شيعتها ومحبيها، الذين تلتقطهم يوم القيامة، كما يلتقط الطيرُ
الحبَّ الجيِّدَ من الحبِّ الرديء.

لكن قريشاً.. وأغلب الأمة، لم يكونوا من هؤلاء..
بل لم يكن شيء أبغض إليهم من ذكر عليّ وفاطمة! ولم يكونوا أكثر حسداً
لأحدٍ منهم لعليّ وفاطمة!
فوثبت قريشٌ على آل محمد ﷺ، وجحدت فضلهم، ومنعتهم حقهم.
لقد ضيعوا الوديعه..
وجحدوا الرسول.. بظلم البتول!
أرادوا قطع نسله من الزكّية المباركة!
وجرحوا كبد خير الورى، في ظلم ابنته، واضطهاد حبيته، واهتضام
عزيرته، وبضعة لحمه، وفلذة كبده.

لقد غصبوا حقها..
ثم دخلوا عليها بيتها.. وهو بيت النبي!
وأدخلوا الذلّ دارها! وهي دار علي!
لقد وقف الشياطين على بابها.. أرادوا إحراقها وأهل بيتها جميعاً!
أحرقوا بابها.. وبابها باب النبي! حتى سفعت النار وجهها!
هتكوا حجابها.. وحجابها حجاب الله!
ضربوها وهي حامل! فأسقطوا جنينها!
دقوا ضلعها! فتَهشم!

مَلَّوْهُمَا: دَاءٌ وَحَسْرَةٌ وَكَمَدًا وَغُصَّةً!
وَقَتَلُوْهَا.. حَتَّى مَاتَتْ.. مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ!

مَنْ أَنْتَ يَا فَاطِمَةَ.. حَتَّى انْهَدَّ رُكْنٌ عَلَيَّ بِفَقْدِكَ؟! وَظَهَرَ مِنْ فَضْلِكَ مَا لَا
يُحَدِّدُ.. رِغْمَ حَسَدِ الْحَاسِدِينَ، وَبَغْيِ الظَّالِمِينَ، وَجَهْلِ الجَاهِلِينَ.
مَاذَا جَرَى عَلَيْكَ.. حَتَّى صَارَتْ مُصِيبَتُكَ مُصِيبَةً: لَا عَزَاءَ لَهَا!
سَلْ بِأَبَاهَا وَجَنِينَهَا.. سَلْ ضِلَعَهَا الْمَكْسُورَ.. وَقَبْرَهَا الْمَسْتُورَ..

لَقَدْ خَرَجَتْ عَلَيْهَا مِنَ الدُّنْيَا سَاخِطَةً عَلَى أُمَّةٍ لَمْ تَرَعْ حَقَّ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فِيهَا..
بِدَلِيلٍ دَفَنِيهَا لَيْلًا فِي حُفْرَتِهَا..

لَقَدْ: خَرَجَتْ مِنْ دُنْيَاهَا مَظْلُومَةً مَغْشُومَةً، مَقْهُورَةً مَغْلُوبَةً.

لَقَدْ صَارَتْ فَاطِمَةُ: وَدِيعةَ اللَّهِ الْمُقْهُورَةَ!

وَسَتَقَدَّمُ عَلَى أَبِيهَا: مَحْزُونَةً، مَكْرُوبَةً، مَغْمُومَةً، مَغْصُوبَةً، مَقْتُولَةً!

أَهْ لِقَلْبِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.. أَهْ لِقَلْبِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ..

كَيْفَ رَأَى عَلِيٌّ مَا رَأَى يَوْمَ الدَّارِ؟! وَلَمْ يَحْصِدْ رُؤُوسَ الْقَوْمِ؟!

مَا أَعْظَمَ تَسْلِيمَكَ يَا عَلِيُّ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَصَبْرَكَ عَلَى بَلَائِهِ!

مَا أَعْظَمَ صَبْرَكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ الْمُنْتَظَرَ.. الْآخِذَ بِالنَّارِ..

في هذا الكتاب ..

خمسَةٌ وأربعون مقالاً وبحثاً حول السيدة الزهراء عليها السلام ..

حول ولادتها .. وفضلها .. وظلامتها .. وقهرها ..

حول موقفها يوم الدار .. وموقف بعليها ..

حول مكانتها يوم القيامة .. وعظيم منزلتها ..

وحول بعض عظيمات التاريخ .. كأُمّها .. وطاهراتٍ من نسلها المبارك

الميمون ..

نصّعها بين يدي القراء الكرام، إحياءً لأمرها عليها السلام .. بقدرنا الضئيل .. لا
بقدرها الجليل .. فذاك شأن لا مطمع لنا ولا للخلائق فيه ..

فإنّها السيّدة العظيمة التي سُمّيت فاطمة: لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها ..

راجينَ نظرةَ منها عليها السلام، ورحمةً من الله تعالى، وقبولاً حسناً.

والحمد لله ربّ العالمين.

مُحمَّد مُصطفى مَصرِي العامليّ

قُمّ المقدّسة

من جوار شفيعة الشيعة، سمية الزهراء عليها السلام، فاطمة المعصومة عليها السلام

الجمعة، الخامس عشر من ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ

الموافق ١١ - ١١ - ٢٠٢٢ م

الفصل الأول: ولادتها وفضائلها

١. مجد الزهراء.. فوق مجد الأنبياء!

في ذكرى ولادتها ﷺ..

بسم الله الرحمن الرحيم

يُمَيِّزُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، كِتَابُ النَّصَارَى، بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ،
فَلِكُلِّ مِنْهَا مَجْدُهُ، حَيْثُ يَقُولُ - وَقَوْلُهُ هَذَا حَقٌّ -:

مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخَرٌ، وَمَجْدُ النُّجُومِ آخَرٌ. لِأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ
نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ^(١).

لكلِّ كوكبٍ من الكواكب مرتبته، بحسب نوره وضوئه وأثره، وكذا عظماء
البشر، حيثُ يتفاوتون في العظمة والمجد والشرف.

ومن عظمائهم السيّد المسيح ﷺ، الذي يعتقد النصارى بألوهيته، ويعتقد
المسلمون أنّه من أعظم رسل الله تعالى، فهو كلمة الله، وروحه، خصّه بباهر
الكرامات، وأظهر على يديه خارق المعجزات.

ولأنّ نجمًا يمتاز عن نجمٍ في المجد.. ولأنّ درجات العظماء متفاوتة، ولأنّ
الله تعالى فضّل بعض خلقه على بعض بحسب كمالهم، ولأنّ السيّد المسيح ﷺ
والسيدة الزهراء ﷺ من كبار عظماء التاريخ..

(١) كورنثوس الأولى ١٥: ٤١.

لكل هذا وسواه، يتساءل المؤمنون عن النسبة بين المسيح كلمة الله، وبين البضعة الطاهرة، أمّ النجوم الزاهرة، فاطمة عليها السلام، قبيل ذكرى ولادتها.

فما هو مجد المسيح؟ وما هو مجد الزهراء عليها السلام؟

يظهر بعض ذلك بالنظر إلى كيفية ولادتهما، وما رافقها من أحداث: فكيف كانت ولادة المسيح عليه السلام؟ وكيف كانت ولادة الزهراء عليها السلام؟

١. كيف وُلِدَ المسيح؟

يتحدّث إنجيل متى عن ولادة السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم أيام هيرودس الملك، وقدم المجوس من المشرق إلى أورشليم، وينقل قولهم في سبب قدومهم: **إِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ، وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ**^(١).

رأى المجوس نجم عيسى إذاً، كان نجماً في السماء لامعاً، كاشفاً عن حدّثٍ عظيم بحسب الإنجيل، هو ولادة المسيح عليه السلام، بل كان هذا النجم دليلاً لهم سائراً أمامهم بحسب إنجيل متى: **وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ**^(٢).

فهو إذاً علامة سهاوية تدلّ الراغبين بمعرفته عليه، وترشدهم إلى ولادته، لذا صحّ نسبة هذا النجم إليه عليه السلام، لظهوره عند ولادته.

لقد فرّح المجوس بالنجم، نجم المسيح، فهو علامة من علامات مجد هذا

(١) متى ٢: ٢.

(٢) متى ٢: ٩.

الطفل: وَأَتُوا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ^(١).
 هذا ما تذكره الأناجيل المعتمدة من قبل الكنائس حول ولادة المسيح عليه السلام،
 لكن الأناجيل التي لم تعتمد في الكنيسة تذكر مزيداً من التفصيل حول ذلك.
 ففي الإنجيل المنسوب لـ (جيمس): ظَهَرَ نُورٌ عَظِيمٌ، إِلَى حَدِّ أَنْ عَيْنِي لَمْ
 تَتِمَكَّنَا مِنْ تَحْمَلِهِ، وَبَعْدَ مُضِيِّ وَقْتٍ قَصِيرٍ انْحَسَرَ النُّورُ، وَمَا إِنْ حَدَثَ ذَلِكَ حَتَّى
 ظَهَرَ الطِّفْلُ^(٢).

وفي إنجيل (يعقوب التمهيدي) أن الضياء كان: ضياءً حاداً بحيث أن العين
 لم تكن تستطيع تأمله، وحين تبدد ذلك النور قليلاً رؤي الطفل^(٣).
 فكان هذا النور غير النجم الذي شوهد في السماء، وقد ظهر عند ولادة
 الطفل، فهما نوران: ظهر أحدهما في السماء للدلالة عليه والإرشاد إليه، وظهر
 الآخر في الأرض محل ولادته، وكان عظيماً حاداً لا تستطيع العين تأمله ولا
 تحمله، ويكشف هذان النوران عن مزيد عظمة لهذا المولود الجديد.
 أما في (إنجيل أرونديل) فكان الأمر مختلفاً، حيث يذكر أن النور هو نور
 الطفل نفسه، فيقول: أَشَعَ الطِّفْلُ نَفْسَهُ وَأَضَاءَ مِثْلَ الشَّمْسِ بِشَكْلِ سَاطِعٍ..
 عندما وُلِدَ أَعْلَنَتْ أَصْوَاتٌ عَدَدٌ كَبِيرٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْمَرْتِيَّةِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: آمِينَ^(٤).
 وهذا النصُّ يذكرُ نوراً ثالثاً عظيماً ظهر من الطفل، ويشير إلى تفاعل

(١) متى ٩: ١١.

(٢) الأناجيل النصوص الكاملة ص ٥٨٩.

(٣) الأناجيل المنحولة ص ٤٥.

(٤) الأناجيل النصوص الكاملة ص ٥٩٣.

المخلوقات المختلفة مع ولادته، في صورةٍ ومنظرٍ مهيبٍ بحسب هذا الإنجيل .
 لم يخلُ (كتاب مورمون) أيضاً من ذكر العجائب عند ولادته، فقد وصف تلك الليلة بقوله: ستظهر أضواءٌ عظيمةٌ في السماء، حتى أنه في الليلة التي تسبقُ مجيئه لن يكون هناك ظلام، فيظنُّ البشر كأنه نهار.. إنَّ الليل لن يكون مُظلماً، وهذه هي الليلة التي تسبق ميلاده.. ستكون علاماتٌ كثيرةٌ وعجائب في السماء^(١).

لقد اتفقت الكتب المسيحية إذاً، بما فيها الكتاب المقدس على أن ولادة عيسى عليه السلام كانت أمراً مُعجزاً في مظهرها، ففضلاً عن ولادته من غير أب، كان نجمه ساطعاً في السماء، مُرشداً ومشيراً إليه، وظهرت أنوارٌ عظيمة ليلة ولادته حتى كأنَّ الليل صار نهاراً، وظهر نورٌ عظيمٌ من الطفل عند ولادته، ولم تتمكن العيون من تأمل هذا النور لشدة سطوعه.

هو مجدٌ عظيم إذاً يعتقد النصارى أن الله تعالى خصَّ به عيسى عليه السلام، فهل من مجدٍ أعظم من هذا؟!!

٢. كيف وُلِدَت الزهراء؟

لقد روي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أن السيدة خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة: فلمَّا حملت بفاطمة، كانت فاطمة عليها السلام تُحدِّثها من بطنها وتُصبرها^(٢).

(١) سفر حيلامان ١٤: ٣-٦.

(٢) الأماي للصديق ص ٥٩٣.

لقد حدّث عيسى عليه السلام الناس في المهد صبياً، فكان ذلك معجزةً باهرةً له،
أمّا الزهراء عليها السلام فقد حدّثت أمّها حتى قبل ولادتها! وهي في بطنها.

ولمّا حانت ساعة ولادتها، أرسل الله تعالى إلى أمّها خديجة عليها السلام أربعةً من
كُملِ نساءِ البشريّة، واحدةً منهن: مريمُ بنتُ عمرانَ، أمّ عيسى عليه السلام!
والأخريات: سارة، وآسية، وكلثوم أخت موسى عليه السلام.

فإذا كان الله تعالى قد خصّ مريم عليها السلام بأن جعل من صلبها عيسى دون أبٍ،
فقد خصّ خديجة عليها السلام بأن جعل مريم عليها السلام وتلك السيدات العظيمات بمنزلة
القبالات لها.

يقول الصادق عليه السلام: فَجَلَسْتُ وَاحِدَةً عَنْ يَمِينِهَا، وَأُخْرَى عَنْ يَسَارِهَا،
وَالثَّلَاثَةَ بَيْنَ يَدَيْهَا، وَالرَّابِعَةَ مِنْ خَلْفِهَا.

أحاطها الله تعالى بكلّ هذه الرعاية إكراماً لها وللمولودة المطهّرة: فَوَضَعْتُ
فَاطِمَةَ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً.

أما عن ساعة الولادة، فيقول الإمام الصادق عليه السلام: فَلَمَّا سَقَطَتْ إِلَى
الْأَرْضِ، أَشْرَقَ مِنْهَا النُّورُ حَتَّى دَخَلَ بِيُوتَاتِ مَكَّةَ.

لقد ذكر الكتاب المقدّس نجماً في السماء قبل ولادة عيسى عليه السلام، وذكرت
سائر الأناجيل نوراً ساطعاً عند ولادته، أمّا الزهراء، فإنّ النور الذي أشرق منها
دخل بيوتات مكة، ثمّ عمّ الأرض قاطبةً من شرقها لغربها!

يقول عليه السلام: وَلَمْ يَبْقَ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَلَا غَرْبِهَا مَوْضِعٌ إِلَّا أَشْرَقَ فِيهِ ذَلِكَ
النُّورُ.

فإذا كانت كلمة النصارى قد اتفقت على ظهور نجمٍ لعيسى عليه السلام،
واختلفوا في النور وحدوده، وهو المبعوث للعالمين، فإن نور الزهراء عليها السلام قد
أشرق على البشرية قاطبة!

لقد ظهر عند ولادتها عليها السلام نورٌ لم يكن مسبقاً على الإطلاق، ليس عند
الإنس والجنّ فحسب، بل عند ملائكة السماء! على عظمتهم وإطلاعهم.
يقول عليه السلام: وَحَدَّثَ فِي السَّمَاءِ نُورٌ زَاهِرٌ لَمْ تَرَهُ الْمَلَائِكَةُ قَبْلَ ذَلِكَ^(١).

لم تر الملائكة هذا النور عند ولادة نوحٍ ولا إبراهيم ولا عيسى ولا موسى
عليهم السلام جميعاً.

إنه نورٌ بضعة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، أول نورٍ خلقه الله تعالى، وأعظم
الأنوار على الإطلاق، وها هو بعض ذلك النور يسطع بما لا مثيل له، إنه نور
البضعة الطاهرة.

ثم نعود للكتاب المقدس حين يقول: لَأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ.
فأي مجدٍ هذا الذي حازته الزهراء حتى امتازت نجمها عن نجم عيسى
عليه السلام؟! أيعقل أن تكون سيّدة النساء أفضل من كلمة الله وروحه؟ وسائر الأنبياء
العظام؟! وإذا فضّلت عليه وعليهم.. فما السرُّ في ذلك؟!
هذا ما نعرضه في البحث القادم إن شاء الله.
والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الأما لي للصدوق ص ٥٩٥.

(٢) في ١٨ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ، الموافق ١ - ٢ - ٢٠٢١ م.

٢. هل فضلت الزهراء.. على كل الأنبياء؟!

في ذكرى ولادتها عليها السلام..

بسم الله الرحمن الرحيم

أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ!

كلمة ينسبها إنجيل يوحنا إلى نبي الله عيسى عليه السلام^(١)، فهو نورٌ من أنوار الهداية السماوية، يُرشدُ الناس إلى الله تعالى خالق الأولين والآخرين.

إنَّ لعيسى (نور العالم) هذا وَجْهٌ مضيء في شبابه، كما كان في طفولته، فيجمع بين نور المادة ونور النفوس والأرواح، ففي إنجيل متى أنه عليه السلام أخذ بعض الحواريين وصعد بهم جبلاً: وَأَضَاءَ وَجْهَهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيضاءَ كَالنُّورِ^(٢).

لكنَّ عيسى يؤكد (بحسب الإنجيل) أَنَّهُ نورُ العالم ما دام في هذه الدنيا، أمَّا بعد خروجه منها فإنَّ هذه الخبيصة تكون عند غيره، يقول: مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ^(٣).

إذاً ليس عيسى عليه السلام على عظمته هو أعظم نورٍ في هذا العالم، ولا أعظم مخلوقٍ فيه، وقد اشترك معه سائر الأنبياء عليهم السلام في كونهم أنوار السماء في الأرض. لكنَّ أعظم الأنوار هو أَوْلَاهَا، نورُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وعليَّ عليه السلام، وقد روي عن

(١) يوحنا ٨: ١٢.

(٢) متى ١٧: ٢.

(٣) يوحنا ٩: ٥.

الصادق عليه السلام قول الله عز وجل:

يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيًّا نُورًا، يَعْنِي رُوحًا بِلَا بَدَنٍ، قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ سَمَاوَاتِي
وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبَحْرِي: لقد تقدّم خلق محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام إذاً على كل
خلق، فلا يدانيهم نور أحد من أنبياء الله، لا نوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا
عيسى عليه السلام، مهما كان لعيسى من نور في الكتاب المقدس، ولغيرهم في غيره.
يقول عليه السلام: ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورِ ابْتِدَائِهَا رُوحًا بِلَا بَدَنٍ، ثُمَّ مَسَحَنَا
بِيَمِينِهِ فَأَفْضَى نُورَهُ فِينَا^(١).

تقدّمت الزهراء وبنوها إذاً على كل الأنبياء كما تقدّم محمد وعلي صلوات
الله عليهما وآلهما. فقد سبقوا كل الخلائق في العوالم السابقة، ومنها عالم الأنوار،
الذي لا ندرك إلا رشحات منه.

إنّ حقيقة هذا التقدّم غير مألوفة لدينا، وليس لها نظير أو مثيل، وقد روي
عن الإمام الجواد عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّدًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ،
فَمَكَّنُوا الْفَ دَهْرًا، ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا، وَأَجْرَى طَاعَتَهُمْ
عَلَيْهَا^(٢).

وقوله عليه السلام: (فَمَكَّنُوا الْفَ دَهْرًا) في غاية العظمة، فالدهر يطلق تارة على
(الأبد الممدود)، وتارة على (الزمان)، وتارة على (ألف سنة).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٤١.

ومهما يكن ذلك القدر الذي لا ندركه، فإنهم تقدّموا على كل المخلوقات بألف دهر، وكانوا شهوداً على خلق مَنْ سواهم، ثم أجرى الله طاعة كل مخلوق عليهم.

فلا عجب إذاً أن يكون عند عيسى عليه السلام حرفان من اسم الله الأعظم ففعل بها ما فعل، وأن يكون عند محمد وآله اثنان وسبعون حرفاً، فأين فضل أولي العزم من النبيين والمرسلين عليهم السلام من فضل محمدٍ وعليٍّ وفاطمة عليها السلام؟

هكذا يكون رضا فاطمة رضا الله، وغضبها غضبه، فلو عصاها عاصٍ كان كمن عصى أباه رسول الله، ومن عصاه صلى الله عليه كان كمن عصى الله تعالى. ولكن..

لماذا فضّلها الإله الحكيم مع أبيها وبعلمها وبنيتها على سائر الخلق؟

لقد رأى آدم في عالم الذرّ تفاضلاً من حيث النور بين الدرّ، فسأل الله تعالى قائلاً: يَا رَبِّ، فَلَوْ كُنْتَ خَلَقْتَهُمْ عَلَى مِثَالِ وَاحِدٍ وَقَدَرٍ وَاحِدٍ وَطَبِيعَةٍ وَاحِدَةٍ..؟ قال الله له: بِعِلْمِي خَالَفْتُ بَيْنَ خَلْقِهِمْ، وَبِمَشِيئَتِي يَمْضِي فِيهِمْ أَمْرِي.. وَبِعِلْمِي النَّافِذِ فِيهِمْ خَالَفْتُ بَيْنَ صُورِهِمْ وَأَجْسَامِهِمْ وَالْوَانِئِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ، فَجَعَلْتُ مِنْهُمْ الشَّقِيَّ وَالسَّعِيدَ وَالْبَصِيرَ وَالْأَعْمَى^(١).

هي قاعدة ترفع كل إشكالٍ في باب العدل الإلهي.

لماذا ميّز الله تعالى بين الأنبياء فضّل بعضهم على بعض؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٩.

وقد قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢).

لماذا قدّم الزهراء مع محمدٍ وعليٍّ عليهما السلام على كلّ الخلائق؟!
لماذا خلّق المؤمنين من طينة طيّبة والكافرين والمنافقين من طينة نّتنة؟
لماذا جعل الشقيّ شقيّاً والسعيد سعيداً؟
لماذا خالف بين الناس في الدنيا من كلّ جهة؟
الجواب في كلمة واحدة، وهي قوله تعالى: (بِعِلْمِي).
قال تعالى: **بِعِلْمِي النَّافِذِ فِيهِمْ خَالَفتُ بَيْنَ صُورِهِمْ.**

الله تعالى العالم بما كان قبل أن يكون، عِلِمَ أَنَّهُ لو لم يَخِصَّ هذه الصفوة بما خَصَّها لكانت أقرب خلقه إليه، وأكثرهم معرفة به وطاعة له وامتنالاً لأمره، فخصَّهم بما خصَّهم لسبق علمه بذلك، وأعطى مَنْ أعطى وحرم من حرم لذلك. وليس لقائل أن يحتجّ على ما لم يعطه الله، لأنّ العطاء عطاؤه، فمن أعطاه الله فقد تفضّل عليه لحكمة، ومن حرمه حرمه ما لا يستحقه.

قالها الإمام الباقر عليه السلام: **فَمَنْ مَنَعَهُ التَّعْمِيرَ^(٣)، فَإِنَّمَا مَنَعَهُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ عَمَّرَهُ فَإِنَّمَا أَعْطَاهُ مَا لَيْسَ لَهُ، فَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ بِمَا أَعْطَاهُ، وَعَادِلٌ فِيهَا مَنَعَ، وَلَا يُسْتَلُّ**

(١) البقرة ٢٥٣.

(٢) الإسراء ٥٥.

(٣) أي العمر الطويل المديد.

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ^(١).

إنَّ كُلَّ مَا عِنْدَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ هُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ.. وَبِعِلْمِهِ النَّافِذِ فِيهِمْ خَصَّهُمْ
بِمَا لَمْ يَخْصَّ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَكَانُوا أَوْلَ أَنْوَارٍ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

فَلَا غَرَوَ أَنْ تَسْتَعْظِمَ الْمَلَائِكَةُ أَمْرَهُمْ.. وَقَدِ قَالُوا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لِأَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَنَا، فَأَنْطَقَهَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَمَجِيدِهِ، ثُمَّ خَلَقَ
الْمَلَائِكَةَ، فَلَمَّا شَاهَدُوا أَرْوَاحَنَا نُورًا وَاحِدًا اسْتَعْظَمَتْ أَمْرَنَا، فَسَبَّحْنَا لِتَعَلُّمِ
الْمَلَائِكَةِ أَنَّا خَلَقْنَا مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا،
وَنَزَّهَتْهُ عَنِ صِفَاتِنَا^(٢).

تستعظم الملائكة أمر محمد وآله، ويرقى من الأنبياء من يرقى بمعرفتهم
والتسليم لهم وقبول أمرهم، ثم يستنكر الجهال تفضيلهم على من عداهم!!
نعم لقد فضلت الزهراء على كل الأنبياء.. وفاق مجدها كل مجد لهم
وشرف..

لا عجب، فقد شاركت محمداً وعلياً في نورهم، وأنوارهم جميعاً من نور الله
عز وجل.

فسلام الله عليها وعليهم.. رزقنا الله ولايتهم، والبراءة من أعدائهم.
والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) التوحيد للصدوق ص ٣٩٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ١ ص ٢٦٣.

(٣) الأربعاء ٢٠ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ الموافق ٣ - ٢ - ٢٠٢١ م.

٣. وهل هلالُ فاطمة؟!!

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا طَلَعَ هِلَالُ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَكَانَ نُورُهَا يَغْلِبُ الْهَلَالَ، يَخْفَى، فَإِذَا غَابَتْ عَنْهُ ظَهَرَ^(١).

روايةٌ عن الإمام الهمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حول فاطمة الزهراء، سيّدة النساء عليها السلام، يُستفادُ منها أمور:

١. أنّ لفاطمة الزهراء عليها السلام نوراً يُرى ويُشاهدُ بالعين فضلاً عن أنوارها المعنويّة.

٢. أنّ نورها عليها السلام أعظم من نور هلال شهر رمضان المبارك، يغلبه فيخفي نورُ الهلال إذا ظهرَ نورُها.

٣. أنّ الهلال يحتجبُ إذا ما ظهرَ نورُها ولا يظهر إلا إذا غابت عنه.

لقد ذكّر الإمام عليه السلام ذلك عندما بيّن أنّها خرّجت في سنّة من السنين لتقرأ دعاء رؤية الهلال، فإذا بالهلال يخفي، ولا يظهر إلا إذا غابت عنه!

وههنا سؤالٌ ونحن في أوّل ليلة من شهر رمضان التي يهّل فيها الهلال

المبارك: كيف يفهم الشيعة هذه الرواية؟!!

(١) فضائل الأشهر الثلاثة ص ٩٩.

أولاً: الهلالُ خلقٌ مطيع!

لا ريبَ في أنّ الهلالَ خَلَقَ من مخلوقاتِ الله، لا يخرجُ عن طاعةِ الله عزَّ وجل وإرادته، فلا يزيد ولا ينقصُ إلا بتدبيرِ الله، ولا يطلُعُ ولا يَأْفُلُ إلا بإرادةِ الله، جعله الله آيةً من آياتِ سلطانه، وعلامةً من علاماتِ ملكه واقتداره، إشعاراً بانقضاءِ شهرٍ وحدوثِ آخر، ثمَّ حَثَّنَا عزَّ وجلَّ على الدعاءِ حيثُ رأيناه، ليكون هلالاً مباركاً علينا، وتُوفِّقَ في شهرنا وكلِّ شهرٍ مباركٍ لصيامه وقيامه.

ولطالما خاطَبَ إمامنا زينُ العابدين عليه السلام الهلالَ إذا ما نظر إليه بقوله:

أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمَطِيعُ.. آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلْمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهْمَ^(١)..
وَأَمْتَهَنَكَ^(٢) بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ، وَالطُّلُوعِ وَالْأَفْوَلِ، وَالْإِنَارَةَ وَالْكُسُوفِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ، وَإِلَى إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ^(٣).

هي قناعةُ المؤمن الذي يرى كلَّ ما في الكون خلقاً مطيعاً لله تعالى، فيؤمن أن الشمس ستطلع يوماً من مغربها! لأنَّ الذي يأتي بالشمس من المشرق سيأتي بها من المغرب، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

وأنَّ الله ليس بعاجزٍ أن يجعل: كُسُوفَ الشَّمْسِ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَخُسُوفَ الْقَمَرِ فِي آخِرِهِ عَلَى خِلَافِ الْعَادَاتِ^(٤).

(١) البُهْم: الظُّلم، جمع ظُلْمَة.

(٢) امتهن: استخدم واستعمل واستخدم.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٣.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٣٦٨.

فإذا كان الهلال لا يصدُر عن نفسه، ولا يتقلَّب من حالٍ إلى حالٍ إلا بأمر رَبِّه.

لم يَكُن عَجَباً أن يكون الله الذي امتهنه بالزيادة والنقصان، والطلوع والأفول، قد امتهنه يوماً بالأفول أمام سيدة النساء فاطمة عليها السلام! وما ذاك إلا في مثل ليلتنا هذه.. في مطلع شهر الله المبارك.

ثانياً: فضلُ شهر الله والعترة!

لقد ثبت أن هناك جهةً تناسبُ وتُشابهُ بين شهر الله (والهلالُ علامته)، وبين العترة الطاهرة.

فكما فضَّل الله شهر رمضان على الشهور، فصار لهلاله ميزية على ما سواه، كذلك فضَّل آل محمدٍ على سائر الخلق، فجعلَ الله تعالى تناسباً بين الفضلين. لقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أول يوم من شهر رمضان في مسجد الكوفة فقال:

إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ شَهْرٌ فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ كَفَضْلِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ^(١).

فكما لا يقاسُ بآل محمدٍ أحد، لا يُقاس بشهر الله غيره من الشهور. وصار بينهم وبين الهلال تشابُه، فكما جعلَ الله الهلالَ أداةً يُنورُ بها الظلم: أَمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلْمَ، وَأَوْصَحَ بِكَ الْبُهْمَ.

(١) فضائل الأشهر الثلاثة ص ١٠٨.

كذلك جعل آل محمدٍ نوراً في الأرض يهدي بهم من يشاء من خلقه.

ثالثاً: بنور فاطمة أضاءت السماوات والأرض!

إنّ لشهر رمضان فضلاً يوم القيامة كما كان له في الدنيا، حيث يقدم سائر الشهور كالقمر بين الكواكب، ففي الحديث عن الرضا عليه السلام:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ زُفَّتِ الشُّهُورُ إِلَى الْحَشْرِ، يُقَدِّمُهَا شَهْرُ رَمَضَانَ، عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ زِينَةٍ حَسَنَةٌ، فَهُوَ بَيْنَ الشُّهُورِ يَوْمَئِذٍ كَالْقَمَرِ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ^(١).

فهذا شهر رمضان الذي يفضّل الكواكب، احتجب هلاله وهو آيته وعلامته أمام فاطمة عليها السلام، فإنّ فضلها عليها السلام كفضل والدها صلى الله عليه وآله وبعلمها عليها السلام وبنيها عليها السلام عميمٌ على كل خلقٍ لله مطيع، ومن ذلك السماوات والأرض، والشمس والقمر.

وأبى فضل لنور القمر أمام فضلها وقد: خُلِقَ نُورُ فَاطِمَةَ عليها السلام قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢).

بل خُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ نُورِهَا عليها السلام! وَخُلِقَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنْ نُورِ ابْنِهَا الْحَسَنِ عليه السلام!

ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله:

ثُمَّ فَتَقَ نُورَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ: فَخُلِقَ مِنْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَالسَّمَاوَاتُ

(١) فضائل الأشهر الثلاثة ص ١١٠.

(٢) معاني الأخبار ص ٣٩٦.

وَالْأَرْضُ مِنْ نُورِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ، وَنُورُ ابْنَتِي فَاطِمَةَ مِنْ نُورِ اللَّهِ، وَابْنَتِي فَاطِمَةُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ثُمَّ فَتَقَ نُورَ وَلَدِي الْحَسَنِ، وَخَلَقَ مِنْهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مِنْ نُورِ وَلَدِي الْحَسَنِ، وَنُورُ الْحَسَنِ مِنْ نُورِ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(١).

فالسماءُ والأرضُ خاضعةٌ لأصحاب الفضلِ محمدٍ وآله، وللزهراءِ خصوصاً، ثم الشمسُ والقمرُ من نورٍ ولَدَها أنارت، فكيف لا يحتجب القمرُ لظهورها ﷺ؟

لقد روي أنه لما خلق الله السماوات والأرض: ابتلى الأرضَ بالظلمات فلم تستطع الملائكة ذلك، فشكت إلى الله عزَّ وجلَّ، فقال عزَّ وجلَّ وعلا لجبرئيل ﷺ:

خذ من نور فاطمة، وضعه في قنديلٍ، وعلِّقه في قرط العرش^(٢).

ففعل جبرئيل ﷺ، فأزهرت السماوات السبع والأرضين السبع فسبَّحت الملائكة وقدَّست^(٣).

هذا نورُ فاطمة، وهذا حالُه منذ تلك العوالم، وإلى أيام هلال شهرنا المبارك، ثم إلى يوم القيامة.

عالمٌ من الأنوار التي لا تُدرِكُ حقيقته، ولا يُسبَرُ غورُه، وهي التي لا يُنال

(١) تأويل الآيات الظاهرة ص ١٤٤.

(٢) هو نوعٌ تشبيهِ، فإنَّ القُرْطَ هو الذي يعلِّقُ في شحمة الأذن.

(٣) نوادر المعجزات ص ١٩٥.

ما عند الله تعالى إلا ببركتها ورضاهها.

نعم.. هل هلالها، وظهر نورها أمام الهلال.. فغاب نوره واحتجب!
 وهل هلالها وبرق نورها في قلوب شيعتها.. فأمنوا بعظمتها، وبأئتم
 مفطومون عن معرفتها، وسألوا الله بحقها أن يوفقهم للمقام معها في دارٍ خلقت
 من نور ولدها الحسين عليه السلام: **ثُمَّ فَتَقَ نُورَ وَلَدِي الْحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَّةَ.**
 اللهم إننا نسألك بحق فاطمة وأبيها، وبعلمها وبنيتها، الذين أبنت فضلهم،
 وشرّفتهم ورفعتهم وعظمتهم في الدنيا والآخرة، أن ترحمنا في هذا الشهر المبارك
 الذي فضّلته على سائر الشهور، وتوفّقنا لقيامه وصيامه، ومعرفة حقك وحق
 أوليائك فيه، فإنّها النعمة التي لا تُدرَك إلا بِمَنِّكَ وتوفيقك، وأن تجعل لنورك
 ووليكَ في أمره فرجاً ومخرجاً.
 والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) ليلة الأربعاء، الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك ١٤٤٢ هـ الموافق ١٣ - ٤ - ٢٠٢١ م.

٤. فاطمة.. وديعة الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ بَيْتِهِ قُبَيْلَ شَهَادَتِهِ لِيُكَلِّمَهُمْ، وَلَكِنْ: غَلَبَتْهُ عَبْرَتُهُ
فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ!

حينها بكت فاطمة بكاءً شديداً.. وقالت له:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَطَعْتَ قَلْبِي! وَأَحْرَقْتَ كَيْدِي لِبُكَائِكَ يَا سَيِّدَ النَّبِيِّينَ!
سَلَامٌ لَكَ عَلَى قَلْبِكَ يَا زَهْرَاءَ.. يَتَقَطَّعُ الْيَوْمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ،
وَيَحْتَرِّقُ كَيْدَكَ عَلَيْهِ..

أَمَا غَدًا.. فَيُجْرَحُ كَبْدُهُ فِي ظُلْمِكَ! (وَجَرَحُوا كَبِدَ خَيْرِ الْوَرَى، فِي ظُلْمِ
ابْنَتِهِ)^(١).

استجمع النبي ﷺ قواه، ووضع يدها ﷺ في يد عليٍّ ع، وقال له كلمةً
عجيبة: يَا أَبَا الْحَسَنِ، هَذِهِ وَدِيعَةُ اللَّهِ، وَوَدِيعَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ عِنْدَكَ، فَاحْفَظِ اللَّهَ،
وَاحْفَظْنِي فِيهَا، وَإِنَّكَ لَفَاعِلٌ يَا عَلِيُّ^(٢).

فماذا تعني هذه الكلمة؟!

لقد صارت (فاطمة) ﷺ بنفسها وديعةً مشتركةً:

أولاً: من الله تعالى لعليٍّ ع.

(١) المزار الكبير (لابن المشهدي) ص ٢٩٧.

(٢) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٦٨.

ثانياً: من النبي ﷺ لعليّ عليه السلام .

وتُعرفُ عَظْمَةُ الوديعة من عَظْمَةِ المودع، فالعَظِيمُ يستودعُ أمراً عظيماً بلا شك، وهو هنا الإله العظيم الغنيُّ الجبَّارُ القادر، ثم معه خيرُ خلقه وأفضلُ بريته ﷺ، فماذا تكون هذه الوديعةُ العظيمة حتى يستودعها معاً خيرَ الأوصياء والأولياء؟!!

ثم إنَّ في الحديث إشارة مهمَّة، فالوَدِيعَةُ هي: ما تَسْتَوْدِعُهُ غيرك ليحفظه^(١). أي أنَّ (الحِفظ) مأخوذٌ في معنى الوديعة، فمن استودعَ شيئاً وجبَ عليه أن يحفظه ويصونه ولا يقصِّر في شؤونه، ويرعاه ويحتاط في أمره.. ورغم ذلك أكَّد النبي ﷺ على وجوب حفظها ﷺ، مع استبطان الحِفظ في معنى الوديعة، وذلك لأهميَّة حفظها ﷺ عنده، فقال لعليّ عليه السلام:

فَاحْفَظِ اللهَ، وَاحْفَظْنِي فِيهَا: فَصَارَ حِفْظُ فَاطِمَةَ حِفْظاً لله تعالى، وللنبي ﷺ، لأنَّها ﷺ وديعتها.

ثمَّ قال له عليه السلام: وَإِنَّكَ لَفَاعِلٌ يَا عَلِيُّ.

وليس يُنتَظَرُ من أمير المؤمنين عليه السلام شيءٌ سوى حفظ الوديعة..

ولكن.. كيف حُفِظَت الوديعةُ وقد جرى عليها ما جرى؟! ومن ذا الذي ضيَّعَ وديعة الله ورسوله ما دام عليٌّ لها حافظاً؟!!

(١) العين ج ٢ ص ٢٢٤.

أولاً: آل محمد وديعة الله عند العباد

لقد أودَعَ اللهُ تعالى ورسوله فاطمة عليها السلام عند علي عليه السلام، وكانت هذه وديعة خاصة، من بعدِ الوديعَةِ العامَّة، فإنَّ آلَ محمد عليهم السلام جميعاً هم وديعةُ الله تعالى ورسوله عند الأمة، بل عند عباد الله جميعاً.

وكلُّ عبادِ الله مأمورون بحفظ وديعة الله تعالى، ورعايتها، وصيانتها، والقيام بشؤونها، واجتناب التفريط فيها.

وقد روي عن الباقر عليه السلام في آل محمد، شجرة النبوة وبيت الرحمة: نَحْنُ وَدِيعَةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ^(١).

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام: هُمَا وَدِيعَتِي فِي أُمَّتِي^(٢). فصار آل محمد وديعة الله ورسوله عند العباد، والزَّهراء عليهن السلام منهم، فوجب على الأمة كلها بل على العباد جميعاً أن يحفظوا هذه الوديعَة، وإن كان علي عليه السلام أولى بحفظها.

ثانياً: آل محمد وصية الرسول

لم يكتفِ النبي صلى الله عليه وآله بأن استودَعَ أهل بيته عبادَ الله، فأوصى بهم بعد (الوديعَة)، فاجتمعت (الوديعَة) و(الوصية) بهم.

قال صلى الله عليه وآله: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِي.. عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج ٢ ص ٣٨٧.

وَفَاطِمَةٌ عَلِيًّا^(١).

لَمْ يُشْهِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَصِيَّتِهِ هَذِهِ ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾^(٢)، بَلْ أَشْهَدَ كُلَّ مَنْ سَمِعَ مَقَالَهُ وَوَعَى كَلَامَهُ وَرَأَاهُ وَأَخَذَ عَنْهُ، وَكَرَّرَ الْوَصِيَّةَ بِحِفْظِ أَهْلِ بَيْتِهِ مَرَارًا فِي كُلِّ حِينٍ وَظَرْفٍ.. وَأَمَرَ الشَّاهِدَ أَنْ يُبْلِغَ الْغَائِبَ. لَكِنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ، وَلَا فِي فَاطِمَةَ، حَتَّى قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ شَهَادَتِهَا:

إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَزَلْ مَظْلُومَةً، مِنْ حَقِّهَا مَمْنُوعَةٌ، وَعَنْ مِيرَاثِهَا مَدْفُوعَةٌ، لَمْ تُحْفَظْ فِيهَا وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا رُعِيَ فِيهَا حَقُّهُ، وَلَا حَقُّ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَكَفَى بِاللَّهِ حَاكِمًا، وَمِنَ الظَّالِمِينَ مُنْتَقِمًا^(٣).

ثالثاً: الأمة الخائنة

لقد انقسمت الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فرقتين:

الفرقة الأولى: فرقة الحق

وإمامها عليُّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، الحافظ لوديعه الله فاطمة عَلَيْهِ السَّلَامُ بنص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنَّكَ لَفَاعِلٌ يَا عَلِيُّ.

(١) الكافي ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) المائدة ١٠٦، والمراد الإشارة إلى الأمر بالوصية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

(٣) الأماي للطوسي ص ١٥٦.

ثم أفرادها المؤمنون المحبّون لآل محمد عليهم السلام، الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وآله:
 فَاسْتَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُبِّي وَحُبَّ أَهْلِ بَيْتِي وَشَيَعَتِهِمْ فِي قُلُوبِ مُؤْمِنِي أُمَّتِي،
 فَمُؤْمِنُو أُمَّتِي يَحْفَظُونَ وَدِيْعَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

كشَفَ هذا الحديثُ عن أَنَّ حَبَّ آلِ الرِّسُولِ وديعةٌ باقيةٌ حتى بعد وفاتهم،
 فَإِنَّ العِبَادَ ينقسمون اليوم أيضاً إلى فرقةٍ تُحِبُّهم قولاً وفعلاً فتحفظ الوديعة،
 وأخرى تُخالِفهم قولاً أو فعلاً فتُضَيِّع الوديعة.

وبعد ما بذل عليُّ الأَمِينُ عليه السلام ومَن معه غاية الوسع، لم يكن مؤاخذاً بما
 فعلته الفرقة الثانية، وقد ورد في الحديث عن الرجل المؤمن: لَيْسَ عَلَيْهِ غُرْمٌ بَعْدَ
 أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ أَمِيناً^(٢).

الفرقة الثانية: الفرقة الخائنة

هي التي اشتركت في ظلم الزهراء، وغصب حقها، ودفعها عن إرثها،
 وضربها وقهرها حتى ماتت مقتولةً مظلومةً شهيدةً!
 ولقد أشار الشيخ عماد الدين الطبري رحمه الله إلى معنى عجيب قارن فيه
 بين بني إسرائيل وبين هذه الأمة المنحوسة.. فقال:

ولقد اختصم اليهودُ أيهم يكفل ابنة عمران إمامهم، واختصمت أمة محمد
صلى الله عليه وآله على قتل ابنة امامهم، فكانوا هناك ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾^(٣)،

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٦.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٢٣٩.

(٣) آل عمران ٤٤.

وكانوا هنا يلقون: (أَيُّهُمْ يَقْتُلُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)!^(١).
 هناك أُمَّةٌ قَتَلَتْ الْأَنْبِيَاءَ، رَغْمَ ذَلِكَ كَانَ أَبْنَاؤُهَا يَتَسَابِقُونَ عَلَى رِعَايَةِ وَكِفَالَةِ
 مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَنَا أُمَّةٌ تَتَسَابِقُ عَلَى قَتْلِ ابْنَةِ نَبِيِّهَا، وَدِيْعَتَهُ وَوَدِيْعَةَ رَبِّهِ عِنْدَهَا!
 وَقَدْ اشْتَرَكُوا فِي قَتْلِهَا فِعْلًا، بَيْنَ أَمْرٍ وَمُهَاجِمٍ وَشَاهِدٍ وَسَاكِتٍ رَاضٍ، حَتَّى
 خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا سَاخِطَةً عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَائِنَةِ.

قال الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى الطَّاهِرَةِ البُتُولِ، الزَّهْرَاءِ ابْنَةِ
 الرَّسُولِ.. الْقَادِمَةِ عَلَيْكَ مُتَأَلِّمَةً مِنْ مُصَابِهَا بِأَبِيهَا، مُتَظَلِّمَةً مِمَّا حَلَّ بِهَا مِنْ غَاصِبِيهَا،
 سَاخِطَةً عَلَى أُمَّةٍ لَمْ تَرَ عَ حَقَّكَ فِي نُصْرَتِهَا، بِدَلِيلِ دَفْنِهَا لَيْلًا فِي حُفْرَتِهَا^(٢).
 فَمَا حَالُ أُمَّةِ الْخِذْلَانِ هَذِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَرَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى، فَضِيْعَتِ وَدِيْعَتِهِ، وَلَمْ
 تَحْفَظْ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ فِيهَا، فَغَضِبْتَهَا حَقَّهَا، بَلْ جَرَّعْتَهَا مِنَ الْغِصَصِ مَا لَا يَكَادُ
 يُدْرِكُ، حَتَّى وَصَفَهَا الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهَا: الْمُغْصَصَةُ بِرِيقِهَا!

رابعاً: آثار الخيانة

لقد أكَّدت الشريعة على أهمية الأمانة، ولزوم أدائها، ولم تجعل لأحدٍ عُذراً
 في تركها، حتى لو كان المؤمنُ فاجراً!
 بَلْ عَدَّتْ مِيزَانَ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ آدَاءَ الْأَمَانَاتِ، حَتَّى وَرَدَ فِي
 الْحَدِيثِ: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا بَلَغَ مَا بَلَغَ بِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ،

(١) تحفة الأبرار ص ١٧١.

(٢) مصباح الزائر ص ٤٧٨.

وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ^(١).

وقد ورد النهي عن الاغترار بعبادة العابد وصلاته في الليل وصومه في النهار مع تضييعه للأمانة، وأن الخائن لا ينفعه مع خيانه عمَل! وأنه يموت على غير ملة النبي: وَيَلْقَى اللهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَان^(٢).
وَأَنَّهُ تَكْفَأُ بِهِ الصِّرَاطُ فِي النَّارِ!^(٣).

وَأَنَّ مِنْ خَانَ أَمَانَتِهِ: يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيُهَوَى بِهِ فِي شَفِيرِ جَهَنَّمَ أَبَدَ الْأَبْدِينَ^(٤).

لقد اقترن العقاب في الآخرة مع التقصير في أداء الأمانة، والتفريط بها، وتضييعها، فما حال الأمة التي انقسمت بين مقصّر ومُضَيِّعٍ وقاتل لأمانة الله ورسوله؟!؟

ولئن كان يُكفَأُ بِمَنْ ضَيَّعَ أَمَانَةَ النَّاسِ فِي النَّارِ، فكيف بِمَنْ ضَيَّعَ أَمَانَةَ اللهِ!
نعم.. قَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةَ.. وَعَادَتِ الزَّهْرَاءُ إِلَى رَبِّهَا.. لَكِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَزَالُ مَكْلَفَةً بَوْلَايَتِهَا وَالْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِهَا، وَحِفْظِ أَمْرِهَا وَعَدَمِ التَّفْرِيطِ بِهِ، وَهِيَ الَّتِي ظَلَّتْ ظِلَامَتَهَا حَيَّةً وَسَتَبَقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَزَالُ الْيَوْمَ مَنْقَسِمَةً إِلَى فِرْقَتَيْنِ:

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ١٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٥٢، فَيُكْبُّ فِي النَّارِ وَيُقَلَّبُ فِيهَا.

(٤) ثواب الأعمال ص ٢٨٥.

١. فرقة ترعى حق الزهراء عليها السلام: فَمُؤْمِنُو أُمَّتِي يَحْفَظُونَ وَدِيْعَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

٢. وفرقة توالي أعداءها وقاتليها وظالميها، فيُهوَى بها في شفير جهنم. ولم ينقض تكليف الأمة بعد، فال محمد هم الباب المبتلى والممتحن به الناس، قديماً وحديثاً.. ولا يزال الأمر كذلك.

وفاطمة: وديعة الله تعالى ورسوله، فَمَنْ حَفِظَ الْوَدِيْعَةَ بِمَعْرِفَتِهَا وَحُبِّهَا وولايته والبراءة من أعدائها وطاعتها وتعظيم شأنها وإحياء أمرها كان من الأبرار.

وَمَنْ ضَيَّعَهَا بِجَهْلِ قَدْرِهَا وَمَوَالَاةِ أَعْدَائِهَا وَظُلْمِ أَوْلِيَائِهَا وَتَجَاهُلِ أَمْرِهَا وَحَقِّهَا كَانَ حَرِيًّا بِهِ أَنْ يَعَدَّ جَوَابًا لِمُصَاحِبِ الْوَدِيْعَةِ وَالْأَمَانَةِ، إِلَهَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُنْتَقِمِ، الَّذِي سِيَأْخُذُ: لَهَا الْحَقَّ مِنْ ظَالِمِيهَا.

فليختر عاقل لآخرته، بعدما قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٦.

(٢) الإنسان ٣.

(٣) الثلاثاء ٦ رجب ١٤٤٣ هـ الموافق ٨ - ٢ - ٢٠٢٢ م.

٥. ولاية الزهراء.. بشارة السماء

بسم الله الرحمن الرحيم

يروى الشيخ الطوسي رحمه الله عن الإمام الباقر عليه السلام أنه أوصى بأن تُزار جدته الزهراء عليها السلام بهذا اللفظ: وَزَعَمْنَا أَنَا لَكَ أَوْلِيَاءُ وَمُصَدِّقُونَ وَصَابِرُونَ لِكُلِّ مَا أَتَانَا بِهِ أَبُوكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَانَا بِهِ وَصِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إنَّ السيدة الممتحنة الصابرة هي المخاطبة في الزيارة الشريفة.

والزائر في هذه الفقرة يزعم أنه يتصف بصفات ثلاثة:

الصفة الأولى: أنه وليُّ لفاطمة!

أي أن الموالاة في دين الزائر لا تكون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فقط، بل ينبغي لتكتمل ولاية النبي والإمام أن تنضم إليها ولاية الزهراء، فهي سيدة الزائر المؤمن ومولاته، وهي التي نخاطبها في زيارة أخرى بقولنا: يَا سَيِّدَتْنَا وَمَوْلَاتِنَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا بِكَ إِلَى اللَّهِ ^(١).

فموالاة المؤمن للزهراء مقرونة بمولاته لأبيها وبعلمها وبنيتها المعصومين عليهم السلام، وهكذا تكون الولاية والتبعية لأربعة عشر نوراً من أنوار الله تعالى.

الصفة الثانية: أنه مصدق للنبي والإمام

فالمؤمن يعتقد أن كل ما أتى به النبي والإمام هو أمر الله تعالى، والمؤمن ليس ممن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كان يسأله رؤوس الضلال له فيقولون له: هذا منك أم

(١) البلد الأمين ص ٣٢٥.

من عند الله؟!!

وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، أَمَّا مَنْ كَانَ مُصَدِّقًا بِكُلِّ مَا آتَى بِهِ
النَّبِيُّ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا.

الصفة الثالثة: أنه صابرٌ على ما جاء به النبي والإمام

فلا يُكتفى بهذا التصديق دون التزامٍ به وصبرٍ عليه، فإبليس اللعين نفسه
مُصَدِّقٌ بفضلهم مخالفٌ لهم، وكذا كثيرٌ من العباد، يوقنون بصحة ما يعتقده
المؤمنون، لكنهم ينكرونه ويجحدونه، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنفُسُهُمْ﴾^(١).

ثم إنَّ مَنْ اتَّصَفَ بِهذه الصفات الثلاثة، وكان ولياً لفاطمة ؑ، ومصدقاً
للنبي والإمام، وصابراً على ما جاء به، كان له أن يكمل الخطاب مع الزهراء ؑ
فيقول كما علّمه الباقر ؑ:

فَأَنَا نَسَأَلُكَ إِنْ كُنَّا صَدَقْنَاكَ إِلَّا الْحَقَّتِنَا بِتَصَدِيقِنَا لَهَا بِالْبُشْرَى، لِنُبَشِّرَ أَنفُسَنَا
بِأَنَّا قَدْ طَهَّرْنَا بِوَلَايَتِكَ^(٢).

وفي هذه الفقرة من الدعاء معنيان عظيمان:

المعنى الأول: أن تصديق فاطمة تصديق الرسول والإمام

لقد اقترن التصديق بالزهراء ؑ بالتصديق برسول الله ﷺ والإمام

(١) النمل ١٤.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠.

عَلَيْهِ، وكلاهما معصومٌ، فكانت الزَّهراءُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ شريكهم في العصمة، وصار تصديقها سبباً في أن تُلْحِقَنَا الزَّهراءُ بالبُشرى!

أي أن التَّصديق لهما يحتاجُ إلى إِمضاءٍ من الزَّهراءِ عَلَيْهِ، فدونها لا يُبَشِّرُ المؤمنُ بهما، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ آمَنَ بهما وصدَّقَهما واتَّبَعَهُما ولم يتَّبِعْ فاطمةَ عَلَيْهِ كان في دعواه كاذباً!

ثمَّ يَشِيرُ الدُّعاءُ إلى أن صاحبةَ البُشرى للمؤمن هي الزَّهراءُ عَلَيْهِ، فهي التي تُلْحِقُ المؤمنَ بأسياده الأَطهار، ودون ولايتها والتصديق بها لا تكتملُ ولاية النبي والإمام، فما أعظمها من منزلة، وأشرفه من مقام.

على أن هذه الولاية لا تكتمل بغير البراءة ممن تَبَرَّأت منه الزهراءُ عَلَيْهِ: أَشْهَدُ اللهُ وَرُسُلَهُ وَمَلَائِكَتَهُ أَنِّي رَاضٍ عَمَّنْ رَضِيَتْ عَنْهُ، وَسَاخِطٌ عَلَى مَنْ سَخِطَ عَلَيْهِ، وَمُتَبَرِّئٌ مِمَّنْ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ، مُوَالٍ لِمَنْ وَالَيْتِ، مُعَادٍ لِمَنْ عَادَيْتِ، مُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضْتِ، مُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّتِ^(١).

المعنى الثاني: أن ولاية فاطمة سبيل الطهارة!

إنَّ ثمرةَ البشارة من الزهراءِ عَلَيْهِ لمحبيها هو أن: نُبَشِّرُ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهَّرْنَا بِوَلَايَتِكَ!

وهنا معنى في غاية العظمة، فالأشياء تنقسم إلى ما يكون طاهراً وما لا يكون كذلك، والطاهرُ قد يكون مُطَهَّراً وقد لا يكون كذلك.

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١١.

والزَّهراء عليهن السلام بنفسها من أهل بيتٍ أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأورثهم علم الكتاب الذي لا يمسه إلا المطهرون.
ثم جعل ولايتهم باباً لطهارة عباده! فصاروا مطهرين بأنفسهم، مطهرين لغيرهم.

كيف ذلك؟

لقد جعل الله تعالى الماء طهوراً فقال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ﴾^(٢).
فثبت أن الماء يُطهِّرُ النجاسات بظاهر القرآن، ودلَّ الخبر على أنهم عليهم السلام يُطهِّرون قلوب المؤمنين في الباطن، كما عن الصادق عليه السلام في الآية الشريفة: ﴿مَاءٌ لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ﴾ قال: فذلك عليٌّ يُطهِّرُ الله به قلب من والاه^(٣).
فليتأمل عاقلٌ في هذين اللفظين (عليٌّ يُطهِّرُ الله به قلب من والاه) و(طهَّرتنا بولايتك)، ليرى أن علياً وفاطمة صنوان، لا يطهِّرُ عبادُ الله إلا بمعرفتهما وولايتهما، بعد معرفة الرسول والتصديق به والصبر على ما جاء به.

هكذا يصيرُ شيعتهم من أهل الطهارة، وأعداؤهم أهل الخباثة والقذارة!
ثم لا يستوحش المؤمنون لقلبتهم بعد ذلك، فإنهم يؤمنون بقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي

(١) الفرقان ٤٨.

(٢) الأنفال ١١.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٠.

الالبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

ويعلمون ما لهم ومصيرهم حيثُ يحشرهم الله تعالى في مقعد صدقٍ عند
ملكٍ مقتدر، ويجمع أعداء آل محمد وأولياءهم والراضين بأفعالهم معاً يوم
القيامة!

قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ
فَيَرْكُمُهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢).

هكذا صارت ولاية الزهراء.. بشارة السماء..

هكذا صارت سبيل النجاح والفلاح، والحشر مع الأطهار.

تَبَّتْنَا اللَّهُ عَلَى وَايَتِهَا، وَعَرَّفْنَا شَأْنَهَا وَعَظَمَتَهَا، وَحَشَرْنَا مَعَهَا بِحَقِّهَا ﷺ.

والحمد لله رب العالمين (٣).

(١) المائدة ١٠٠.

(٢) الأنفال ٣٦-٣٧.

(٣) الأربعاء ٧ رجب ١٤٤٣ هـ الموافق ٩ - ٢ - ٢٠٢٢ م.

٦. فاطمة.. وشجرة النبوة!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد ضربَ اللهُ تعالى في كتابه ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١).

إنَّها شجرة النبوة.. التي كان أصلها وجذرها رسول الله محمد ﷺ.

وفرعها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، ويظهر أن المراد من الفرع هنا: (أعلى كل شيء) كما في كتاب العين^(٢)، وفي كتب اللغة: الفاء والراء والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على علوِّ وارتفاعٍ وسموِّ وسُبوغٍ. من ذلك الفرعُ، وهو أعلى الشيء^(٣).

وقد وصفته بعض النصوص بأنه (ذُرْوَهَا)^(٤)، أي أعلاها، فكان عليُّ ؑ أعلى شجرة النبوة، لقد كان في سماء الدين نجماً لا يُضاهى، في محلِّ ينحدرُ عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

وأما فاطمة ؑ، فقد تنوّعت النصوص في وصف نسبتها لهذه الشجرة، ومن ذلك أوصافٌ ثلاثة:

(١) إبراهيم ٢٤.

(٢) كتاب العين ج ٢ ص ١٢٦.

(٣) معجم مقائيس اللغة ج ٤ ص ٤٩١.

(٤) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج ١ ص ٦٠.

١. عُنْصُرُ الشَّجَرَةِ فَاطِمَةٌ^(١): وَعُنْصُرُ الشَّيْءِ هُوَ أَصْلُهُ، فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ كَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كَوْنِهِ أَصْلَ الشَّجَرَةِ.

٢. وَفَاطِمَةٌ فَرَعُهَا^(٢): فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ كَعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عِلَاقِهِ وَسَمُوهُ وَارْتِفَاعِهِ.

٣. وَغُصْنُ الشَّجَرَةِ فَاطِمَةٌ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٣)، وَفِي خَبَرٍ آخَرَ: وَأَغْصَانُهَا فَاطِمَةٌ بِنْتُ النَّبِيِّ [مُحَمَّدٍ]^(٤).

فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ كَالْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَشَعُّبِهِمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، حَيْثُ وَرَدَ فِيهِمْ: أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ وَثَمَرُهَا الْأُمَّةُ، وَوَرَدَ: وَالْأُمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهَا أَغْصَانُهَا، وَعِلْمُ الْأُمَّةِ ثَمَرُهَا^(٥).

فَكَانَ أَعْجَبَ مَا يَكُونُ أَنَّ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَسَبَةً مَعَ أَصْلِ الشَّجَرَةِ ثُمَّ مَعَ فَرَعِهَا ثُمَّ مَعَ أَغْصَانِهَا.. فَهِيَ أَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا..

مَعَ ذَلِكَ، انْطَبَقَ عَلَيْهَا أَتَمُّ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ وَالْغُصْنِ!

فَمَنْ هِيَ فَاطِمَةٌ؟! وَمَا مَنْزِلَتُهَا وَمَكَانَتُهَا؟

إِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا بَعْدَ أَصْلِ الشَّجَرَةِ وَفَرَعِهَا وَأَغْصَانِهَا هُمُ أَوْرَاقُ الشَّجَرَةِ، وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ إِلَّا شَيْعَتُهَا الْمُؤْمِنُونَ بِهَا، الْعَارِفُونَ بِحَقِّهَا، الْمَدْرُكُونَ أَتَمَّ

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج ١ ص ٥٩.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج ١ ص ٦٠.

(٣) معاني الأخبار ص ٤٠٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي ص ٣٩٥.

(٥) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج ١ ص ٥٩.

فوق مستوى الإدراك والإحاطة، المقرّون بأنهم وسواهم فُطِمُوا عن معرفتها^(١)!
 ففي الروايات: وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ الشَّيْعَةُ، وفيها: وَشَيْعَتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَرَقُهَا^(٢).
 لقد علّم هؤلاء أنّ فاطمة من أصل هذه الشجرة، من رسول الله ﷺ،
 لذا قالوا في زيارتها: اللَّهُمَّ.. صَلِّ عَلَى الْبُتُولِ الطَّاهِرَةِ الصِّدِّيقَةِ الْمَعْصُومَةِ.. فَاطِمَةَ
 بِنْتِ رَسُولِكَ وَبَضْعَةَ لَحْمِهِ، وَصَمِيمِ قَلْبِهِ، وَفِلْدَةِ كَبِدِهِ، وَالتُّخْبَةِ مِنْكَ لَهُ، وَالتُّحْفَةِ
 خَصَّصْتَ بِهَا وَصِيِّهِ^(٣).

هي ليست روحه التي بين جنبيه فقط، هي بضعة لحمه وفلذة كبده، أي
 قطعة منها!

وهي صميم قلبه، أي أصله أو قوامه! فهل لهذا صارت أمّ أبيها؟ وصارت
 أصلاً لتلك الشجرة كأبيها؟! أم لشيء آخر؟! ذاك ما يعلمه الله تعالى.

وهي فوق ذلك خيرة الله لمحمد ﷺ وتحفته لعليّ عليه السلام!

فمن هي هذه المرأة العظيمة التي بلغت من المجد علاه؟! وشاركت أعظم
 رجال الكون في صفاتهم؟!!

إنّها امرأة لم يكلفها الله تعالى الخروج كما كلف الرجال، ولا أوجب عليها
 ما أوجب على أنبيائه ورسله من تبليغ الرسالات والجهربها ومقارعة الظالمين

(١) فقد ورد في الحديث أنّها سُمِّيَتْ فاطمة: لِأَنَّ الْخَلْقَ فُطِمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا (تفسير فرات الكوفي ص ٥٨١).

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج ١ ص ٥٩.

(٣) إقبال الأعمال ج ٢ ص ٦٢٥.

حيث يؤمرون.

بل جعلها مثلاً أعلى للستر والحياء والعفة والرقّة والعطف والمحبة، لكنّها مع ذلك بلغت ما لم يبلغه أحدٌ من الرجال، إلا والدها وبعلمها وبنيتها الأطهار عليهم السلام.

لقد روي عن حفيدها الصادق عليه السلام أنّه قال فيها: هِيَ الصّديقةُ الكُبرى، وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولَى^(١).

فما القرون الأولى؟ أوّل الخلق؟ أم الأمم السابقة؟!

وهل المراد معرفة القرون الأولى بها؟ حيث أوجب الله تعالى على المخلوقات والأمم السابقة معرفتها وأبيها وبعلمها وبنيتها. وكما صارت معرفة الإمام معرفةً لله فقد صارت معرفتها كذلك؟

أم أنّ المراد توقُّفُ وجود القرون الأولى على معرفتها هي بالله تعالى؟ أو توقُّفُ كلِّ أمورهم على مقدار معرفتها؟ حيث أنّه تعالى لولاها والكمّل من أهل بيتها لم يخلق الأفلاك. فلولا مقدار معرفتها عليها السلام لم يكن للقرون الأولى وجود؟ أياً كان المراد من هذا الحديث، فإنّ من الجليّ أنّ لها فضلاً على الوجود بأسره، وعلى كلّ موجود بعينه.. فضلاً عميماً لا نظير له ولا مثيل.

لا عجب حينها أن تكون الخلائق كلّها مأمورةً بطاعة هذه المرأة العظيمة، وقد ورد فيها نصان عظيمان:

أولهما: ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام:

(١) الأماي للطوسي ص ٦٦٨.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَمَرِّدًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ، فَمَكَثُوا الْفَ دَهْرًا، ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا، وَأَجْرَى طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا^(١).

فكشفت أن (جميع الأشياء) مأمورة بطاعتها! وهي متقدمة في الخلقة عليها كلها! بل هي الشاهدة على خلق المخلوقات!

ثانيهما: ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام:

وَلَقَدْ كَانَتْ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا) طَاعَتُهَا مَفْرُوضَةً عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، وَالطَّيْرِ، وَالْبَهَائِمِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَلَائِكَةِ^(٢).
أي معنى هذا؟!

جبرائيل الذي ينزل بالأمر من السماء على الأنبياء مأمور بطاعة فاطمة عليها السلام! والأنبياء الذين وجب على الناس طاعتهم وجبت عليهم طاعة فاطمة عليها السلام، ثم يُعرف بعد ذلك المطيع لله من إنس و جن و طير و بهيمة بطاعتها عليها السلام!

أليست أصل الشجرة الربانية وفرعها وغصنها؟!

فحكمتها كحكم أبيها، وهي (صميم قلبه) وروحه التي بين جنبيه!

وحكمها كحكم بعلمها وبنيتها أعظم خلق الله بعد رسوله صلى الله عليه وآله!

أليست ثمار الشجرة أيضاً بين يديها؟!

كيف ذلك؟

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤١.

(٢) دلائل الإمامة ص ١٠٦.

لقد ورد في بعض النصوص: وَعِلْمُ الْأَيُّمَةِ ثَمَرُهَا^(١).

فثمار الشجرة هي علوم آل محمد ﷺ، ولقد كانت هذه العلوم بين يدي الأئمة ﷺ، وما أظهرها منها مقدارَ حَرْفٍ من كلمات، ولا قطرةً من بحار، ومع ذلك حارت فيهم العقول والألباب.

ولقد كان بين يدي فاطمة ؑ من العلوم ما يثير العجب.

كان بين يديها كتابٌ سوى القرآن الكريم، خصَّها الله تعالى به، أنزله عليها بعد وفاة أبيها ﷺ، حملَه إليها بأمره جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وقد كان في أوَّل ورقتين منه:

خَبْرٌ مَا كَانَ، وَخَبْرٌ مَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ خَبْرُ سَمَاءِ سَمَاءٍ، وَعَدَدُ مَا فِي سَمَاءِ سَمَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.. وَصِفَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَعَدَدُ مَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، وَأَسْمَاءُ هَوْلَاءٍ وَأَسْمَاءُ هَوْلَاءٍ، وَفِيهِ عِلْمُ الْقُرْآنِ كَمَا أُنزِلَ، وَعِلْمُ التَّوْرَةِ كَمَا أُنزِلَتْ، وَعِلْمُ الْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَعَدَدُ كُلِّ شَجَرَةٍ وَمَدْرَةٍ فِي جَمِيعِ الْبِلَادِ^(٢)..

كُلُّ هَذَا فِي وَرَقَتَيْنِ مِنْ هَذَا الْمَصْحَفِ! أما سائر الأوراق فيعلمُ الله تعالى وأولياؤه ما فيها!

هذه بعضُ علوم سيِّدة نساء أهل الجنة.

إنَّها سيِّدة الوجود بأسره، فلا بدَّ أن يكون عندها علمٌ ما فيه.

إنَّها الشاهدةُ على كلِّ خلقٍ، فلا بدَّ أن تكون عالمةً بما شاهدت حين الخلق.

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ج ١ ص ٥٩.

(٢) كما عن الباقر ؑ في دلائل الإمامة ص ١٠٥.

إنَّهَا مَنْ أَوْجَبَ اللهُ تَعَالَى طَاعَتَهَا عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ عَالِمَةً بِحَقَائِقِ الْمَخْلُوقَاتِ وَصِفَاتِهَا وَمَا فِيهِ صِلَاحُهَا وَكِمَالُهَا، وَبِالنِّظَامِ الْأَصْلِحِ، وَبِكُلِّ خَيْرٍ وَصِلَاحٍ.

إنَّهَا عَالِمَةٌ بِكُلِّ ذَلِكَ جِزْمًا، وَعَارِفَةٌ بِرَبِّهَا، كَمَعْرِفَةِ أَبِيهَا وَبَعْلِهَا وَبَنِيهَا، أَعْظَمُ مَعْرِفَةٍ مُمْكِنَةٍ بِاللَّهِ فِي الْوُجُودِ.

إنَّهَا مُحِيطَةٌ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يَحِيطَ بِهِ.

إنَّهَا سَيِّدَةُ الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ وَالْأَدْوَارِ وَالْأَكْوَارِ..

لَقَدْ صَارَ هَذَا الْمَصْحَفُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ شَهَادَتِهَا، وَدَفَعَهُ إِلَى الْأُمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَزَالُ عِنْدَ صَاحِبِ الزَّمَانِ، الْحِجَّةِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ صَارَ إِرْثًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَرِثَةً عَنِ أُمِّهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ! وَهُوَ بَعْضُ ثَمَارِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ.

هِيَ الثَّمَارُ الَّتِي تَسْعَى إِلَيْهَا أَوْرَاقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ.. يَسْعَى إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَطْلُبُونَ عُلُومَ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا نَظَرُوا فِيهَا عِلِمُوا أَنَّ لِفَاطِمَةَ مَنزَلَةً تَعْجِزُ الْعُقُولَ عَنِ إِدْرَاكِهَا!

مَنْ تَمَّ عِلْمُهَا أَنَّ الْإِلَهَ الْحَكِيمَ الْعَظِيمَ، الْقَادِرَ الْعَلِيمَ، لَا يُعْطِي عِبْنًا، وَلَا يَفْضُلُ مَنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَأَنَّهَا اتَّصَفَتْ بِمَا جَعَلَهَا مَحَلَّ رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى حَدِّ أَوْجَبَ عَلَى كُلِّ الْخَلَائِقِ طَاعَتَهَا!

أَمَّا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ، فَيَخْضَعُ أَمَامَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْعَظِيمَةِ، وَيَأْمَلُ نَظْرَةً مِنْهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ تَصْلِحُ حَالَهُ، وَحَالَ أَهْلِهِ وَأَعْزَائِهِ وَأَحْبَائِهِ وَمَنْ يَلُودُ بِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ فِي رَحْمَتِهِ

بالمؤمنات، وعطفه عليهنّ تسليّةً لقلب فاطمة الكسير! التي لم يُراعِ حقّها ولا حقّ رسول الله فيها.

وأما المرأة المؤمنة، فإنّها تنظر إلى ما بلغها عن سيّدتها الطاهرة، فتعلم أنّه الكمال المطلق، والحق الذي لا ريب فيه.

تعلّم أنّ رأس ما لها بعد اعتقادها بالله تعالى هو اعتقادها بالزهراء وأبيها، وبعلمها وبنيتها.

وتعلم أنّ رضا سيّدتها ومولاتها يكمن في تمسّكها بشرفها وسترها، وحيائها وعفّتها، وحسن تبعلها، ورفع خلقها، وعطفها وحنوّها على أبنائها، وتربيتهم تربية يرضاهم ربّها.

فلا يكثرث المؤمن كما المؤمنة بكلّ أغاليط هذا الدّهر وأكاذيبه! ولا يغترّان بالأباطيل.. ولا يحرفهما عن شرفهما وكرامتهما أهل الباطل.

إنّ المؤمنين أوراق دوحَةٍ عظيمةٍ نبتت في أشرف منبت، وأطهر دار، إنّها شجرة رسول الله ﷺ، الذي ثبت نسبه في بني هاشم، وتفرّعت منه الزهراء البتول.

وليست الزهراء مُغايرةً في كنهها وجوهرها وعنصرها لرسول الله ﷺ، وليست مُباينةً في خصالها للأئمة الأطهار عليهم السلام.

إنّها وإياهم من نور الله تعالى، فليس في كونها روح النبي مبالغةً، ولا في كونها (عنصر الشجرة) مغالاةً، ولا في إنزال الله ثمار الشجرة وعلوم السماء والأرض عليها غلوً.

إنَّها فوق ذلك بكثير.. إنها السيدة التي فُطِمَ الخلقُ عن معرفتها.. فحريٌّ
بالمؤمن أن يخضع لها إجلالاً وتكريماً، وأن يعظِّمَها في قلبه وعقله ولسانه
وجوارحه، وأن يعرف شيئاً من عظمتها، وأن يُدركَ عَظِيمَ مُصَابِها وما حلَّ بها،
وأن يشارك الأكوان في الحُزن عليها.

أليس للأصل والفرع والغصن حَقٌّ على الأوراق؟! فتألمُ لألمه؟! وهو
أضعف الإيمان.

جعلنا الله من هذه الأوراق، وختم لنا وللمؤمنين بحسن العاقبة، وعجَّل
في فرج إمامنا، وجعلنا مَن يأخذ معه بثأر جدِّته الزهراء عليها السلام، وجدَّه الحسين عليه السلام،
والعترة الطاهرة.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الأحد العاشر من ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ، الموافق ٦ - ١١ - ٢٠٢٢ م.

٧. فاطمة.. مريم الكبرى!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أجمعَ المسلمون والنصارى على تعظيم أمِّ نبيِّ الله عيسى عليه السلام، السيدة الجليلة مريم عليها السلام، بل قيل أن من النصارى من جعلها إلهاً مع ابنها عيسى عليه السلام. وقد كان من مظاهر تعظيم الإنجيل لها أن نقلَ خطاب الملك الذي نزل من السماء قائلاً لها: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ^(١)، وقال لها: لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ^(٢).

ومن مظاهر تعظيمها في القرآن الكريم وصفه لها بأنها صديقة، فقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾^(٣).

لكن امرأةً أخرى تفوّقت على مريم عليها السلام في وصفها هذا، وفُضِّلَت عليها، فكانت أعظمَ منها.

تلك هي بضعة النبيِّ المصطفى صلى الله عليه وآله، فاطمة الزهراء عليها السلام، حيثُ وصفها أبوها الصادق الأمين صلى الله عليه وآله بأنها: الصِّدِّيقَةُ الكُبْرَى^(٤).

بل وصفها وصفاً غريباً.. حين أخذ يدها ووضعها في يد علي عليه السلام، وأقسمَ

(١) لوقا ١: ٢٨.

(٢) لوقا ١: ٣٠.

(٣) المائدة: ٧٥.

(٤) الأماي للصديق ص ٢٢.

بالله تعالى فقال: هذه والله مريم الكبرى^(١).

ثم ورد هذا التعبير عن لسان الأئمة عليهم السلام عند التوجه إلى الله بحقها، ففي الدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ.. بِحَقِّ الزَّهْرَاءِ مَرْيَمَ الْكُبْرَى سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ^(٢)..

فلئن كانت مريم عليها السلام صديقةً، ففاطمة هي الصديقة الكبرى!

ولئن كانت مريم هي مريم! ففاطمة هي مريم الكبرى!

نتوقف ههنا في سلسلة مقاربات بين السيدتين الجليلتين العظيمتين، ومن

أُنَجِّبَتَا:

أولاً: آيات الله

لقد جعل الله تعالى مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه السلام آية من آياته، وعلامة تدل عليه، وترشد الناس إليه.

قال تعالى عنها عليها السلام: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٤).

وعن عيسى عليه السلام: ﴿وَلَنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾^(٥).

(١) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٦٩.

(٢) الدعوات للراوندي ص ٥٨.

(٣) الأنبياء ٩١.

(٤) المؤمنون ٥٠.

(٥) مريم ٢١.

لكنَّ فاطمةَ عليها السلام كانت كفوراً لأعظم آيات الله تعالى! لمن قال يوماً: ما لله نبأً
أعظمُ مِنِّي! ولا لله آيةٌ أعظمُ مِنِّي! (١).

ذاك الذي لولاه لم يكن لها كفورٌ بين كلِّ الخلائق! ذاكَ من قال عنه حفيده
الصادق عليه السلام: لو لا أنَّ الله خلقَ أميرَ المؤمنينَ عليه السلام لم يكنْ لفاطمةَ عليها السلام كُفُوٌ على
ظهِرِ الأَرْضِ آدَمُ فَمَنْ دُونُهُ (٢).

فمهما ثبتَ لمريمَ عليها السلام وعيسى عليه السلام من فضلٍ عند الله، كان لفاطمة ما هو
أعظم منه!

ومهما كانت عظمة مريم وابنها حتى صارا علامةً تُرشدُ الناسَ إلى الله،
كانت عظمةُ فاطمةَ عليها السلام أرفع وأسمى وأعظم، وأكثر دلالةً على الله تعالى من أيِّ
سيِّدةٍ في الوجود!

ثانياً: وليد مريم وفاطمة

إنَّ بين هاتين السيدتين مُشترَكَاتٍ حال الحمل والولادة..

فمن ذلك أنَّهما قد أنجبتا قبل أوانهما، فأنجبت الأولى عيسى بن مريم عليها السلام،
وأنجبت الثانية الحسين بن علي عليه السلام لستة أشهرٍ فقط (٣).

ولقد كان مولود مريم عليها السلام ﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنْ

(١) تفسير فوات ص ٥٣٣.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٧ ص ٤٧٠.

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٦٥.

الصَّالِحِينَ ﴿١﴾.

لكنَّ فاطمة وبعلاها وأبناءها كانوا يتكلمون قبل أن يوضعوا في مهدهم..
مذ كانوا في بطون أمهاتهم!

أما الزهراء عليها السلام، فإنها كانت ترفعُ استيحاش أمها خديجة لما هَجَرَتها نسوة
مكة، ف: كَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام مُحَدِّثًا مِنْ بَطْنِهَا وَتُصَبِّرُهَا.

و حين سأها النبي صلى الله عليه وآله عمَّن تحدّثه قالت: الجَينَ الَّذِي فِي بَطْنِي يُحدِّثُنِي
وَيُؤنِّسُنِي ﴿٢﴾.

ثمَّ لما أرسل الله تعالى لأمها خديجة أربعة من أفضل نساء التاريخ، يلينَ منها
ما تلي النساء من الحمل، كانت إحداهنَّ مريمُ أم عيسى عليه السلام، فصارت شاهدةً
على حديث فاطمة عليها السلام عند ولادتها كحديث عيسى عند ولادته، فقد: نَطَقَتْ
فَاطِمَةُ عليها السلام بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ أَبِي رَسُولُ اللهِ سَيِّدُ
الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ بَعِيَّ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ، وَوُلْدِي سَادَةُ الْأَسْبَاطِ، ثُمَّ سَلَّمَتْ عَلَيْهِنَّ،
وَسَمَّتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِاسْمِهَا ﴿٣﴾.

أما بعلاها عليها السلام، فقد روي أن أمه فاطمة عليها السلام: لما حملت بعليًّا ازدادَ حُسْنُهَا،
فَكَانَ يَتَكَلَّمُ فِي بَطْنِهَا، فَكَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ، فَتَكَلَّمَ عَلِيُّ مَعَ جَعْفَرٍ فَعُشِيَ عَلَيْهِ ﴿٤﴾.

وأما أبناءها الأئمة عليهم السلام، فإن خاتمهم المنتظر عليه السلام كان يُجيب عمّة أبيه حميده

(١) آل عمران ٤٦.

(٢) الأماي للصدوق ص ٥٩٣.

(٣) الأماي للصدوق ص ٥٩٥.

(٤) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج ٢ ص ١٧٢.

ﷺ من بطن أمه، وقد ذكرت حاله لما قرأت عليه سورة القدر قبل ولادته فقالت: فَأَجَابَنِي الْجَيْنُ مِنْ بَطْنِهَا يَقْرَأُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ^(١)، وقالت: فَأَجَابَنِي الْخَلْفُ مِنْ بَطْنِهَا يَقْرَأُ كَقِرَاءَتِي^(٢).

هذا حال عيسى وأمه اللذين حيّرا الدنيا بأسرها، وكانا آية الله تعالى، وهذا حال فاطمة وآلها الأطهار.. وهكذا صارت أم عيسى، مريم الصديقة مؤنسة لأم فاطمة ﷺ في حملها بها، شاهدة على ما ظهر منها من عجائب كعيسى ﷺ.

ثالثاً: قوم مريم.. وفاطمة

لقد واجهت السيدة مريم ﷺ حالة عصبية جداً، عندما حملت بعيسى ﷺ من غير أب، فليس هذا الأمر الخارق للعادة مما يسهل على العذراء الطاهرة تقبله، إذا ما واجهت من يطعن في كرامتها.. وما أكثرهم! قال تعالى: ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا﴾^(٣).

لقد تمت مريم ﷺ، وهي الطاهرة العفيفة النجبية، المباركة الصديقة، تمت لو أنها كانت منسية لا تُذكر، لماذا يا ترى؟ إن ما جرى معها يستحق أن تُكرّم وتُشرف وتُعظم لأجله، إنه أمر لم يتكرر مع امرأة أخرى في كل الدهور.. إنه كرامة من الله لها.. لكن إدراك هذا المعنى في

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ٢ ص ٤٢٨.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٤٥٥.

(٣) مريم ٢٣.

ذلك الظرف كان أمراً شاقاً، غير متوقعٍ من أمةٍ لا تعرف كيف تميّز بين الكرامة والرديلة!

ولكن.. لماذا تمتّ مريمٌ ذلك؟

لَأَنَّهُمَا لَمْ تَرَفِي قَوْمَهَا رَشِيداً ذَا فِرَاسَةٍ يُنْزِهُهَا عَنِ السُّوءِ، كَمَا عَنْ صَادِقِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(١).

لقد كان الرُّشدُ بضاعةً نادرةً في ذلك الزمن، بل منعدمة، جعلت القوم بأسرهم يتهمون مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيحاً﴾ ^(٢).

لقد واجهت مريمٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ من الشدّة ما جعلها تتمنى لو كانت نسياً منسياً، فيما واجهت فاطمةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ انقلاباً على الأعقاب بعد شهادة أبيها، فقالت عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا رَبِّ: إِيَّيْ قَدْ سَمَّمْتُ الْحَيَاةَ! وَتَبَرَّمْتُ بِأَهْلِ الدُّنْيَا! فَالْحَقْنِي بِأَبِي! ^(٣).

لقد أمر الله تعالى مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بالصوم عن الكلام، وكفاها مؤونة خطاب قومها فلم تكلم منهم إنسياً، ثم أنطق تعالى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهد مبرئاً ساحة أمه عَلَيْهَا السَّلَامُ، ومُظهراً للناس طهارتها وجهلهم.

لكنّ جنينَ فاطمةٍ لم ينطق عندما اقتحموا عليها دارها! ولا أمرها الله تعالى بالصمت كما أمر مريم، بل أمرها بالكلام دفاعاً عن أسرتها الطاهرة، فقالت للثاني: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَدْخُلُ عَلَيَّ بَيْتِي، وَتَهْجُمُ عَلَيَّ دَارِي، فَأَبَى أَنْ

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٢٢٦.

(٢) مريم ٢٧.

(٣) الأماي للصديق ص ١١٤.

يَنْصَرِفُ^(١).

لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَشِيدٌ ذُو فِرَاسَةٍ يَنْزِهُهَا عَنِ السُّوءِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَشِيدٌ عَاقِلٌ مَطِيعٌ لِّلَّهِ تَعَالَى يَنْصُرُهَا وَيَنْصُرُ بَعْلَهَا عَلِيًّا وَآلَهَا، وَالثَّلَاةُ الْقَلِيلَةُ الَّتِي وَقَفَتْ مَعَهَا.

لَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ مَرْيَمَ بِالْجَنِينِ الَّذِي فِي بَطْنِهَا، بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنَّ جَنِينَ فَاطِمَةَ كَانَ شَهِيدَ الظُّلَامَةِ.. ظِلَامَةٌ أَبْكَتْ خَاتِمَ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَ وَقُوعِهَا، حِينَ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ، فَأَخْرَجَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ إِلَّا عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِينَ، وَأَخَذَ بِيَدِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ: لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامَ غَلَبَتْهُ عَبْرَتُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ^(٢).

لَقَدْ أَبْكَتْ عَبْرَتُهُ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنِينَ، فَبَكَوا بَكَاءً شَدِيدًا لِبَكَائِهِ، لَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبُ الزَّهْرَاءِ، وَاحْتَرَقَ كَبْدُهَا، ثُمَّ خَاطَبَتْهُ ﷺ: مَنْ لَوْلِي بَعْدَكَ؟ وَلِذَلِكَ يَنْزِلُ بِي بَعْدَكَ؟ مَنْ لِعَلِيٍّ أَخِيكَ وَنَاصِرِ الدِّينِ؟ مَنْ لَوْحِي اللَّهِ وَأَمْرِهِ؟^(٣).

هِيَ تَبْكِي لِبَكَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَخَافُ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ وَأَمْرِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، حِينَهَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذِهِ وَاللَّهُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، هَذِهِ وَاللَّهُ مَرِيَمُ الْكُبْرَى، أَمَا وَاللَّهِ مَا بَلَغَتْ نَفْسِي هَذَا الْمَوْضِعَ حَتَّى سَأَلْتُ اللَّهَ لَهَا وَلَكُمْ فَأَعْطَانِي مَا سَأَلْتُهُ^(٤).

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ج ٢ ص ٥٨٥.

(٢) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٦٨.

(٣) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٦٨.

(٤) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٦٩.

لقد رضي النبي ﷺ كما رضيت الزهراء بما ينزل عليهم، وما كان سؤاله ﷺ لله تعالى أن يرفع البلاء النازل، بل كان أعظم من ذلك وأسمى، فسلموا أمرهم لله، وصبروا على ما نزل بهم، فأعطاهم الله أعظم ثواب المطيعين المسلمين. لقد اشتد غضب الله تعالى على قوم مريم حينما جعلوا ابنها إلهاً مع الله، واشتد غضبه على قوم فاطمة حينما ظلموها وابتزوها حقها، وانتهكوا حرمتها، وأحرقوا بابها، وأذوا جنينها، وشجوا جنينها^(١)، وشاقوها وبارزوها، وقتلواها وبعلها وبنيتها.

لقد برأ الله ورسوله منهم والمؤمنون.. لما فعلوا بالصديقة الكبرى، ومريم الكبرى، فاطمة الزهراء عليها السلام.

إن مريم التي تعرف معنى الظلّامة قد صارت مؤنسةً لفاطمة المظلومة في آخر أيامها!

لقد ظلمها قومها، فأنسها الله تعالى بالملائكة: فَنَادَتْهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ فَتَقُولُ: يَا فَاطِمَةُ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) روى ابن طاووس قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: ويل لمن آذى جنينها، وشجّ جنينها (طرف من الأبناء والمناقب ص ١٦٩)، فيكون على وزان قوله ﷺ: وَخَلَدَ فِي نَارِكَ مَنْ صَرَبَ جَنِينَهَا حَتَّى أَلْقَتْ وَكَدَهَا (بشارة المصطفى ج ٢ ص ١٩٩)، لكننا نحتمل أن يكون اللفظ (شجّ جنينها) بدل (شجّ جنينها)، لأن: الشجّ: كسر الرأس.. والشجج: أثر شجّة في الجبين (كتاب العين ج ٦ ص ٤)، ولأن: الشجّ في الرأس خاصّة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء (النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٤٤٥).

يَا فَاطِمَةَ: ﴿اِقْتَبِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاِكِعِينَ﴾.
ولما ابتداء بها الوجع ومرضت بعث الله عز وجل إليها: مَرِيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ
مُرَّضَهَا وَتَوْنُسَهَا فِي عِلَّتِهَا^(١).

هكذا صارت مريم أنيسة لمريم الكبرى.. والصديقة ممرضة للصديقة
الكبرى.

وسياتي يومٌ في الدنيا يُصَلِّي مولودُ مريم ﷺ خلف حفيد فاطمة ﷺ.. ويأتى
به، وينصره ويتنصر له.

ثم يأتي يوم القيامة، حين يكون عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وآدم وسائر
الأنبياء من شيعة محمدٍ وعليٍّ وفاطمة وآلهم الأطهار ﷺ، حينها تستقبل مريم
فاطمة ﷺ، وتسلم عليها، وتسيرُ هي ومَن معها عن يسارها^(٢).

ذاك يوم الكرامة.. للمظلومة وآلها الأطهار.. جعلنا الله من حواربيهم منذ
يومنا هذا وحتى ذلك اليوم.. وعجل الله في فرج المنتقم لهم.
والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) الأملالي للصدوق ص ١١٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص ٤٤٥.

(٣) الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ، الموافق ٨ - ١١ - ٢٠٢٢ م.

٨. ما السرُّ في (تسبيح فاطمة)؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

(تسبيحُ فاطمة).. (تسبيحُ الزهراء) عليها السلام.. عبارةٌ تتكرر على ألسنة الشيعة صغاراً وكباراً، يقصدون بها ذكراً خاصاً لله تعالى، غالباً ما يكون تعقيباً للصلوات، أو يُقرأ قبيل النوم.

فما السرُّ في هذا التسبيح؟ ولماذا يواظب الشيعة عليه؟ هل للأمر بُعدٌ مذهبيٌّ؟ أم عباديٌّ فقط من حيث كونه ذكراً لله تعالى؟ ومن أين استقى الشيعة هذا التسبيح الخاص؟ ولماذا اعتمدوه؟

أولاً: مصدر (تسبيح فاطمة) وكيفية

هذا التسبيحُ هو (نَحْلَةٌ) ^(١) من خير خلق الله تعالى، محمد صلى الله عليه وآله، لابنته وبضعته وقرّة عينه، فاطمة الزهراء عليها السلام، ومن عظمة المهدي صلى الله عليه وآله ومن أهدي إليها عليها السلام تظهر إشارات العظمة فيه.

وفي تسبيح فاطمة: يُبْدَأُ بِالتَّكْبِيرِ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ التَّحْمِيدِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ التَّسْبِيحِ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ ^(٢).

وفي بعض الأخبار أنه: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ^(٣).

(١) أي عطيةٌ أو هبةٌ من غير عوض.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٤٢.

(٣) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦٨.

هو هدية من النبي ﷺ لبضعته، تُقرأ عَقَبَ كُلِّ صَلَاةٍ، وعند النوم، ففي خبرٍ آخر عنه ﷺ قال فيه لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِزَهْرَاءِ عَلِيٍّ: إِذَا أَخَذْتُمَا مَنَامَكُمَا فَكَبِّرَا^(١)، ثم ذكر ﷺ كيفيته، وعن الباقر ﷺ استحبابُ الاتيان بتسييح فاطمة الزهراء ﷺ عند النوم: إِذَا تَوَسَّدَ الرَّجُلُ يَمِينَهُ^(٢).

من ههنا بدأت قصة الشيعة مع الدعاء، فَمَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ يُنْحِلُهُ ابْتِنَهُ الصِّدِّيقَةَ، ثم يصير ملازماً للأئمة المعصومين ﷺ وصحبهم، بل شعاراً لهم ولشيعتهم إلى يومنا هذا، وقد روي أن الصادق ﷺ: كَانَ يُسَبِّحُ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ ﷺ فَيَصِلُهُ وَلَا يَقْطَعُهُ^(٣).

فلم يكن يفصل بين التسييح بكلامٍ أو غيره، وقد رُوي الأمرُ بإعادة التسييح مع الشكِّ فيه.

فبرزَ اهتمامٌ خاصٌّ بهذا التسييح منهم ﷺ، فلماذا كان ذلك؟

ثانياً: ثواب (تسييح فاطمة)

لقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يثير التعجب من عظمة ثواب هذا التسييح، ومن ذلك:

(١) علل الشرائع ج ٢ ص ٣٦٦.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٢ ص ١١٦.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٤٢.

١. أنه أفضلُ تحميدٍ لله تعالى!

فَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَا عَبْدَ اللَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ^(١).

هو أعظمُ حمدٍ يُحمدُ به الله تعالى، يهديه أعظمُ مخلوقٍ، لسيدة النساء.

لم يجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل منه، ما يعني أن ليس في الوجود أفضل من هذا التسبيح في تحميد الله تعالى.

٢. أنه أحبُّ من ألف ركعة!

لهذا التسبيح البسيط ثوابٌ عظيمٌ جداً، فعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي دُبُرِ ^(٢) كُلِّ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ صَلَاةِ الْفِ رَكْعَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ^(٣).

٣. مغفرة الذنوب وآلاف الحسنات

ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ يَشْنِي رَجُلِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَلَيَبْدَأُ بِالتَّكْبِيرِ ^(٤).

وفي حديث آخر من سبح وأتبعها بلا إله إلا الله.

وفي بعض الأحاديث أن حسنات هذه التسبيحات المائة التي يتألف منها

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣.

(٢) أي عقب كل صلاة.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣.

(٤) الكافي ج ٣ ص ٣٤٢.

تسبيح فاطمة عليها السلام: عَشْرُ أَمْثَالِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَيَكْتُبُ لَهُ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ الْفُ حَسَنَةً وَيَكْتَسِبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَةَ آلَافٍ^(١).

فضلاً عما ورد من أنها: مائةٌ باللسان، والْفُ في الميزان، وتطردُ الشيطانَ، وتُرْضِي الرَّحْمَنَ^(٢).

على أن طردَ الشيطانَ ورضا الرحمان ومغفرة الذنوب، غايةٌ منى العباد المؤمنين.

فضلاً عن استعماله للاستشفاء، حيث أمرَ المعصومون عليهم السلام أصحابهم بتسبيح فاطمة عليها السلام عند الشكاية من بعض الأمراض كالثقل في الأذن.

ثالثاً: ما السرُّ في (تسبيح فاطمة)؟

لماذا اختصَّ هذا التسبيح بهذه العظمة؟! وكان له هذا الأثر العظيم؟
ههنا وجوه محتملة منها:

الوجه الأول: تخليداً (لذكر فاطمة)!

هو تسبيحُ الله تعالى، يُعَدُّ أعظمَ تَحْمِيدٍ يُحْمَدُ به اللهُ تعالى، لا يجدُ النبي صلى الله عليه وآله خيراً منه ليُنحله بضعته الزهراء، فيُعرَف في الأمة باسمها عليها السلام، فيُسهم في تخليد ذكرها، وإحياء أمرها، وأمرها من أمر الله تعالى.

ولما كانت الأمة قد ظلمت الزهراء عليها السلام بل أبغضَ جُلٌّ من فيها ذكرها وذكر

(١) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦٨.

(٢) ثواب الأعمال ص ١٦٣.

بعلمها وذريتها، وأنكروا تقديمهم على من عداهم، حتى روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إِنَّ النَّاسَ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عليهما السلام ^(١).

كان في إحياء ذكرهم عظيمُ ثوابٍ عند الله تعالى، وهم الذين أمرَ بمودتهم. أفلا يُعقل أن يكون في نسبةٍ خيرٍ تسبيحٍ لله تعالى إليها نوعاً من الحفاظ على ذكرها عليها السلام؟ وهي التي أمر الله بمودتها فأنكرت الأمة فضلها، وقدمت من ظلمها وسلَبها حقها، وأخذت بقوله وقَدَّسته!

لقد صار خيرُ تسبيحٍ لا يُترك بعد كل صلاة باسم (فاطمة)، فهل من امرئٍ غير شقيٍّ يذكر تسبيحها كل يوم ولا يتبرأ من قاتليها وأعدائها؟! فيجتمع فيه مع تكبير الله وحمده وتسبيحه، الإقرار بفضل فاطمة عليها السلام وعظمتها، والبراءة من قاتليها وظالميها، فتجتمع أركان الإيمان في فعلٍ واحد، فما أعظمه من فعلٍ.

الوجه الثاني: أنه وقايةٌ من الشقاء!

إنَّ المعصوم عالمٌ بتعليم الله تعالى، ومُدركٌ لتأثير كلِّ فعلٍ على مصير الإيمان، لأنَّ من الأفعال ما يُثبِّت الإيمان ومنها ما يكون سبباً لزواله.

ولتسبيح الزهراء عليها السلام أثرٌ في غاية الأهمية، وهو أن ملازمته تُحفظ العبد من الشقاء! فكان المعصومون عليهم السلام يأمرُون صبيانهم بهذا التسبيح ليعتادوا عليه، فيكون عوناً لهم للوقاية من الانحراف والشقاء.

فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: يَا أَبَا هَارُونَ، إِنَّا نَأْمُرُ صِبْيَانَنَا بِتَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام

(١) الكافي ج ٨ ص ١٥٩.

كَمَا نَأْمُرُهُمْ بِالصَّلَاةِ، فَالزَّمَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَلْزَمَهُ عَبْدٌ فَشَقِيَّ (١).
فصار تسبيحُ فاطمة مُلَازماً للهداية، فمن لَازَمَهُ لَازَمَ الهدى وَأَمِنَ من
الشقاء.

الوجه الثالث: أنه من علامات الشيعة!

لقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: شِيعَتُنَا الَّذِينَ إِذَا حَلَّوْا ذَكَرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا (٢)، وهذه من علامات الشيعة، أي أنهم الذين يذكرون الله كثيراً.
لكن ما هو الذكر الكثير الذي يذكره الشيعة؟ وفيهم من لا يُكثِرُ ذكرَ الله
تعالى؟

لَمَّا سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٣)
قَالَ: مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ عليها السلام فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ الذِّكْرَ الكَثِيرَ (٤).
وفي حديثٍ آخر: تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ الكَثِيرِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (٥).
وفي الحديث: مَنْ بَاتَ عَلَى تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عليها السلام كَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٤٣، والشقاء خلافُ السعادة، وقد يُراد منها الشقاوة الأخروية بمعنى سوء
العاقبة.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٠٠.

(٣) الأحزاب ٤١.

(٤) معاني الأخبار ص ١٩٣.

(٥) معاني الأخبار ص ١٩٤.

وَالذَّاكِرَاتِ^(١).

لقد اقترن ذكرُ الله ذكراً كثيراً بالتشيعُ إذاً، فالشيعة هم الذين يذكرون الله ذكراً كثيراً فيذكرُهم الله تعالى، وهل يذكر الله تعالى سوى من كان من أهل الحق؟! وهل هؤلاء إلا الذين أخذوا هذا الذكر من المعصومين عليهم السلام واتبعوهم؟! لقد ورد أن لكلِّ شيءٍ حداً ينتهي إليه إلا الذكر، فإنه ليس له حدٌّ، وأن الله تعالى لم يرض منه بالقليل، فريضاء عز وجل مقرونٌ بكون الذكر (ذكراً كثيراً)، وهو (تسييحُ فاطمة): علامةُ الشيعة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ لَكُمْ؟ أَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ .. ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيراً..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ اللَّهُ.

وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ:

١. بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ.

٢. وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ^(٢).

فصارَ تسييحُ فاطمة من (علامات الشيعة)، وموجباً (لحبِّ الله)، وفيه (براءةٌ من النار)، و(براءةٌ من النفاق)، وهل تجتمع البراءة من النفاق مع حبِّ رؤوس المنافقين؟ مَنْ ظلموا الصديقة الزهراء وغصبوها حقها؟!

لقد قرن الله تعالى بين (خير الأعمال) و(أرفعها) و(أزكاها) وما فيه (براءةٌ

(١) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٤٤٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٤٩٩.

من النار) و(براءة من النفاق) ووقاية من الشقاء، بين كل هذا وبين اسم (فاطمة)،
وتسيبها ﷺ.

أفهل يغيب السرُّ في تسيب فاطمة بعد ذلك عن محبيها؟!
وهل يُستعربُ اهتمام الشيعة بهذا التسيب وتعليمه لصبيانهم اقتداءً بالأئمة
المعصومين؟!!

فاطمة الزهراء، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، هي التي يُسبِّحُ
شيعتها تسيبها كلَّ يوم خمس مرات في تعقيب الصلاة، وقُبيل النوم سادسةً، ثم
يستذكرون مودتها باللسان والفعل، ويتبرؤون من أعدائها قولاً وعملاً، وهذا
غاية القرب من الله تعالى، ووقاية من الشقاء والنفاق.

اللهم ثبتنا على مودتها والبراءة من أعدائها واحشرنا في زمرتها إنك سميعٌ
مجيب.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ٦ - ١ - ٢٠٢١ م.

٩. (تسبيح فاطمة).. وأمة الكذب!

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أمير المؤمنين عليه السلام: قَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكُذَّابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ ^(١).

هو تاريخٌ للمسلمين عجيبٌ، يكذبُ فيه كثيرٌ منهم على نبيهم صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته، ثم على أئمتهم المعصومين عليهم السلام، حتى قال الصادق عليه السلام: إِنَّ النَّاسَ أَوْلَعُوا بِالْكَذِبِ عَلَيْنَا ^(٢).

ولهذا الولاك أسلوبٌ في غاية الدناءة، حيثُ كانت الأمة تُخالف إمامها علياً في كلِّ ما ذهب إليه وأمكنهم مخالفته فيه، حتى أنهم كانوا يسألونه لا ليعملوا بقوله، بل ليخترعوا قولاً خلاف قوله!

فعن الصادق عليه السلام: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام لَمْ يَكُنْ يَدِينُ اللَّهَ بِدِينٍ إِلَّا خَالَفَ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَى غَيْرِهِ، إِزَادَةً لِإِبْطَالِ أَمْرِهِ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَعْلَمُونَهُ، فَإِذَا أَفْتَاهُمْ جَعَلُوا لَهُ ضِدًّا مِنْ عِنْدِهِمْ لِيَلْبِسُوا عَلَى النَّاسِ ^(٣).

هي أمة الكذب إذًا، تمتهنه في مخالفة وليها علي عليه السلام، فتجعل لأقواله ضداً

(١) الكافي ج ١ ص ٦٢.

(٢) رجال الكشي ص ١٣٦.

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٣١.

من عندها، ثم تنسب ذلك للنبي ﷺ!

ولأمة الكذب نصيبٌ مع (تسييح فاطمة) ﷺ.

وكيف يفوتهم الكذبُ في تسييحها وهو من علامات الشيعة، وفيه البراءة من النفاق، والحال أن أكثرَ مَنْ في الأمة هم من أهل النفاق والشقاق، أو من أتباع هؤلاء وأشياعهم!

إن المعروف والمشهور أن تسييح الزهراء ﷺ على النحو التالي من حيث العدد والترتيب:

الله أكبر: ٣٤ مرة.

الحمد لله: ٣٣ مرة.

سبحان الله: ٣٣ مرة.

ومجموعها ١٠٠ تسييحة.

وقد يضاف إليها الاستغفار، أو قول (لا إله إلا الله) فيكون أمراً خارجاً عن المئة المستحبة التي يصدق عليها أنها (تسييح فاطمة) ﷺ، والتي صارت شعاراً للشيعة يُعرفون به، كما دلت على ذلك النصوص الشريفة.

وقد ثبتت هذه الصيغة بهذا (العدد والترتيب) بسندٍ صحيح، ومن ذلك ما روي عن أبي عبد الله ﷺ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُدَايِرٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ أَبِي عَنْ تَسْيِيحِ فَاطِمَةَ ﷺ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ) حَتَّى أَحْصَاهَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً. ثُمَّ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) حَتَّى بَلَغَ سَبْعًا وَسِتِّينَ. ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ)

حَتَّى بَلَغَ مِائَةً. يُحْصِيهَا بِيَدِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً^(١).

وفي حديثٍ آخرَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: فِي تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ يُبْدَأُ بِالتَّكْبِيرِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ التَّحْمِيدِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ التَّسْبِيحِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ^(٢).

فما روي من أجرٍ عظيمٍ وثوابٍ جزيلٍ وأثرٍ عميمٍ يختصُّ بمن أتى بهذه الكيفية خاصةً.

وهنا يلاحظ على السُّنَّةِ أمورٌ:

الأول: بغضهم لنسبة التسيب لفاطمة عليها السلام!

لقد روى المخالفون تسيب فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ في أصحِّ كتبهم، كالبخاري ومسلم، لكنهم ما أطلقوا عليه يوماً اسم (تسيب الزهراء) أو (تسيب فاطمة) كما هو المعلوم والمعروف عند آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكأنتهم يعزُّ عليهم أن لا يكونوا مصداقاً لما ورد عن آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إِنَّ النَّاسَ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٣).

والأوضح من ذلك أنهم نقلوه في نصوصٍ أخرى بما يخلو من ذكر فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تماماً، فقد روى مُسلمٌ وبعض أئمة المحدثين من العامة روايةً أخرى خلت من ذكرها عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقال مسلم:

(١) الكافي ج ٣ ص ٣٤٢.

(٢) المحاسن ج ١ ص ٣٦، والكافي ج ٣ ص ٣٤٢.

(٣) الكافي ج ٨ ص ١٥٩.

عن كعب بن عجرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: معقباتٌ لا يجيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة^(١).

فلم يبق لذكر الزهراء معه أثرٌ ولا نصيب! وهو نحلةٌ من رسول الله ﷺ لها عليهما.

الثاني: إقحام عائشة في الحديث!

لقد عظم على البخاري وغيره ذكر حديث لفاطمة عليهما، دون أن يُقحم عائشة فيه! بأساليبه الماكرة المعهود.

وعائشة هي نفسها التي يروي البخاري قول النبي ﷺ بحقها فيقول: قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة، ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان^(٢).

ثم ما يلبث أن يجعلها واسطةً في طلبات الزهراء عليهما لأبيها ﷺ! فيقول: (أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحي مما تطحن، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبي فأتته تسأله خادماً فلم توافقه، فذكرت لعائشة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم فقال: على مكانكما، حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتاه؟

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٨.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٦.

إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين، واحداً ثلاثاً وثلاثين،
وسبحا ثلاثاً وثلاثين، فإن ذلك خيرٌ لكما مما سألتماه^(١).
ليس هذا محلُّ مناقشة الحديث وبيان ضعفه، لكن اللافت فيه هو زُجُّ عائشة
فيه وكأنَّ (قرن الشيطان) تأخذ دور الوسيط بين خير الخلق وابنته الصديقة
الكبرى!

الثالث: التشويش على (تسبيح فاطمة)!

يظهر أن حديث (تسبيح فاطمة) عَلَيْهَا كان على قدرٍ من الشهرة، إلى حدِّ أن
البخاري ومسلم وأئمة الحديث عند العامة ما تمكنوا من غُصِّ النظر عنه وعدم
ذكره.

فعمدوا إلى قاعدة أخرى لطالما استعملوها مفادها أن: ما لا تتمكن من
حذفه فعليك بالتلاعب به!

فتلاعبَ البخاري بالرواية تلاعباً مقبلاً، حيث روى القصة نفسها في أربع
مواضع من كتابه، في كلِّ مرةٍ بصيغةٍ مختلفة عن الأخرى! مع أن الواقعة واحدة
لم تتعدد.

وكان في كلِّ مرةٍ يُعدِّل شيئاً في التسبيح لئلا تُعلم حقيقته فعلاً!
وهذه الصيغ الأربعة كالتالي:

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨.

- فكبرا الله أربعاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين^(١).
- تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمداً ثلاثةً وثلاثين^(٢).
- فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين^(٣).
- فكبرا ثلاثاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين^(٤).

فكانت الرواية الأولى موافقةً للمعروف عند الشيعة، لكنّه في الثانية قدّم التسييح على التحميد، وفي الثالثة قدّم التسييح والتحميد على التكبير، وفي الرابعة أنقص من التكبير واحداً وبدّل بين التسييح والتحميد.. وهكذا لم تتفق ولو روايتان من الأربعة، مع أنّها كلّها في صحيح البخاري!

فضيّع البخاري صيغة التسييح الحقّة، بعد أن حذف اسم الزهراء منها ومنع الاقتران بينهما.

والحال أن الروايات المتقدمة قد نصّت على العدد وعلى تقديم التكبير، وعلى الترتيب بقوله (ثم)، لكن البخاري أغاظه أن يُعرف هذا التسييح باسم فاطمة وأن ينتشر بصيغته المعروفة، فتلاعب هذا التلاعب المقيت. وسار على النهج نفسه مسلّمٌ وسواه من أئمة الحديث.

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٨.

(٣) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٩٣.

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٤٩.

الرابع: الكذب على النبي، لإبطال التسيحة الحقّة!

إمعاناً في المؤامرة وإتماماً لها، اخترع أبو هريرة أو البخاري حديثاً نُسِبَ للنبي ﷺ، يزعم فيه أبو هريرة أن النبي ﷺ قد عَلَّمَ هذا التسيح للفقراء لما شكوا عجزهم عن الاتيان بما يؤجر عليه الأغنياء، من بذل الأموال في الحج والعمرة والجهاد والصدقة، فعَلَّمَهُمُ النبي ﷺ هذه التسيحات، حتى قال أبو هريرة:

(فاختلفنا بيننا فقال بعضنا: نسبح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين).

فرجعتُ إليه: فقال: تقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر، حتى يكون منهنّ كلهن ثلاثاً وثلاثين^(١).

فحصّ هذا الحديث على إبطال ثلاثة صيغ وهي التي تتضمن التكبير أربعاً وثلاثين مرّة، وأن مجموع التسيحات الثلاث ٩٩ وليس ١٠٠ تسيحة.

كلُّ هذا هَرَباً من موافقة ما ذهب إليه آل محمد ﷺ، ولو استلزم ذلك تكذيب روايات البخاري الصحيحة، فإنّ فيه مخالفةً لعليّ وآل عليّ! وهو غاية المُنَى عند القوم.

فهذا الحديث وفق الموازين حاكمٌ على الأحاديث الأخرى عندهم، لأنّه ناظرٌ إليها، فهو يحاكم الأحاديث بناء على الاختلاف الحاصل بين الناس، والناشئ من الروايات المكذوبة، ثم يرجح الرواية المخالفة لرواية آل محمد ﷺ،

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠٥.

فيجعل التسيبحات تسعاً وتسعين (٩٩) بدلاً من المائة (١٠٠) كما هي عند الشيعة.

هذا شيءٌ من قصّة (تسيبح فاطمة) وأمة الكذب!

أفهل من شكٍّ بعد ذلك في أنّ الناس أبغض شيءٍ إليهم ذكر عليٍّ وفاطمة؟! وفي أنّهم كانوا يسألون أمير المؤمنين عليه السلام ليجعلوا لكلامه ضدّاً من عندهم؟! أعاذنا الله ممن أولعوا بالكذب على المعصومين، ونبرأ إلى الله تعالى منهم. والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ٧-١-٢٠٢١ م.

١٠. (تسييح فاطمة).. وشيعتها..

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد حَذَفَ المخالفون اسم فاطمة الزهراء عليها السلام من التسييح المعروف باسمها، وهو نِحْلَةٌ لها من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد ذهبنا إلى أنَّهم تعمَّدوا الكذب والتشويش على هذا التسييح، وأنَّهم نقلوه بصورٍ مختلفةٍ بعيدةٍ عن الواقع، حتى لا تُعرفَ حقيقته وكيفيته. لكنَّ الباحث منهم قد ينظر في كتبنا فيرى فيها اختلافاً أيضاً في كيفيته، فيخاطبنا قائلاً:

لماذا تتَّهَمون المخالفين لكم بتعمُّد الكذب على النبي صلى الله عليه وآله، ومحاولة التشويش على (تسييح فاطمة) عليها السلام؟

إذا كان السبب هو الاختلاف في نقل الرواية عند المخالفين لكم، سيِّمًا البخاري، فهذا الاختلاف لا يختصُّ بهم، بل إن رواياتكم أيها الشيعة أيضاً مختلفة في كيفية تسييح فاطمة عليها السلام، فما بالكم تتَّهَمون غيركم بما وقعتم فيه؟ لكنَّ المؤمنَ الفَظِنَ يعلمُ أنَّ هناك فرقاً فارقاً بيننا وبينهم، فيجيب من جهات:

الجهة الأولى: إجماع الشيعة على تقديم التكبير

إنَّ الشيعة الإمامية متَّفِقون على أمرين:

الأمر الأول: هو كون التسييحات مئة، لا يزيد عددها ولا ينقص.

الأمر الثاني: هو أنَّ التكبير مقدَّم على التحميد والتسبيح.
 فلو خالف أحد هذين الأمرين لم يكن ملتزماً بتسبيح فاطمة عليها السلام.
 أمَّا المخالفون فلم يلتزموا بذلك، وقد تقدَّمت روايات البخاري بصيغها
 الأربعة، ويُلاحظ عليها مخالفتها لهذين الأمرين:

١. أما الأول أي كونها مئة: فلأنه قد ورد في إحدى الصيغ كون التسبيحات
 تسعاً وتسعين، وهي التي رجَّحها أبو هريرة برواية البخاري، لكونها ناظرةً إلى
 الاختلاف بين الروايات وحاكمةً عليها.

٢. وأما الثاني أي تقديم التكبير: فلأنه ورد في صيغةٍ أخرى عندهم تأخير
 التكبير عن التحميد والتسبيح.

فخالفوا بذلك إجماع الشيعة في المسألتين.

قال الشيخ المجلسي: ولا خلاف بيننا في أنها مائة، وفي تقديم التكبير^(١)،
 وقال صاحب مفتاح الكرامة: ولا خلاف عندنا في أنه يبدأ فيه بالتكبير^(٢).
 لكنَّ القوم ما اكتفوا بهذه الصيغ الأربعة، بل أضافوا لها صيغاً أخرى غريبة
 منها:

الصيغة الأولى: أن يكون المجموع ثلاثين تسبيحة فقط!

كما في صحيح البخاري، حيث روى رواية يكون مجموع التسبيحات فيها
 ثلاثين تسبيحة! ففيه: تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون

(١) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٣٣٦.

(٢) مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ج ٧ ص ٦٠٩.

عشرًا^(١).

الصيغة الثانية: أن يكون المجموع ثلاث وثلاثين تسبيحة فقط!
كما في صحيح مسلم، ففيه: إحدى عشرة إحدى عشرة، فجميع ذلك كله
ثلاثة وثلاثون^(٢).

الصيغة الثالثة: أن ينقص من التسبيحات الثلاث ويزاد التهليل!
كما في الخبر الذي رواه الترمذي وصححه، ثم صححه الألباني، وفيه عن
زيد:

أمرنا أن نسبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين،
ونكبره أربعاً وثلاثين.

قال: فرأى رجلاً من الأنصار في المنام، فقال: أمركم رسول الله صلى الله
عليه وسلم: أن تسبحوا في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمّدوا الله ثلاثاً
وثلاثين، وتكبروا أربعاً وثلاثين؟

قال: نعم!

قال: فاجعلوا خمساً وعشرين، واجعلوا التهليل معهن.

فغدا على النبي صلى الله عليه وسلم، فحدثه، فقال: افعلوا^(٣).

وهو يدلُّ على جعل كل واحدة من التسبيحات خمساً وعشرين، مع إضافة

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥١.

(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٨.

(٣) سنن الترمذي حديث ٣٤١٣.

التهيل ليعون المجمع مئة؁ وميزة هذا الحديث أنه ناظرٌ للصيغة المعروفة؁ ثم ينسب للنبي ﷺ أنه أمر بالصيغة الجديدة؁ وهو قريبٌ من خبر أبي هريرة؁ الذي كان ناظرًا إلى الاختلاف بين الصحابة في التسبيح؁ وكان الترجيح فيه لتسع وتسعين تسبيحة.

وبهذا يظهر أن الاختلاف بين السنة ليس كالاختلاف بين الشيعة؁ فإن السنة قد خالفوا الحق وشوشوا على أصل العدد في التسبيح؁ فما اتفقوا على كونه مئة تسبيحة؁ ولا على كون التسبيحات ثلاثة (تكبيرٌ وتحميدٌ وتسبيح)؁ ولا على تقديم التكبير. وهو يؤكد ما تقدم من تعمدهم التشويش على التسبيح.

الجهة الثانية: الترتيب المعروف عند الشيعة

إن المعروف والمشهور بين الشيعة هو أن تسبيح الزهراء ؑ يبدأ بالتكبير (٣٤ مرة)؁ ثم التحميد (٣٣ مرة)؁ ثم التسبيح (٣٣ مرة).

وفي هذا المعنى روايات عدة؁ صحيحة السند؁ صريحة في الترتيب؁ منها صحيحة بن عذافر؁ التي ينقل فيها الراوي عن الصادق ؑ أنه قال:

(الله أكبر) حتى أحصاها أربعاً وثلاثين مرة.

ثم قال: (الحمد لله) حتى بلغ سبعا وستين.

ثم قال: (سبحان الله) حتى بلغ مائة^(١).

وقد رواها البرقي في المحاسن؁ والكليني في الكافي؁ ومثلها روايات أخرى

(١) المحاسن ج ١ ص ٣٦؁ والكافي ج ٣ ص ٣٤٢.

مشهورة، عمل بمضمونها العلماء، وقد صرّح بهذا الترتيب كثيرٌ منهم كالشيخ المفيد في المقنعة^(١)، والشيخ الطوسي في المبسوط^(٢)، وغيرهما.

وصرّح العلامة الحلي في المختلف بأن هذا الترتيب هو المشهور^(٣)، ومثله المجلسي في بحاره^(٤)، بل ذكر الحر العاملي أنّ على هذا الترتيب: عَمَلُ الطَّائِفَةِ^(٥)، وقال صاحب الجواهر أنّ ما تقدّم هو: المشهور بين الأصحاب شهرة عظيمة.. بل لا خلاف أجده في الفتاوى والنصوص عدا خبر العلل^(٦).

بهذا يتّضح أنّ الشيعة لم يختلفوا كاختلاف السنة فيه، رغم ذلك ورد في رواياتهم وكلمات علمائهم ما يظهر منه مخالفة المشهور.

الجهة الثالثة: هل اختلف الشيعة؟

يظهر من كلمات بعض العلماء ما يخالف المشهور في تسييح فاطمة عليها السلام، ومن ذلك كلام الشيخ الصدوق، حيث قدّم في الفقيه التسييح على التحميد فقال: **وَسَبِّحْ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام، وَهِيَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً**^(٧).

(١) المقنعة ص ١١٤.

(٢) المبسوط في فقه الإمامية ج ١ ص ١١٧.

(٣) مختلف الشيعة في أحكام الشريعة ج ٢ ص ١٨٢.

(٤) قال أنه: أشهر وأقوى (بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٣٣٦).

(٥) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٤٤٥.

(٦) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ج ١٠ ص ٣٩٩.

(٧) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٢٠.

وقد استند في ذلك إلى رواية أوردتها في الفقيه والعلل .
وهذا القول لو تمَّ هو في الحقيقة تخييراً بين الصيغتين:
١ . تكبيرٌ ثمَّ تحميدٌ ثمَّ تسييحٌ كما هو المشهور .

٢ . تكبيرٌ ثمَّ تسييحٌ ثمَّ تحميد .

ولكن، بعد ثبوت الترتيب المشهور بسندٍ صحيح، واعتضاده بروايات
عدة، وعمل الأصحاب به، لا بدَّ من النظر فيما خالفه من روايات، وهي رواياتٌ
عدة، نكتفي بذكر روايتين منها، وبها يتضح حال ما تبقى:

الرواية الأولى

روى الشيخ الصدوق في الفقيه فقال:

رُويَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ: أَلَا أَحَدْتُكَ عَنِّي وَعَنْ
فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ؟

أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدِي فَاسْتَقَمْتُ بِالْقُرْبَةِ حَتَّى أَثَرِي فِي صَدْرِهَا، وَطَحَنْتُ بِالرَّحَى
حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَاهَا، وَكَسَحَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَوْفَدَتْ تَحْتَ الْقَدْرِ حَتَّى
دَكَنْتُ ثِيَابُهَا، فَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضَرٌّْ شَدِيدٌ.

فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكَ فَسَأَلْتِهِ خَادِمًا يَكْفِيكَ حَرًّا مَا أَنْتِ فِيهِ مِنْ هَذَا
الْعَمَلِ.

فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَتْ عِنْدَهُ حُدَاثًا فَاسْتَحْيَتْ، فَاَنْصَرَفَتْ.

فَعَلِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ لِحَاجَةٍ، فَعَدَا عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي لِحَافِنَا، فَقَالَ:
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَسَكَنْتَا وَاسْتَحْيَيْنَا لِمَكَانِنَا.

ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَسَكَتْنَا!

ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَخَشِينَا إِنْ لَمْ نَرُدَّ عَلَيْهِ أَنْ يَنْصَرِفَ، وَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَيَسْأَلُ ثَلَاثًا فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلَّا انْصَرَفَ.

فَقُلْنَا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اذْخُلْ، فَدَخَلَ وَجَلَسَ عِنْدَ رُءُوسِنَا، ثُمَّ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، مَا كَانَتْ حَاجَتِكَ أَمْسٍ عِنْدَ مُحَمَّدٍ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ نُجِبْهُ أَنْ يَقُومَ، فَأَخْرَجْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ: أَنَا وَاللَّهِ أَخْبِرْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا اسْتَقَمَّتْ بِالْقُرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَ فِي صَدْرِهَا، وَجَرَتْ بِالرَّحَى حَتَّى مَجَلَّتْ يَدَاهَا، وَكَسَحَتِ الْبَيْتَ حَتَّى اغْبَرَّتْ ثِيَابَهَا، وَأَوْقَدَتْ تَحْتَ الْقَدْرِ حَتَّى دَكِنَتْ ثِيَابَهَا، فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ أَتَيْتِ أَبَاكَ فَسَأَلْتَهُ خَادِمًا يَكْفِيكَ حَرًّا مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ.

قَالَ: أَفَلَا أَعَلَّمَكُمَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنَ الْخَادِمِ؟

إِذَا أَخَذْتُمَا مَنَامَكُمَا فَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً.

فَأَخْرَجَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: رَضِيتُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ، رَضِيتُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ ^(١).

ويلاحظ على هذه الرواية:

أولاً: أنها عامية، وليست من طرُقنا. فلا يصحُّ الاستناد إليها في مقابل مروياتنا الصحيحة المعمول بها.

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٢٠-٣٢١.

بل ذهب بعضهم إلى كونها موضوعة لتضمُّنها بعض الغرائب^(١).
 ثانياً: أمَّا ظاهرةُ في هذا الترتيب وليست صريحةً فيه، وهو جليٌّ، وقد صرَّح
 به غيرُ واحدٍ من الأعلام، كالعلامة الحلي حيث قال: وهو يُشعرُ بتقديم التسبيح
 على التحميد^(٢).
 فإذا وُجدَ المقتضي لحملها على خلاف الظاهر لم يكن هناك ما يمنع من
 ذلك.

ثالثاً: أنَّ الشيخ قد ذكر الرواية نفسها في علل الشرائع بترتيب مختلف،
 حيث ورد فيها: إِذَا أَخَذْتُمَا مَنَاكُمْ فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَأَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ،
 وَكَبَّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ^(٣).

والحديثُ في حقيقته واحدٌ لا اثنان، فلئن كان يُتملُّ في الأحادث المختلفة
 الصادرة في وقائع مختلفة أن يختلف الترتيب فيها من باب التخيير، فإنَّ هذا
 الحديث ينقل واقعةً واحدةً محدَّدةً بصيغتين مختلفتين، وقد نقلها الشيخ في كتابيه
 عن مصادر العامة لا عن مصادرنا.

لذا لا وجه لما ذكره الشيخ المجلسي بقوله: ويمكن الجمع بالقول بالتخيير
 مطلقاً^(٤) إن أراد به هذه الرواية بالخصوص، فالاختلافُ بين صيغتين حول حدثٍ
 واحدٍ لا يمكن حمله على التخيير.

(١) يراجع هامش بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٣٣٨.

(٢) مختلف الشيعة في أحكام الشريعة ج ٢ ص ١٨٣.

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٣٦٦.

(٤) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٣٤٠.

وما في العلل يخالف ما عليه كلمة الشيعة جميعاً من تقديم التكبير، وأما ما في الفقيه فيخالف ما عليه مشهورهم من تقديم التحميد على فرض ظهور الرواية في الترتيب.

رابعاً: إن قيل: هذه رواية خاصة بوقت النوم، وقد يختلف حكم التسييح بعد الصلاة عنه عند النوم.

قلنا:

تقابل هذه الرواية رواية صحيحة مختصة أيضاً بقراءة تسييح الزهراء عليها السلام عند النوم، وهي ظاهرة في الترتيب المشهور عندنا، وهي صحيحة هشام بن سالم: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام: إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَكَبِّرِ اللَّهَ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ، وَأَحْمَدُهُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحْهُ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ^(١).

فإذا دلت الروايات المتقدمة الموافقة للمشهور على الترتيب صريحاً، لزم حمل الروايات المخالفة لها على عدم إرادة الترتيب منها إن أمكن.

قال العلامة الحلي: ليس في الحديث تصريح بتقديم التسييح على التحميد، أقصى ما في الباب أنه قدمه في الذكر، وذلك لا يدل على الترتيب، والعطف بالواو لا يدل عليه^(٢).

كما ذهب إلى عدم صراحتها الشيخ البهائي فقال: هذا ولا يخفى أن هذه الرواية غير صريحة في تقديم التسييح على التحميد، فإن الواو لا تفيد الترتيب،

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٣٦.

(٢) مختلف الشيعة في أحكام الشريعة ج ٢ ص ١٨٥.

وإنما هي لمطلق الجمع على الأصح كما بين في الأصول، نعم ظاهر التقديم اللفظي يقتضي ذلك^(١).

ولما كان هناك رواية صريحة في تقديم التحميد لزم حمل هذه الرواية عليها، فقال البهائي: فتحمل الرواية الأخرى (أي هذه التي نتحدث عنها) على خلاف ظاهر لفظها ليرتفع التنافي بينهما^(٢).

وكذا فعل الحر العاملي فقال عن الروايات التي تقدّم فيها التسييح بالعطف: الْوَاوُ لِمُطْلَقِ الْجَمْعِ كَمَا تُقَرَّرُ فَيَجِبُ حَمْلُهُ هُنَا عَلَى تَقْدِيمِ التَّحْمِيدِ عَلَى التَّسْيِيحِ كَمَا مَرَّ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ الطَّائِفَةِ^(٣).

من ثمّ احتمل المجلسي الأول أن لا يكون الشيخ الصدوق أيضاً ناظراً إلى الترتيب بل لذكر التسيحات بغض النظر عن ترتيبها، فقال: الظاهر أن مراد الصدوق بالواو الترتيب، وإن احتمل أن يكون مراده مطلق الجمع لئلا يكون مخالفاً للأخبار مثل ما رواه الكليني والشيخ في الصحيح^(٤).

وبهذا يظهر أن الرواية غير ناهضة لإثبات التخيير، بل يحتمل أن لا يكون الشيخ الصدوق أيضاً قائلًا بالتخيير.

(١) مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة ص ٢٧٨.

(٢) مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة ص ٢٧٩.

(٣) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٤٤٥.

(٤) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٦٣.

الرواية الثانية

وهي رواية ابن فرقد، أن شهاب بن عبد ربه سألَه أن يسألَ أبا عبد الله عليه السلام وقال: قُلْ لَهُ إِنَّ امْرَأَةً تُفَزِعُنِي فِي الْمَنَامِ بِاللَّيْلِ.
فَقَالَ: قُلْ لَهُ: اجْعَلْ مِسْبَاحاً وَكَبِّرِ اللَّهَ أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَسَبِّحِ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ نَسْبِيحَةً، وَاحْمَدِ اللَّهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ^(١)..

قال الشيخ المجلسي الأول بعد رواية الترتيب المشهور ثم هذه الرواية: وكلا الطريقتين جائزٌ عند المنام جمعاً بين الأخبار، ويمكن حمل الطريق الثاني على التقية^(٢).

ويلاحظ على كلامه:

أنه لا كلام في جواز كلا الترتيبين، فالذكرُ مستحبٌ بأيِّ صيغة اتَّفَقَ، ولم يناقش أحدٌ في ذلك. وهذا الشيخ الطوسي القائل بالترتيب الذي عليه المشهور يقول: وفي أصحابنا من قدم التسبيح على التحميد، وكل ذلك جائز^(٣).

لكنَّ الكلام في أن التسبيح الخاص الذي صار يُعرفُ ب(تسبيح فاطمة عليها السلام) هل له ترتيبٌ مخصوص هو المشهور المعروف؟

أم أنه يتحقَّق ويحصل الغرض منه ويترتب الثواب الخاص به بالإتيان بالتسبيحات المائة بأي ترتيب اتَّفَقَ؟

(١) الكافي ج ٢ ص ٥٣٧.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦٧٠.

(٣) المبسوط في فقه الإمامية ج ١ ص ١١٧.

إنَّ مقتضى القاعدة هو ترتُّب الأثر الخاص عند الاتيان به بالصيغة الواردة فقط، وهي الصيغة المشهورة، وإن احتمل بعض العلماء التخيير في تقديم التسبيح على التحميد أو العكس، ومنهم المجلسي كما تقدم، والحر العاملي حيث أشار إلى أن أحد الوجوه هو: لِلإِشَارَةِ إِلَى الْجَوَازِ وَعَدَمِ وُجُوبِ التَّرْتِيبِ، فَيَرْجِعُ إِلَى التَّخْيِيرِ^(١)، وصاحب الحدائق^(٢)، وردّه صاحب مفتاح الكرامة بأنّه لا قائل به^(٣)، فإنَّهم وإن احتملوه إلا أن أحداً لم يقل به.

فما الحقُّ في ذلك؟ وكيف تعامل الروايات المختلفة؟ هل تُحمَل على التخيير أم على التقيّة؟

لقد احتمل المجلسي الأول إمكان حمل الرواية الثانية التي تخالف المشهور على التقيّة، وقد تقدّم كلامه، أشار أيضاً إلى هذا الوجه الحر العاملي^(٤). لكن صاحب الحدائق ترقى في ذلك، فمنع من الحمل على التخيير تأسيساً، بمعنى أنه ما ارتضى كون التسبيح قد ورد على سبيل التخيير، وإن كان يجوز الاتيان بهذه التسيّحات على أيّ نحوٍ بلا خلاف، لكنّه عند مخالفته للمنصوص لا يكون مصداقاً لتسبيح فاطمة عليها السلام.

فإنّما أن تكون النصوص المخالفة للمشهور غير صريحة في الترتيب، فتحمَل على الترتيب الموافق للمشهور، أو تُحمَل على التقيّة، لموافقتها للعامّة.

(١) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٤٤٦.

(٢) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج ٨ ص ٥٢٢.

(٣) مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ج ٧ ص ٦١٤.

(٤) وسائل الشيعة ج ٦ ص ٤٤٦، وهداية الأمة إلى أحكام الأئمة - منتخب المسائل ج ٣ ص ١٨٨.

قال صاحب الحدائق: لما كان القول المشهور بين الطائفة المعتضد بالأخبار المتقدمة هو تقديم التكبير ثم التحميد ثم التسبيح، فلو سلمنا صراحة المخالف في المخالفة فالظاهر انه لا محمل له إلا التقية لموافقته لرواياتهم، ولا سيما ان طريق الخبر المذكور رجاهم^(١).

فإنه لم يجد لهذه الروايات المخالفة للمشهور محملاً إلا التقية.

وقد رجَّح صاحب مفتاح الكرامة هذا الوجه، فقال: وأما الروايات الاخر الدالة على تقديم التسبيح في حال النوم كما في خبر علي وفاطمة عليهما السلام، وكذا خبر شهاب، أو تعقيب الصلاة كما في خبر المفضل، فيمكن حملها على التقية. ويؤيده أن حديث علي وفاطمة عليهما السلام وإن رواه في الفقيه مرسلًا، إلا أن ظاهر سنده في العلل أن رجاله إنما هم من العامة^(٢).

ولم يستبعد ذلك الشيخ موسى كاشف الغطاء حيث قال: ولو حملت على التقية لم يكن بعيداً^(٣).

بناء على هذا يكون الراجح حمل الروايات المخالفة للمشهور على التقية، وكذا حمل كلمات العلماء الذين لم يذكروا الترتيب المشهور على عدم إرادتهم الترتيب، بل على ذكر التسبيحات بغض النظر عن ترتيبها، كما احتمل بعض العلماء كصاحب الجواهر حين قال: بل لعلهم جميعاً لا يريدون الترتيب، بل مطلق

(١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج ٨ ص ٥٢٣.

(٢) مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ج ٧ ص ٦١٣.

(٣) منية الراغب في شرح بلغة الطالب ص ٣١٢.

الجمع الذي لا ينافيه^(١).

وعلى كلِّ تقدير، فإنَّه مع عدم ثبوت التخيير، وكون صريح الأخبار الموافقة للمشهور دالةً على الترتيب، تصل النوبة إلى الترجيح بين الطائفتين، فترجح الروايات الموافقة للمشهور.

قال صاحب الجواهر: وترجح بالشهرة فتوى وعملاً، وبقوة الدلالة، ضرورة أنه ليس في أخبار الخصم كخبر أبي بصير، كما أنه ليس فيها كصحيح ابن عذافر سنداً^(٢).

فمن وجوه أقوائية ما عمل به المشهور:

١. شهرته في الفتوى، بل تقدّم أن أحداً لم يفتِّ صريحاً بخلافه.
٢. شهرته في العمل، وهو واضحٌ بين علماء الشيعة وعوامهم.
٣. صحة وصراحة الروايات الدالة على الترتيب، بخلاف سائر الروايات فليس فيها شيءٌ صريحٌ الدلالة على ذلك.

فإذا ضُمَّ إلى ذلك ما يشهد بتلاعب القوم بالتسبيح، ومنه:

١. اختلاف الرواية المنقولة عن المخالفين بين الفقيه والعلل، وذلك من جهة الترتيب، مع وحدة الواقعة.
٢. رواية البخاري لأربع نصوصٍ لا يتفق منها اثنان في الترتيب، بل روايته لما يُقتصرُ فيه على ثلاثين تسبيحة، ورواية غيره ما يقتصر فيه على ثلاثٍ وثلاثين،

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ج ١٠ ص ٤٠٠.

(٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ج ١٠ ص ٤٠١.

أو جعل كل تسبيحة خمساً وعشرين مع إضافة التهليل.

٣. ترجيح أبي هريرة في البخاري للترتيب الذي ينقص من التسبيحات واحدة، فيخالف إجماع الشيعة، ويجعل التكبير مؤخراً لا مقدماً، فيخالف إجماعهم ثانية، ونسبة ذلك إلى النبي ﷺ^(١).

كل هذا يجعل احتمال الكذب عند القوم راجحاً، بل متعيناً، ويُرجح حمل الروايات المخالفة للمشهور عندنا على التقية، بل يعينه.

وعلى هذا يكون القدر المتيقن مما يحصل به الثواب المخصوص لتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام هو الكيفية المشهورة المعروفة المعمول بها بين الشيعة، سيما أن: المقطوع به اتحاد كيفية تسبيح الزهراء عليها السلام^(٢)، وإن لم يحرم غيرها.

ثم إنه على فرض عدم تمامية شيء مما تقدم، وثبوت التخيير في رواياتنا، فإنه مقتصر على التخيير بين التحميد والتسبيح، مع الاتفاق على تقديم التكبير عليهما، لكن عدّة صيغ من الصيغ التي أوردها البخاري وغيره لا توافق إجماع الشيعة، فيثبت بذلك تعمده أو رواة العامة التشويش على تسبيح فاطمة، كما تقدم.

هذا وقد احتمل صاحب الجواهر التخيير في الاتيان بالتحميد أو التسبيح بعد التكبير، بناءً على أن بعض النصوص قد خصت التكبير بالتقدم، وقد خالف العامة في ذلك، فيكون ما خالف العامة هو الحق، وهو تقديم التكبير عليهما، سواء أعقبه التحميد كما هو المشهور أو أعقبه التسبيح كما هو ظاهر بعض الروايات.

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ج ١٠ ص ٤٠٢.

وعلى هذا الوجه أيضاً لا يسلمُ العامة من الإشكال، لأنهم خالفوا النبي ﷺ حتى في هذا المقدار، الذي لا بدَّ معه من تقديم التكبير.

وعلى هذا الوجه تكون الروايات الصريحة في الترتيب عندنا دالةً على الأفضلية، كما قال صاحب الجواهر: لإمكان إرادة أفضل الأفراد منه كما هو الشأن في غير المقام من مطلق المستحبات ومقيدها^(١).

وعليه تُحمَل بعضُ النصوص الأخرى التي وردت فيها التسيحات على خلاف الصيغة المعروفة، كزيارة السيدة المعصومة عليها السلام المروية عن الإمام الرضا عليه السلام: فَإِذَا آتَيْتَ الْقَبْرَ فَقُمْ عِنْدَ رَأْسِهَا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَكَبِّرْ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَسَبِّحْ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَاحْمَدِ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، ثُمَّ قُلِ: السَّلَامُ عَلَى آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ^(٢).

النتيجة والثمرَة

من الواضح أن الاختلاف في الروايات عند الشيعة مقصورٌ على صورةٍ خاصة، بحيث يكون ما خالف المشهور منها محمولاً على التقية، أو على التخيير في هذه الصورة.

وبهذا فإن الشيعة وحدهم هم من عرفوا قدر تسبيح الزهراء عليها السلام، والتزموا به دائماً، وحافظوا على صورته كما هو، فيما ضيَّعه غيرهم، وكانت أسباب التضييع نسبتها للزهراء عليها السلام، فصار المتلاعبون به مصاديق الحديث الشريف: إِنَّ النَّاسَ

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ج ١٠ ص ٤٠٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٦٦.

لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْ ذِكْرِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(١).

وبأحاديثهم المكذوبة غُيِّبَ تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يُوَاطَبَ عَلَيْهِ أَحَدٌ كَمَا فَعَلَ الشَّيْعَةُ.

وَلَا عَجَبُ أَنْ تُحْرَمَ الْأُمَّةُ بَرَكَاتِ هَذَا التَّسْبِيحِ، فَإِنَّهَا بَطَّلِمَهَا لِآلِ مُحَمَّدٍ حُرِّمَتْ رَحْمَةً اللَّهُ تَعَالَى، وَهِيَ مُسْتَحَقَّةٌ لَذَلِكَ، بِقَبِيحِ فِعَالِهَا، وَتَقْدِيمِهَا الْأَجْلَافِ الْقَسَاةَ عَلَى الْأَطْهَارِ الْأَبْرَارِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

(١) الكافي ج ٨ ص ١٥٩.

(٢) الثلاثاء الخامس من ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ، الموافق ١ - ١١ - ٢٠٢٢ م.

١١. فرحة الزهراء.. عيدٌ وسُرورٌ لآل الرسول!

بسم الله الرحمن الرحيم

تَلَهَّجُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا بِالْحَقِّ، وَتُتَمِّ حَجَّتَهَا عَلَى الْحَاكِمِ الْأَوَّلِ، فَيَكْتُبُ لَهَا كِتَابًا
بِرَدِّ فِدْكَ!

تُخْرَجُ فَيَسْتَقْبِلُهَا الْآخِرُ، يَأْخُذُ الْكِتَابَ مِنْهَا.. يَتْفَلُّ فِيهِ وَيَمْرُقُّهُ!

تُخَاطَبُهُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا: مَا لَكَ؟ لَا أَمْهَلَكَ اللَّهُ، وَقَتْلَكَ، وَمَرْقَ بَطْنِكَ^(١).

كَلَامُ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ هَذَا هُوَ دُعَاءٌ بِالْإِنْتِقَامِ مِنَ الظَّالِمِ، وَلَيْسَ الْإِنْتِقَامُ نَقْصًا
أَوْ عَيْبًا، بَلْ هُوَ الْكَمَالُ بَعِينُهُ عِنْدَمَا يَسْتَنْدُ إِلَى الْعَدْلِ، فَيُكَافَأُ الظَّالِمُ عَقُوبَةً عَلَى مَا
جَنَّتْ يَدَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَّقِمُونَ﴾^(٢).

وَالْإِنْتِقَامُ قَدْ يَبْدَأُ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، كَمَا فِي قِصَّةِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾^(٣)، ثُمَّ يَنْضَمُّ إِلَيْهِ الْإِنْتِقَامُ الْآخِرَةُ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى
إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾^(٤).

وَالنِّقْمَةُ هِيَ (الْمُكَافَأَةُ بِالْعُقُوبَةِ)، وَالْبَطْشُ هُوَ (الْأَخْذُ الشَّدِيدُ).

وَقَدْ تَكُونُ النِّقْمَةُ فِي الدُّنْيَا عَذَابًا مُبَاشِرًا يَنْزِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ يَسَلِّطُ اللَّهُ عَلَى
الظَّالِمِينَ مِنْ يَعْاقِبِهِمْ أَنْتِقَامًا، كَمَا سَلَّطَ عَلَى قَاتِلِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا مِنْ يَنْتَقِمُ مِنْهُ.

(١) دلائل الإمامة ص ١٢٠.

(٢) السجدة ٢٢.

(٣) الأعراف ١٣٦.

(٤) الدخان ١٦.

كانت يداً نَجِسَةً مَزَّقَتْ للزهراء كتابها، ثمَّ امتدَّت إليها سلام الله عليها،
مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي: (لَطَمَ وَجْهَ الزَّكِيَّةِ!)^(١).

فما كان إلا أن دَعَت عليه، واستجابَ الله تعالى دعاءها، ثم جَعَلَ يوم
الاستجابة يوماً عظيماً مُقَابِلَ أيام الظُّلَمَةِ والمَآسِي.

وأتَصَفَ هذا اليوم في روايات آل محمدٍ بصفاتٍ جليلةٍ منها أنه:

١. يَوْمُ نَزْعِ السَّوَادِ!

إنَّ أحزانَ آل محمدٍ عليهم السلام عظيمةٌ، وأشدّها على قلوبهم أيام الحسين عليه السلام،
فيبدأ حزنهم من عاشورائه إلى أربعينه، حتى شهادة الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله، وما تلبث
الأحزان أن تتجدَّدَ بالهجوم على الدَّارِ وإسقاط الجنين.

لا يُنَزَعُ السَّوَادُ عند الشيعة منذ بداية محرم إلا في تاسع ربيع، في اليوم الذي
يلي شهادة الإمام العسكري عليه السلام.

فما الذي جرى حتى نَزَعَ الشيعةُ السَّوَادَ في هذا اليوم؟

إنَّه اليوم الذي: أَقَرَّ اللهُ بِهِ عَيْنَ آلِ الرَّسُولِ! كما عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

هُوَ يَوْمٌ مَبَارَكٌ كان النبي صلى الله عليه وآله يهنئ فيه الحسين وبيارك لهما فيه ويقول:
كُلًّا، هَنِيئًا لَكُمَا بِبَرَكَتِهِ هَذَا الْيَوْمِ، فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي يُهْلِكُ اللهُ فِيهِ عَدُوَّهُ وَعَدُوَّ

(١) بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٧.

جَدُّكُمْ، وَيَسْتَجِيبُ فِيهِ دُعَاءَ أُمَّكُمْ! (١).

عندما يُهْلِكُ اللهُ تعالى عدوًّا له مستجيباً لدعاء الزَّهْرَاءِ عَلِيَّةَ، ينزِعُ المؤمنُ السوادَ استبشاراً بانتقام الله تعالى لها، واستجابة دعائها، ونصرها، كيف لا وهي التي (اسْمُهَا فِي السَّمَاءِ الْمَنْصُورَةِ)! (٢).

فأوَّلُ مَا يُفْعَلُ فِي هَذَا الْيَوْمِ هُوَ نَزْعُ السَّوَادِ، حَبًّا لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢. يَوْمُ عِيدِ اللهِ الْأَكْبَرِ!

ينزِعُ الْمُؤْمِنُونَ السَّوَادَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، ثُمَّ يَتَعَيَّدُونَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَئِمَّتُهُمُ الْأَطْهَارُ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ الْإِمَامَ الْمُعْصُومَ عَلِيًّا: قَدْ أَوْعَزَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ خَدَمِهِ أَنْ يَلْبَسَ مَا يُمْكِنُهُ مِنَ الثِّيَابِ الْجُدُدِ، فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ..

إِنَّهُ الْإِمْتِثَالُ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَوْحَى عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَيْرِ خَلْقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يَا مُحَمَّدُ! .. إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ مَلَائِكَتِي فِي سَبْعِ سَمَواتِي (وَشِيعَتِكَ وَمُحِبِّيكِ) أَنْ يَتَعَيَّدُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي أَقْبِضُهُ إِلَيَّ ..

يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ وَلِمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَشِيعَتِهِمْ، وَالْبَيْتُ عَلَى نَفْسِي بِعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعُلُوِّي فِي مَكَانِي لِأَحِبُّونَ مَنْ تَعَيَّدَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُحْتَسِبًا ثَوَابَ الْحَافِقِينَ! (٣).

(١) بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص ٣٢١.

(٣) بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٥.

الأمير بالتعبد هنا هو الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(١)، وقد حانت ساعة الانتقام الأول في دار الدنيا مما جرى على الزهراء عليها السلام، فصار اليوم الذي قبض الله فيه عدوه الظالم لها عيداً.

إن ربّ السماوات والأرض هو الذي جعل هذا اليوم عيداً، وهو لا يختص بالملائكة، بل هو عيدٌ لخير خلقه وأحبهم إليه صلى الله عليه وآله، ولأهل بيته عليهم السلام، ومن شايعهم وأحبهم واتبعهم، ليشيهم على ذلك عطاءً جزياً.

فماذا يعني ذلك!؟

لسنا نزعمُ الإحاطة بما يستبطن التعبد في هذا اليوم من حكم على كثرة ما يظهر منها، ولكن يكفينا قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه الشريف: كُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٍ!^(٢).

فكيف يكون اليوم الذي يُقتلُ فيه من كان رأساً لكل المعاصي، وقد ورد عنهم عليهم السلام: وَمَا مِنْ مَّحْجَمَةٍ دَمٍ تَهْرَاقُ إِلَّا وَهِيَ فِي رِقَابِهِمَا!^(٣).
لقد قبض الله في هذا اليوم من أسس أساس الظلم والجور على آل محمد، ومن فتح باب أعظم المعاصي على مصراعيه، وأبشع الظلمات على آل محمد، فكان يوم الانتقام منه (عيد الله الأكبر)، وكان (يوم فرح الشيعة)، و(يوم سرور أهل البيت)!

(١) آل عمران ٤.

(٢) نهج البلاغة، حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) تقريب المعارف ص ٢٤٧.

فهنيئاً لمن تعيّد فيه وتقرّب إلى الله تعالى بذلك.

٣. يَوْمُ الْغَدِيرِ الثَّانِي!

لَقَدْ وُصِفَ هَذَا الْيَوْمَ بِأَنَّهُ (يَوْمُ الْغَدِيرِ الثَّانِي)، وبما وصف به الغدير الأول، فالغدير المعروف هو: عيدُ الله الأَكْبَرُ^(١)، ويوم فرحة الزَّهْرَاءِ كَذَلِكَ!

فلماذا اشتركا في هذين الوصفين؟ وماذا يعني ذلك؟

لقد وُصِفَ الْغَدِيرُ عَلَى لِسَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ: يَوْمُ دَحْرِ الشَّيْطَانِ!^(٢)، وعلى لسان الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ: يَوْمُ مَرْغَمَةِ الشَّيْطَانِ!^(٣).

وشابههُ يَوْمُ فرحة الزهراء لآئته: يَوْمُ هَدْمِ الضَّلَالَةِ! ولآئته: الْيَوْمُ الَّذِي يَتَكَسَّرُ فِيهِ شَوْكَةُ مُبْغِضٍ جَدِّكُمْ! كما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقد عَظُمَ أَمْرُ عيد الغدير الأوَّل حيث أُرْغِمَ أَنْفُ الشَّيْطَانِ فِيهِ، وقد صار رمزاً للولاية الحققة، والإمامة العظمى.

وعَظُمَ أَمْرُ عيد الغدير الثاني حيث قُتِلَ فِيهِ مِنْ أَسَسِ الظُّلْمِ وَالْجُورِ وَفَتَحَ بَابَ الضَّلَالَةِ، وانكسرت شوكته، وقد صار رمزاً للبراءة.

وقد روي عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: كَمَالُ الدِّينِ:

١. وَلَا يَتُّنَا.

(١) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١٤٣.

(٢) مصباح التهجد ج ٢ ص ٧٥٦.

(٣) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٦٤.

٢. وَالْبِرَاءَةُ مِنْ عَدُوِّنَا^(١).

فالغديرُ الأولُ رمزُ الولايةِ الأعظمِ، والغديرُ الثاني رمزُ البراءةِ الأوضحِ. وبالولايةِ والبراءةِ يكُمُلُ الدينُ، وينقصُ بنقصانِ أحدِ هذينِ الركنينِ. بهذا صارَ يومُ التاسعِ من ربيعِ الأولِ عيداً عظيماً من أعيادِ الله، ورمزاً للبراءةِ من أعداءِ الله.

ولا يزالُ المؤمنونَ يستذكرونَ فيه وفي غيره من الأيامِ وليَّ أمرهم وإمام عصرهم الحجةَ بن الحسنِ المهدي عجل الله فرجه، وينتظرونَ طلعتَه البهيَّةَ، ويعلمونَ أنَّ تمامَ هذا السُّرورِ في أخذه بالثَّارِ، وانتقامه من ظالمي آلِ محمدٍ في الدُّنيا قبل الآخرة. اللهم أقرَّ عيوننا برؤيتِهِ، واجعلنا من جنده، الذين تُدخلُ بهم السرورَ على أوليائِكَ، بالانتقامِ من أعدائِكَ، يا أرحمَ الرَّاحمينِ.

والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) مستطرفات السرائر ص ٢٦٦.

(٢) ليلة التاسع من ربيع الأول ١٤٤٣ هـ الموافق ١٥ - ١٠ - ٢٠٢١ م.

الفصل الثاني: ظلامتها وقهرها

١٢. نار.. في الدار.. تسفع وجه الزهراء!!

بسم الله الرحمن الرحيم

وَرَكَلَ الْبَابَ بِرِجْلِهِ، فَرَدَّهُ عَلَيَّ وَأَنَا حَامِلٌ، فَسَقَطْتُ لِرُجْوَيْهِ، وَالنَّارُ تُسْعَرُ،
وَتَسْفَعُ وَجْهِي! (١).

هذه كلمات الزهراء عليها السلام، سيّدة النساء، تتحدّث عمّا فعله الثاني عندما
اقتحم وحزبه دارها، وأسقطوا جينها.

ينقل العلامة المجلسي الخبر في بحاره، فتَهَيِّجُ لهولهُ قلوب الموالين،
وتضطرب أركانهم.

النار تُسْعَرُ، وَتَسْفَعُ وَجْهَ الزَّهْرَاءِ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..

نحاول الاستعانة بعلماء اللغة لفهم المراد من اللفظ.

نعود للصاحب بن عباد (توفي ٣٨٥هـ) فنراه يقول: سَفَعَتَهُ النَّارُ وَالسَّمُومُ
سَفْعًا: لَفَحَتَهُ (٢).

النار تَلْفَحُ وَجْهَ الزَّهْرَاءِ، أَي تَصِيبُ وَجْهَهَا: لَفَحَتَهُ النَّارُ: أَصَابَتْ
وَجْهَهُ (٣).

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٤٩.

(٢) المحيط في اللغة ج ١ ص ٣٧٠.

(٣) المحيط في اللغة ج ٣ ص ١٠٦.

ثم نعود بالزمن قليلاً إلى الوراء، لنرى ما يقول الخليل بن أحمد (توفي ١٧٥هـ)، فإذا بالفراهيدي يضيف معنى آخر:

النار تَسْفَعُ الشيء إذا لفحته لفحاً يسيراً فغيّرت لون بشرته.. ولا تكون السُّفْعَةُ في اللون إلا سواداً مشترباً حمرة^(١).

ويقول: لَفَحَتْهُ النار: أي أصابت وجهه وأعالى جسده فأحرقته^(٢).
ههنا يتوقف المؤمن ملياً..

هل لفحت النار وجه الزهراء عليها السلام حتى غيّرتَه؟!!

أليس وجهها هو الذي كان يشعُّ ويزهرُ نوراً لأهل المدينة؟

أما روي عن الصادق عليه السلام قوله: كَانَ يَزْهَرُ نُورٌ وَجْهَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ وَالنَّاسُ فِي فُرُشِهِمْ، فَيَدْخُلُ بَيَاضُ ذَلِكَ النُّورِ إِلَى حُجْرَاتِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، فَتَبْيِضُ حَيْطَانُهُمْ^(٣).

لقد كان أهل المدينة يعجبون من ذلك، فيأتون النبي صلى الله عليه وآله ويسألونه فيرسلهم إلى منزلها عليها السلام: فَيَرَوْنَهَا قَاعِدَةً فِي مَحْرَابِهَا تُصَلِّي، وَالنُّورُ يَسْطَعُ مِنْ مَحْرَابِهَا مِنْ وَجْهِهَا.

وجهٌ كان النورُ يسطع منه لأهل المدينة، تسفَعُهُ النار، وأهلُ المدينة لا حسُّ ولا خَبْرٌ، بين محاصرٍ لدارها، ومتخاذلٍ في داره، يسمع واعيتها ولا يجيبها.

(١) كتاب العين ج ١ ص ٣٤١.

(٢) كتاب العين ج ٣ ص ٢٣٤.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ١٨٠..

أما أمير المؤمنين عليه السلام، فما كان حاله؟!
 سلام الله عليك يا أمير المؤمنين، في هذه الأيام فقدت من كانت تزهر لك:
 في النهار ثلاث مرّات بالنور! فأبي فقد هذا!
 كانت تزهر لك بالنور، ويزهّر وجهها لك، فاستعرت النار في بابها
 وسفّعت وجهها!

ماذا حلّ بك يا أمير المؤمنين وأنت ترى ذلك المشهد؟!
 أي قلب عظيم قلبك حتى تمكّن من تحمّل هذه الفاجعة!
 إنّ للنار مع عليّ قصصاً وروايات ومواقف:
 الموقف الأول: أنها ما خلقت لولا إنكار ولايته عليه السلام!
 ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالبٍ
 لما خلق الله النار^(١).

فكيف لا تكون النار مطواعة له؟! مستجيبةً لأمره؟!
 الموقف الثاني: أنّ نور عليّ يطفئ هبّ النار يوم القيامة!
 لقد روي عن يوم الجزاء: فيقبّل عليّ عليه السلام ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار،
 حتّى يقف على شفير جهنّم، ويأخذ زمامها بيده، وقد علا زفيرها واشتدّ حرّها
 وكثرت شررّها. فتنادي جهنّم: يا عليّ! جزني قد أطفأ نورك لهبي!
 فيقول لها عليّ عليه السلام: قري يا جهنّم، ذري هذا وليّي، وخذي هذا عدوّي^(٢).

(١) بشارة المصطفى لشعبة المرتضى ج ٢ ص ٧٥.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٢٦.

فواعجباً للنار كيف تقرُّ لعلِّي عليه السلام يوم الجزاء، وتخضع له وتطيعه وهو قسيمها.. وواعجباً لنار الدار كيف اضطرمت واشتعلت وعلت حتى سفعت وجه الزهراء!

أما كان حرياً بك يا نار دار الزهراء أن تقتدي بنار جهنم؟! فينطفئ هُبُّكَ لنور عليٍّ والزهراء.

إنَّ لهذه الدنيا قانونها، وقد أبى الله أن تجري الأمور فيها إلا بأسبابها إلا لحكمة، فاشتعلت النار في باب بيت الأمير والصدّيقة، فكان ما كان.

الموقف الثالث: أن لوجوه الكفار والمجرمين نصيباً من النار يوم القيامة!

لقد وصف القرآن الكريم المجرمين المُقرَّنين في الأصفاد يوم القيامة فقال: ﴿وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾^(١)، ووصف الكافرين بأنهم ﴿لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهُمُ النَّارَ﴾^(٢)، ووصف من خفت موازينه وكان يكذبُ بآيات الله بأنهم: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(٣).

ههنا نستعيد عبارة الزهراء عليها السلام: فَسَقَطَتْ لِوَجْهِي، وَالنَّارُ تُسْعِرُ، وَتَسْفَعُ وَجْهِي! أي تلفح وجهي، ونقارنها مع قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾.

فهل الجزاء في هذه الآية هو عقابٌ لهذا الفعل؟ لما فعلوه بالزهراء عليها السلام؟ أم هو عقابٌ عامٌ لكلِّ مَنْ في النار؟

(١) إبراهيم ٥٠.

(٢) الأنبياء ٣٩.

(٣) المؤمنون ١٠٤.

إنَّ في الروايات الشريفة إشارات على أنَّ أئمة الكفر وقادة الضلال، مستحلِّي الحرمة من عليٍّ والزهراء، هم الأخرسون الذين تلفح وجوههم النار. ولئن اشترك معهم أهل النار في بعض صور هذا العذاب أو سواه، فإنَّ لهم عذاباً لا نظير له..

أُتْضِرُّمُ النارِ ببابِ الزهراءِ وتَسْفَعُ وجهَهَا ثم لا تجازيهم نارُ جهنمِ؟

لقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله في أهل النار:

وَمِنْهُمْ (أئمة الكفرِ وقادة الضلالة)، فأولئك لا يُقيمُ لهم وزناً، ولا يُعبأ بهم بأمرِهِ ونهْيِهِ يومَ القيامةِ، وهم ﴿في جهنم خالِدُونَ﴾ و﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجُونَ﴾^(١).

وفي زيارته عليه السلام يوم الغدير:

فَلَعَنَ اللهُ (مُستَحِلِّي الحرمةِ مِنكَ، وذائدي الحقِّ عنكَ)، وأشهدُ أنَّهم الأخرسون، الَّذِينَ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجُونَ﴾^(٢).

وشرُّ هؤلاء الأئمة - أئمة الكفر وقادة الضلال - هم الذين أضرمو النار

في بابها حتى سَفَعَت النار وجهها عليها السلام.

وهذا شيءٌ يسيرٌ من عذابهم، فمن أحرق باب الزهراء لا يُكتفى بأن تلفح النار وجهه وإن كانت جزاءً له، بل يكون حاله: في جُبِّ في فَعْرِ جَهَنَّمَ في تَابُوتٍ مُقَفَّلٍ، على ذلك الجُبِّ صخرةٌ، إذا أراد الله أن يُسَعِّرَ نارَ جَهَنَّمَ كَشَفَ تِلْكَ

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) المزار ص ٧٣.

الصَّخْرَةَ عَنْ ذَلِكَ الْجُبِّ، فَاسْتَعَاذَتْ جَهَنَّمَ مِنْ وَهَجِ ذَلِكَ الْجُبِّ^(١).
هذا شيءٌ من حكايا النار.. مع أعداء الزهراء..
لن يُحْرِقَ بابها وتسفع النار وجهها دون جزاء.
إنّا لمحكمة العدل الإلهية منتظرون، وللحجة المنتظر في ذكرى شهادة أمّه
الزهراء معزّون، فالخطبُ جليل، والفقدُ عظيم.
فإنّا لله وإنّا إليه راجعون^(٢).

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٨٦.

(٢) الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٩ - ١٢ - ٢٠٢٠ م.

١٣. شياطين.. على باب الزهراء!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١).

لقد روى يعقوب الأحمري فقال:

دَخَلْنَا عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نُعْزِيهِ بِإِسْمَاعِيلَ، فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَعَى إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٢).

إنَّ التعزيةَ على الميِّتِ سنةٌ يلتزم بها جُلُّ بني البشر، وتحثُّ عليها الشرائع السماوية، فهذا يعقوب الأحمري أحد أصحاب الإمام الصادق عَزَّ وَجَلَّ يعزِّيه مع جمعٍ من المؤمنين بابنه اسماعيل.

وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: مَنْ عَزَّى مُصَاباً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجْرِ الْمُصَابِ شَيْئاً (٣).

وقد كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحثُّ في حياته على تعزية المصاب، وهو العالم بأنَّه سيأتي يومٌ يتوفاه الله فيه إليه، وكان أن جاء ذلك اليوم، حين استأذن ملك الموت على سيدِّ الكائنات وخير المخلوقات، ثم قبضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن الباقر عَزَّ وَجَلَّ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاتَ آلُ مُحَمَّدٍ عَزَّ وَجَلَّ بِأُطُولِ لَيْلَةٍ،

(١) آل عمران ١٨٥.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٥٦.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٢٠٥.

حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ لَا سَمَاءَ تُظِلُّهُمْ وَلَا أَرْضَ تُقَلِّهُمْ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَتَرَ الْأَقْرَبِينَ
وَالْأَبْعَدِينَ فِي اللَّهِ (١).

لقد كانت ليلة فقد الرسول ﷺ أطول ليلة على آل محمد، فالخطب جليل
عظيم.

لكن، هل توقع آل محمد تعزيةً من الأمة تُخفف عنهم حزنهم؟!
إنهم العالمون بمآل الأمور، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكانت
أطول ليلة عليهم.

لقد ورد في الحديث: كَفَاكَ مِنَ التَّعْزِيَةِ بِأَنَّ يَرَاكَ صَاحِبُ الْمُصِيبَةِ (٢).
ههنا قد يتساءل المؤمن ساخرًا:

هل أرادت الأمة أن تمثل هذا الحديث، وتعزي آل محمد ﷺ، فجاءت إلى
باب الدار بالخطب لتحرقه؟!

أوليس في رؤية صاحب المصيبة للمعزي كفاية؟! فيها هي الأمة قد
اجتمعت لتعزي الزهراء ﷺ بأبيها.. لكنّها تعزيةً من نوع خاص! تعزيةً بالخطب
والنيران!

إنّ لكلّ حزنٍ حدًّا وأمداً، ثم يخفف الله عن صاحبه حده، ويقصّر أمده،
لكنّ حزن الزهراء من صنفٍ آخر، إنّه حُزنٌ لا يمكن لنا أن ندرك حقيقته
وجوهره وأبعاده، كيف وقد ورد في الحديث أن حزنها (لا يعلمه إلا الله)!

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٧٤.

فَهَلْ مَحَلُّهَا مِنَ النَّبِيِّ كَمَحَلِّنا مِنْهُ ﷺ حَتَّى يَكُونَ حَزْنُهَا كَحَزْنِنَا؟ أَمْ مَعْرِفَتُهَا بِالنَّبِيِّ كَمَعْرِفَتِنَا بِهِ؟! وَهِيَ بَضَعَتْهُ وَهَدَيْتَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ.

لَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ ؑ مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزْنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا يُسَلِّي عَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا^(١).

إِنَّهُ جَبْرَائِيلُ: كَانَ جَبْرَائِيلُ ؑ يَأْتِيهَا فَيُحْسِنُ عَزَاءَهَا عَلَى أَبِيهَا^(٢).

لَا يَعْلَمُ مَقْدَارَ حَزْنِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ تَحْيَلُنَا وَتَصَوِّرُنَا لِنَسْتَمَكِنَ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا انْحَصَرَتْ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهَا عَظِيمًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُحْسِنُ عَزَاءَهَا.

لَكِنَّ الْأُمَّةَ مَا قَبِلَتْ بَعْزَاءَ جَبْرَائِيلَ وَحْدَهُ، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَشَارِكَهُ فِي عَزَائِهَا، فَاجْتَمَعَتْ عَلَى بَابِ دَارِهَا!

هَذِهِ الدَّارُ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَأْذِنُ قَبْلَ الدَّخُولِ إِلَيْهَا، كَمَا يَرُوي عُمَرَانُ بْنُ الْحَصِينِ حِينَ يَنْقُلُ وَاقِعَةَ ذَهَابِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَابِ فَاطِمَةَ:

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقُمْتُ مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ فَاطِمَةَ فَقَالَ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتِي، أَأَدْخُلُ؟ قَالَتْ: ادْخُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: أَنَا وَمَنْ مَعِيَ؟^(٣).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٤١.

(٣) كشف اليقين ص ٤٥٦.

يستأذن ﷺ لنفسه ولمن معه، فإذا لم يسمع جواباً، قعد جانباً بأبي هو وأمي!

كذلك ينقل ابن عباس فيقول: انطلقنا مع النبي ﷺ فنأدى على باب فاطمة ثلاثاً، فلم يجبه أحدٌ، فمال إلى حائطٍ فقعده فيه وقعدت إلى جانبه^(١).

لقد فقدت الزهراء بفقد النبي ﷺ أعظم شخص في الوجود، وأعزهم على قلبها، من لا يدخل عليها بغير استئذان، وها هي الأمة تعزيها.

قال سليم: قلت يا سلمان * * * هل هجموا ولم يك استئذان

فقال: اي وعزة الجبار * * * وما على الزهراء من خمار

قلت لسلمان: أَدخلوا على فاطمة ﷺ بغير إذن؟

قال: إي والله، وما عليها من خمار^(٢).

هكذا تأتي أمة خاتم الأنبياء لتعزي بضعته الطاهرة! يقف القوم على باب الزهراء الذي كان النبي ﷺ يأخذ بعضادتيه ويقول: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(٣).

فكيف كانت تعزيتهم للزهراء؟

فقال عمر لفاطمة:

أُخْرِجِي مَنْ فِي الْبَيْتِ وَإِلَّا أَحْرَقْتُهُ وَمَنْ فِيهِ.. وَفِي الْبَيْتِ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ

(١) مناقب آل أبي طالب ﷺ ج ٤ ص ٢٠.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي ج ٢ ص ٥٨٧.

(٣) تفسير فرات الكوفي ص ٣٣٩.

وَالْحُسَيْنُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ .

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: أَفْتَحِرُقُ عَلِيَّ وَلِدِي؟

فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ، أَوْ لِيَخْرُجَنَّ وَلِيَبَايَعَنَّ^(١).

لقد اجتمعت الشياطين على باب الزهراء.. بعدما فقد الخاتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. وعلى رأسها شيطانان طالما آذيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته.

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَفِي أُمَّتِهِ شَيْطَانَانِ يُؤْذِيَانِهِ وَيُضِلَّانِ النَّاسَ بَعْدَهُ^(٢).

فكأنما ما اكتفيا بأذيته في حياته، وإضلال الأمة من بعده، فأرادا تعزية الزهراء بأسلوبهما! ففعلا ما فعلا.

اللهم إنا ندعوك بما تدعى به على باب المسجد الحرام: اللهم.. اذراً عني شرَّ شياطين الإنس والجنِّ، وشرَّ فسقة العرب والعجم^(٣).

سلام الله عليك يا زهراء..

أنت من أهل بيت ابتي الناس بهم وامتحنوا..

من أحبهم نجا..

ومن عزّاهم شاركهم في ثوابهم.

ومن اتّبع شياطين الإنس الذين أحرقوا بابهم كان لجهنم حطباً.

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٢١٤.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٤٠٢.

كفأك من التّعزيتة بآن يرآك صآحبُ المُصيتة ..
وهذه آيآمٌ يرى فيها الإمام الحجّة عآلله عآلهم من يشترك في عزآء أمّه الزهراء ..
كآ رآت هي من اشترك في عزآء أبيها النبي صآلله عآلهم .
فإنآ لله وإنآ إليه رآجعون^(١) .

(١) الأربعاء ١٥ جمآدى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ٣٠ - ١٢ - ٢٠٢٠ م .

١٤. إذا سميتها فاطمة.. فلا تضربها!

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأُدُّ الْبَنَاتُ: عادة جاهلية نهى عنها رسول الله ﷺ فيما نهى، فقد بُعث إلى قوم: قَطَّعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَدَفَنُوا فِي التُّرَابِ الْمَوْءُودَةَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ^(١).

لم ترتفع كلُّ ترسبات الجاهلية بعد عشرات من السنين، فقد توقَّف وأدُّ البنات، لكن بقي شيءٌ من الكراهية لإنجابهنَّ، وقد دخل (السكوني) يوماً على الإمام الصادق عليه السلام وهو (مغمومٌ مكروبٌ)، فسأله الإمام عن عمِّه، فقال: **وُلِدَتْ لِي ابْنَةٌ!**

فقال الإمام عليه السلام: **يَا سَكُونِي، عَلَى الْأَرْضِ ثِقَلُهَا، وَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، تَعِيشُ فِي غَيْرِ أَجَلِكَ، وَتَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِكَ^(٢).**

كلماتٌ عظيمةٌ من إمامٍ عظيم، فلا أنت يا سكوني تحملها ولا أنت ترزقها، فمن يرزقك يرزقها، لن تأخذ من عمرك شيئاً ولا تشركك فيما أعطاك الله، بل الرازق لك رازق لها.

سرى الإمام بكلامه عن السكوني فانكشف غمُّه، لكنه عليه السلام سأله عن اسمها.

فقال لي: **مَا سَمَّيْتَهَا؟**

(١) الكافي ج ١ ص ٦١.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٨.

قُلْتُ: فَاطِمَةَ.

قَالَ: آهِ آهِ.

يتأوّه الصادق لما سمع باسم فاطمة، وكيف لا يتأوّه وهو العالم بمكانتها عند الله ورسوله، وهو العالم بحقيقة ما جرى عليها، كيف لا يتأوّه على مَنْ ظَلِمَتْ ولم تتمكّن من بثّ شكواها إلى أحد؟!!

لقد بلغنا من ظلامتها عن لسانها في رواية واحدة أنهم:

- فَجَمَعُوا الْحَطَبَ الْجَزَلَ عَلَى بَابِنَا.

- فَأَخَذَ عُمَرُ السَّوْطَ مِنْ يَدِ قُنْفُذٍ.. فَضْرَبَ بِهِ عَضُدِي.

- فَالْتَوَى السَّوْطَ عَلَى عَضُدِي حَتَّى صَارَ كَالدُّمْلُجِ.

- وَرَكَلَ الْبَابَ بِرِجْلِهِ فَرَدَّهُ عَلَيَّ وَأَنَا حَامِلٌ.

- فَسَقَطْتُ لِرُجْهِ وَالنَّارُ تُسْعَرُ وَتَسْفَعُ وَجْهِي.

- فَضْرَبَنِي بِيَدِهِ حَتَّى انْتَثَرَ قُرْطِي مِنْ أُذُنِي.

- وَجَاءَنِي الْمَخَاضُ فَأَسْقَطْتُ مُحْسِنًا قَتِيلًا بَغَيْرِ جُرْمٍ^(١).

كلُّ هذه المصائب العظيمة وردت في رواية واحدة عن لسانها! فلو جُمِعَ ما ورد في سائر الروايات لكان عجباً.

رغم كل هذا، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَثِّهِ سَبِيلًا!^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٤٨.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٩.

فما الذي جرى عليها فوق ذلك مما اعتلج بصدرها ولم تجد إلى بثه سبيلاً؟! ذاك ما يعلمه الله، والإمام، وها هو صادق آل محمد يتأوه على أمه الصديقة الشهيدة المظلومة، ثم: وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَالِدِهِ.. إِذَا كَانَتْ أُنْثَى أَنْ يَسْتَفْرِهَ أُمَّهَا: إِنَّ مِنْ مَعَانِي الْإِسْتِفْرَاهِ الْإِكْرَامَ، أَي يَكْرَمُهَا، فَيَصِيرُ إِكْرَامَ الْأُمِّ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَالِدِ!

ما أعظم هذا المعنى! وهو حقٌّ مشتركٌ لو كان الولد ذكراً أو أنثى.

ومن يؤدي حقه كأمير المؤمنين؟ ومن يكرم الأم أمام أبنائها كعليّ ؑ؟

لظالما رأى الحسن والحسين وزينب ؑ أعظم إكرامٍ لأهمهم من أبيهم، ثم رأوا ما يثير العجب: أجلافٌ على بابها! طغاةٌ يحرقون دارها! فآه آه مما جرى عليها، وعلى أولادها.

وللائنى حقٌ آخر على أبيها، يقول ؑ: وَيَسْتَحْسِنُ اسْمَهَا: وهل من اسمٍ أحسن من (فاطمة) يسميها به النبي ﷺ؟!!

السكوني قد أسمى ابنته فاطمة فأذى هذا الحق على أكمل وجه.

لكنَّ هذا الحق يستتبعُ أمراً آخر: إِنَّ تَسْمِيَتَهَا بِ(فاطمة) يوجب عليه حقاً جديداً، لخصيصةٍ في اسم (فاطمة)، أليس اسماً لسيدة النساء المظلومة المقهورة؟ يقول ؑ للسكوني: أَمَّا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلَا تَسْبِّهَا، وَلَا تَلْعَنُهَا، وَلَا تُضْرِبُهَا^(١).

فمن أسمى ابنته فاطمة صار منهيّاً عن ضربها!

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٩.

فكيف بفاطمة التي تُسمى الفتيات باسمها؟!
 ما حال ضاربها؟! ومُحَرَّق بابها، ومُسَقِط جنينها؟
 إنَّهم أعرابٌ أجلافٌ، همَّجٌ رعا، جفاةٌ فُساءة، لا رحمة عندهم ولا لين، لا
 ذمَّة لديهم ولا دين.

تنهى الشريعة عن ضرب أيِّ فاطمةٍ في الوجود، حتى في مثل ضرب الأب،
 وهو ضربٌ غالباً ما يكون رقيقاً للتأديب، فينهي الإمام عليه السلام السكونيَّ عن أن
 يضرب ابنته فاطمة.. لكنَّ فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله تضرب، وأيُّ ضربٍ!
 لقد استبدلت بعد العزم مع الرسول وابن عمِّه ضرباً من القساة الجفاة.. فلا
 تُضربَنَّ بعد ذلك أيُّ فاطمة!

هي رسالةٌ لمن في قلبه مقدارٌ ذرَّةٍ من عدلٍ وإنصاف: كلُّ (فاطمةٍ) مكرَّمةٌ
 لاسمها، وفاطمة الصديقة الكبرى تُهان ويعتدى عليها! ثم توالي الأمة هؤلاء
 المعتدين، وتجعلهم خلفاء الله في أرضه؟!

أما فيكم أيُّها المسلمون عرِّق ينبض؟ أما فيكم ذرَّةٌ من شرفٍ وضمير؟!
 سيبقى الخنوع رقيقاً للمسلمين، ما لم يبرؤوا وسائر الدنيا ممن ضرب فاطمة
عليه السلام وقتلها..

وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) الجمعة ١٧ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ١ - ١ - ٢٠٢١ م.

١٥. لِمَ لَمْ تَسَامِحِ الزَّهْرَاءَ؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

في الآية المباركة خطابٌ إلهيٌّ من الله تعالى، يأمر فيه نبيه بالعتفو والصفح، فهو من خير خصال المحسنين، وقد أشرك تعالى المؤمنين في أمثاله فقال: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣).

تثيرُ هذه الآيات سؤالاً في أيام الزهراء عليها السلام:

لِمَ لَمْ تَعْفُ الزَّهْرَاءَ وَتَصْفَحْ وَتُسَامِحْ ظَالِمِيهَا؟! أليست أقرب الناس لأبيها صلى الله عليه وآله? هل من يعلم تعاليمه كما تعلم؟! ويلتزم بها كما تلتزم؟! فلماذا لم تسامح من ظلمها أبداً حتى شهادتها؟! وهي التي روى البخاري أمها: غضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت^(٤).

وروى الحاكم وغيره بسندٍ صحيح قول النبي صلى الله عليه وآله لها: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك^(٥).

(١) المائدة ١٣.

(٢) البقرة ١٠٩.

(٣) البقرة ٢٣٧.

(٤) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٢.

(٥) المستدرک ج ٣ ص ١٥٣.

فلماذا غضبت عليهما؟ وفي غضبها غضب الجبار، ولماذا ظَلَّت تدعو عليهما حتى ماتت؟ وقد قالت لهما: ولئن لقيتُ النبيَّ لأشكونكما إليه..

وقالت للأول منها: والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها^(١).

فهل أن الأمر بالصفح والعتو لم يكن عاماً؟ أمس أن القوم ما كانوا مستحقين لذلك؟ وإذا كانت عائشة لا تفعل إلا ما هو راجح، فكيف صار العفو عنهم مرجوحاً؟

نعود إلى كتاب الله تعالى، فنرى أنّها ما حادّت عنه يوماً وهي المعصومة المطهرة، ويتضح من كتاب الله والسنة أمورٌ منها:

الأمر الأول: أن العفو ليس ممدوحاً دائماً

فإنّ من الناس من يستحق العفو ومنهم من لا يستحقه، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(٢)، وقد روي عن الباقر عائشة قوله: نزلت في التيميّ والعدويّ والعشرة معها^(٣).

لقد نزلت الآية المباركة في الأوّل والثاني، فما استحقَّ عفو الزهراء عائشة، وما كان العفو بحقّها راجحاً.

(١) الامامة والسياسة ج ١ ص ٣١.

(٢) التوبة ٦٦.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٩٥.

الأمر الثاني: أن الله أولى بالعضو لو كان راجحاً

والله تعالى ما عفى عنهم، فعلمَ بذلك عدم استحقاقهم للعفو، لأنهم المصداق الأبرز لقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً﴾^(١).

وقد روي عن الصادق عليه السلام أنها نزلت في الذين: ظلموا آل محمد عليهم السلام ^(٢). وهؤلاء أئمة الظالمين لآل محمد عليهم السلام.

الأمر الثالث: أن النبي والإمام أولى بالعضو لو كان راجحاً

وما عفى النبي ولا الإمام عنهم، ففي الحديث عن الباقر عليه السلام في الأول والثاني:

فَوَ اللَّهِ مَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ قَطُّ إِلَّا سَاخِطاً عَلَيْهَا، وَمَا مِنَّا يَوْمَ إِلَّا سَاخِطاً عَلَيْهَا، يُوصِي بِذَلِكَ الْكَبِيرُ مِنَّا الصَّغِيرَ، إِنَّهُمَا ظَلَمَانَا حَقًّا وَمَنْعَانَا فَيْئْنَا وَكَانَا أَوْلَ مَنْ رَكِبَ أَعْنَاقَنَا، وَبَثَقَا عَلَيْنَا بَثْقًا فِي الْإِسْلَامِ لَا يُسْكِرُ أَبَدًا حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا..
وَاللَّهُ مَا أَسْسَتْ مِنْ بَلِيَّةٍ وَلَا قَضِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا هُمَا أَسَّسَا أَوْلَهُمَا، فَعَلَيْهِمَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٣).

وقوله عليه السلام (مَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ قَطُّ إِلَّا سَاخِطاً عَلَيْهَا) يشمل رسول الله

(١) النساء ١٦٨.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ١٥٩.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٢٤٥.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وسائر الأئمة المعصومين عَلَيْهِ، أَفْهَلُ تُخَالِفُ الزَّهْرَاءُ رَبَّهَا وَأَبَاهَا رَسُولَ
اللهِ وَبِعَلَّهَا وَأَبْنَاءَهَا الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ؟!
لقد استحقَّ السخَطَ من الله ورسوله والأئمة والمؤمنين بما أسَّسَا لكلِّ بلاءٍ
وقع على آل محمد عَلَيْهِ.

الأمر الرابع: أنهما ما آمنَّا بالله طرفتَا عين

فهما لذلك لا يستحقان العفو، فقد: أَسْلَمَا طَمَعًا^(١)، وصرَّح الثاني منها بأنه
غير مؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ حين حَدَّثَ عن هجومه على دارها عَلَيْهِ فقال:
فَسَمِعْتُ لَهَا زَفِيرًا وَبُكَاءً، فَكِدْتُ أَنْ أَلَيْنَ وَأَنْقَلِبَ عَنِ الْبَابِ، فَذَكَرْتُ
أَحْقَادَ عَلِيٍّ، وَوُلُوعَهُ فِي دِمَاءِ صَنَادِيدِ الْعَرَبِ، وَكَيْدَ مُحَمَّدٍ وَسِحْرَهُ، فَرَكَلْتُ
الْبَابَ^(٢).

وعن الباقر عَلَيْهِ: وَإِنَّ الشَّيْخَيْنِ فَارَقَا الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُوبَا، وَلَمْ يَتَذَكَّرَا مَا صَنَعَا
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ^(٣).

الأمر الخامس: أنهما من الأئمة الدُّعَاة إِلَى النَّارِ

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَزِمَتْ الْبِرَاءَةُ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ

(١) كمال الدين ج ٢ ص ٤٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٤.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٢٤٦.

إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿١﴾.

وقد اجتمعت فيهما صفات إمام الجور، فعن الباقر عليه السلام في صفات هؤلاء الأئمة:

١. يُقَدِّمُونَ أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَمْرِ اللَّهِ.

٢. وَحُكْمَهُمْ قَبْلَ حُكْمِ اللَّهِ.

٣. وَيَأْخُذُونَ بِأَهْوَائِهِمْ خِلَافًا لِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ^(٢).

وهم بغاة حكم الجاهلية، الذين قالت لهم عليه السلام:

وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ^(٣).

فإذا كان الله تعالى لم يعف عنهم، أفهل يكون هؤلاء محلّ عفو النبيّ والزهراء والأئمة المعصومين؟!

وإذا كانت المصيبة التي أوقعوها على الزهراء عليها السلام قد أورثت علياً عليه السلام كمداً وهمّاً، حتى قال عليه السلام: فَمَا أَقْبَحَ الْخَضْرَاءَ وَالْغَبْرَاءَ ^(٤).

فهل للشيعي أن يسامح في ذكرى الزهراء؟! وأن يعفو عمّن استحق غضب الله تعالى؟!

(١) القصص ٤١.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٧١.

(٣) الاحتجاج ج ١ ص ١٠٢.

(٤) الكافي ج ١ ص ٤٥٩.

لهذا وغيره ما ساحت الزهراء.. وما سامح الشيعة يوماً.. وسيأتي أمر الله
تعالى.. فإننا منتظرون..
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) السبت ٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ٩ - ١ - ٢٠٢١ م.

١٦. فصعق علي.. حتى سقط على وجهه!!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد قرَنَ الله تعالى بين (الإمامة) و(الصبر) فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(١).

وعن الباقر عليه السلام: نَزَلَتْ فِي وُلْدِ فَاطِمَةَ عليها السلام^(٢).

هم أحد عشر نوراً، وأبوهم علي: الإمامُ أبو الأئمةِ الزُّهر^(٣).

ولما كانت الإمامة أعلى المراتب عند الله تعالى، لَزِمَ أن يكون الصبرُ في الآية متناسباً مع علوِّ درجتها، وأن يكون صَبْرُ كُلِّ صَابِرٍ دُونَ صَبْرِ الإِمَامِ، فأَيُّ صَبْرٍ هذا الذي تَحَمَّلَهُ الأئمةُ عليهم السلام حتى جعلهم الله أئمةً؟! وكيف كان صبرهم؟ إنَّ الصبرَ غالباً ما يكون على نزول البلاء، لكنَّ هناك صبراً آخر عايشه أميرُ المؤمنين والأئمة عليهم السلام قبل نزول البلاء.

وبما أن الله تعالى جعلهم أئمةً يهدون بأمره، وبشَّرَ بذلك نبيَّه صلى الله عليه وآله، فإنه تعالى أعلمهم بما يجري عليهم من قتلٍ وظلمٍ وتسلُّطٍ للطواغيت، ولَمَّا سُئِلَ الإِمَامُ الباقرُ عما يقع عليهم، قال عليه السلام:

يَا حُمْرَانَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَضَاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ، ثُمَّ أَجْرَاهُ. فَبِتَقَدُّمِ عِلْمِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ

(١) السجدة ٢٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي ص ٣٢٩.

(٣) كفاية الأثر ص ٨٨.

وَالْحُسَيْنُ، وَيَعْلَمُ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا^(١).

لا يخفى على الإمام المعصوم إذاً شيءٌ مما يجري عليه، فكلُّه في قضاء الله وقدره الممضى والمحتوم، الذي أجراه الله تعالى عليهم، وعلمهم سابقٌ لما يجري بتعليمٍ من الله تعالى.

لكن كيف وصل هذا العلم إلى الأئمة عليهم السلام؟

إنَّ من أبواب علومهم (وصية) يتناقلونها، تتضمن هذا العلم وسواه، وقد دلت الأخبار على أحداثٍ عظيمة جرت أثناء إنزال الله تعالى هذه الوصية.

الحدث الأول: الاجتماع العظيم

لقد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال:

نَزَلَتِ الْوَصِيَّةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كِتَابًا مُسَجَّلًا، نَزَلَ بِهِ جَبْرَيْلُ مَعَ أَمْنَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

فَقَالَ جَبْرَيْلُ: يَا مُحَمَّدُ، مُرِّ بِإِخْرَاجِ مَنْ عِنْدَكَ إِلَّا وَصِيكَ، لِيَقْبِضَهَا مِنَّا وَتُشْهِدَنَا بِدَفْعِكَ إِيَّاهَا إِلَيْهِ ضَامِنًا لَهَا، يَعْنِي عَلِيًّا عليه السلام.

فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِإِخْرَاجِ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَا خَلَا عَلِيًّا عليه السلام، وَفَاطِمَةَ فِيمَا بَيْنَ السُّتْرِ وَالْبَابِ^(٢).

لقد كان اجتماعاً عجبياً عظيماً، ضمَّ خيرَ خلقِ الله محمدٍ صلى الله عليه وآله، ووصيَّه أمير

(١) الكافي ج ١ ص ٢٨١.

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٨١.

المؤمنين عليه السلام، وفاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله معهم فيما بين الستر والباب، وجبرائيل أمين الله على وحيه، مع جمع من الملائكة (أمناء الله)، ومعهم (الوصية) كتاباً مسجلاً من عند الله تعالى.

إنهم صفة الخليفة، يجتمعون لأجل دفع وصية الله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله، ووصيتها لأمير المؤمنين عليه السلام، وفي الوصية عهد من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله، وشرط عليه، بشهادة الله تعالى وكفى به شهيداً، وبشهادة الملائكة الأمناء.

الحدث الثاني: حال النبي (ص)!

يقول الإمام عليه السلام: فَارْتَعَدَتْ مَفَاصِلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله!

خير خلق الله هو أشدهم خشية من الله تعالى، وقد ارتعدت مفاصله صلى الله عليه وآله قبل أن يستلم الوصية، بمجرد أن سمع من جبرائيل أنها (عهد الله وشرطه)، فأى خشية هذه من الله تعالى؟ وأي معرفة له بالله عز وجل؟!

قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، وَمَنْ أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وآله بالله، فمن يخشاه تعالى كرَسُولِهِ المصطفى صلى الله عليه وآله؟

ثم لما استلم النبي صلى الله عليه وآله الوصية، ذكر العهد لأمير المؤمنين عليه السلام، وشهد أمير المؤمنين للنبي صلى الله عليه وآله بالبلاغ والنصيحة والتصديق، وشهد لهما جبرائيل بذلك، وانتقلت الوصية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ضمن عليه السلام لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وآله الوفاء بها.

لقد كان في وصية النبي ﷺ بأمر الله تعالى: (مُوا لَاتِ مَنْ وَآلَى اللّٰهَ وَرَسُولَهُ) و(الْبِرَاءَةَ وَالْعَدَاوَةَ لِمَنْ عَادَى اللّٰهَ وَرَسُولَهُ).

هي الوصية التي أخبر بها النبي ﷺ علياً عليه السلام بـ (انْتِهَاكَ حُرْمَتِهِ)!
يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لَقَدْ سَمِعْتُ جَبْرَائِيلَ عليه السلام يَقُولُ لِلنَّبِيِّ:
يَا مُحَمَّدُ: عَرَفُهُ أَنَّهُ يُنْتَهَكُ الْحُرْمَةُ، وَهِيَ حُرْمَةُ اللّٰهِ وَحُرْمَةُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ،
وَعَلَىٰ أَنْ تُخْضَبَ لِحَيْتِهِ مِنْ رَأْسِهِ بِدَمٍ عَيْبٍ.
إنَّ جبرائيل عليه السلام يطلب من رسول الله أن يذكر لعليّس ما يجري عليه، و(أنه يُنْتَهَكُ الْحُرْمَةَ).

الحدث الثالث: فصعق عليّ!!

عليّ أول الأئمة الذين جعلهم الله أئمةً (لما صبروا)، ولقد عَلِمَ بانتهاك حرمة، وهي حرمة الله وحرمة رسوله، فحلّ به ما لا يكاد يُصدّق.
قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فَصَعِقْتُ حِينَ فَهَمْتُ الْكَلِمَةَ مِنَ الْأَمِينِ جَبْرَائِيلَ،
حَتَّى سَقَطْتُ عَلَى وَجْهِ!

عليّ الذي عَجَزَ عن مجاراته كلّ الرجال، وكان أو حدياً في كلّ بطولاته، عليّ من لا فتى سواه، يصعق لما (يسمع) بمضمون الوصية! ويُغشى عليه حتى يسقط على وجهه!

ما أمكن أن يسقط عليّ في ساحات الجهاد، لكن (سماعه) بانتهاك حرمة صعقه فغشى عليه! وقد أخبرتنا الزهراء عن هذا الانتهاك، فكان مما قالت أرواحنا

لها الفداء: وَرَكَلَ الْبَابَ بِرِجْلِهِ، فَرَدَّهُ عَلَيَّ وَأَنَا حَامِلٌ، فَسَقَطْتُ لِوَجْهِهِ، وَالنَّارُ تُسْعَرُ، وَتَسْفَعُ وَجْهِي! فَضَرَبَنِي بِيَدِهِ حَتَّى انْتَشَرَ قُرْطِي مِنْ أُذُنِي، وَجَاءَنِي الْمَخَاضُ فَأَسْقَطْتُ مُحْسِنًا قَتِيلًا بغيرِ جُرْمٍ!!

لقد سقطت عليّ على وجهه، قبل أن تسقط الزهراء على وجهها، مُدَّ سَمِعَ بما يجري عليها!

ههنا صار عليّ مكلفاً بصبرين إذاً:

١. الصبر على ما علم من وقوع المصيبة.

٢. والصبر على المصيبة بعد وقوعها.

والصبر لا يفارق عليّاً، حتى لو غشي عليه، فإنه يظل الصابر الأكبر، يقول مبدئياً قبوله الوصية وصبره على ما يجري:

نَعَمْ قَبِلْتُ وَرَضِيْتُ، وَإِنْ انْتَهَكْتَ الْحُرْمَةَ، وَعَطَلْتَ السُّنْنَ، وَمَزَّقَ الْكِتَابُ، وَهُدِمَتِ الْكَعْبَةُ، وَخُضِبَتْ لِحْيَتِي مِنْ رَأْسِي بِدَمٍ عَيْطٍ (صَابِرًا مُحْتَسِبًا) أَبَدًا حَتَّى أُقَدِّمَ عَلَيْكَ.

نعم لقد صبر عليّ.. ولكن أيّ قلبٍ يمتلك عليّ؟! حتى تمكن من الصبر يوم الدار؟! لقد صعقه (خبر انتهاك حرمة) حرمة الله ورسوله، فما حال قلبه لما رأى انتهاك الحرمة أمام ناظريه!

لم يكن الصبر صبر عليّ وحده، فقد شركته الزهراء والحسانان في العلم بما يجري، والصبر عليه، وقالوا مثل قوله!

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَأَعْلَمَهُمْ مِثْلَ مَا أَعْلَمَ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالُوا مِثْلَ قَوْلِهِ، فَخُتِمَتِ الْوَصِيَّةُ بِخَوَاتِيمٍ مِنْ ذَهَبٍ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ،
وَدُفِعَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

هكذا هم آل محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَصْبَرُ مَنْ عَلَيْهَا، بَعِلِمٍ قَامَ مِنْ قَامٍ مِنْهُمْ، وَبَعِلِمٍ
صَمَتَ مِنْ صَمَتٍ مِنْهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ مَهْمُومَةٌ هَمًّا لَا نَظِيرَ لَهُ.

وَأَمِيرُهُمْ هُوَ الْقَائِلُ: أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، وَهَمُّ لَا يَبْرُحُ مِنْ
قَلْبِي.. كَمَدٌ مُقَيِّحٌ وَهَمٌّ مُهَيِّجٌ (٢).

هَذَا حُزْنٌ عَلِيٌّ وَهَمٌّ، أَمَّا الزَّهْرَاءُ: فَكَمَّ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى
بَثِّهِ سَبِيلًا!

أَيَعَجِبُ الْعَاقِلُ إِذَا لَبَّكَ الشَّيْخَةَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ؟! وَقَدْ أَبَكَّتْ مَصِيبَتُهُمْ
مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ! أَيَعَجِبُ الْعَاقِلُ مِنْ إِحْيَاءِ ذِكْرِهِمْ وَقَدْ انْتَهَكَتْ حَرَمَةَ اللَّهِ وَحَرَمَةَ
الرَّسُولِ بِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ!؟

إِنَّهَا مَصِيبَةٌ بَعِينٌ اللَّهُ، صَبَرَ عَلَيْهَا الْمُطَهَّرُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ قِرْآنًا يُتْلَى
أَنْاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (٣).

عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ يَا خَاتِمَ الْهَادِينَ، يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ، وَأَنْتَ الصَّابِرُ كَجَدِّكَ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَدَّتْكَ الزَّهْرَاءُ.. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤).

(١) الكافي ج ١ ص ٢٨١.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٩.

(٣) السجدة ٢٤.

(٤) الخميس ٣٠ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ١٣ - ١ - ٢٠٢١ م.

١٧. واستخضت قريش.. بعليٍّ والزهراء!

بسم الله الرحمن الرحيم

خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ، شَيْدَ اللَّهِ بُنْيَانَهُمْ بُنْيَانِنَا. لقد رفع الله قدرَ قريشٍ بمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبآله الأَطهارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فكانوا سبباً في تشييد بنيناها وسيادتها الدنيا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

لكن قريشاً ما جازت محمداً وآله بالإحسان، بل ما شكرت ربَّ محمدٍ حيث شيد بنيناها به، بل (نقمت على الله تعالى) أن قدم آل محمد فيهم!! يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قريش: وَأَعْلَى اللَّهِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ رُءُوسَنَا، وَاخْتَارَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتَقَمُّوا عَلَيْهِ أَنْ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ، وَسَخَطُوا مَا رَضِيَ اللَّهُ، وَأَحَبُّوا مَا كَرِهَ اللَّهُ!!

نَقَمَتِ قُرَيْشٌ أَوْلَاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى! حيث اختار آل محمد ورفع قدرهم وأعزَّ شأنهم، أفلا تنقم على محمدٍ وآله ثانياً؟!

ما ظهرَ من آل محمدٍ لقريشٍ إلا الفضل والرعاية، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَمَّا اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ شَرَكْنَاهُمْ فِي حَرِيمِنَا، وَعَرَفْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَعَلَّمْنَاهُمْ الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ، وَحَفَّظْنَاهُمْ الصَّدَقَ وَاللِّينَ، وَدَيَّنَّاهُمْ الدِّينَ وَالْإِسْلَامَ.

فنقلهم الله بمحمدٍ وعترته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من ذلِّ الكفر والجهل والكذب، إلى عزِّ الإسلام والعلم والصدق، ولكن ما نفعهم ذلك، فما قابلوا الإحسان بالإحسان.

يقول عليه السلام: فَوُثِّبُوا عَلَيْنَا، وَجَحَدُوا فَضْلَنَا، وَمَنْعُونَا حَقَّنَا.

ليس الروم هم الواثبون على آل محمد، ولا التُّرك هم الجاحدون فضلهم،
ولا الفُرس مَنْ منعهم حقهم.

إنها قريش، قامت بكل ذلك! مع ما لآل محمد من الفضل عليها!

وهذا عليٌّ كاظم الغيظ، الحليم الذي يعفو عمَّن ظلمه، ما وجدَ لقريش
محماً ليعفو عنهم بعد فعلتهم هذه، فخاطب ربه عز وجل:
اللهمَّ فَإِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ، فَخُذْ لِي بِحَقِّي مِنْهَا.
فما أعظم تلك الظلّامة!

قريش صارت عدوةً لآل محمد، ومن كان لهم عدواً كان لله عدواً، والله
المطالبُ بحقه يوم الجزاء.

ماذا فعلت قريش معك يا أمير المؤمنين؟ يقول عليه السلام: فَإِنَّ قُرَيْشاً صَغَّرَتْ
قَدْرِي: ماذا يعني ذلك؟

لقد رفع الله قدرَ عليٍّ، لكن قريشاً صغّرت قدره! فصغّروا ما عظم الله!

تروي فاطمة بنت أسد عليها السلام ما جرى بعد ولادتها لعلي عليه السلام في الكعبة
فتقول: فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ وَوَلَدِي عَلَى يَدَيَّ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ:

يَا فَاطِمَةُ، سَمِيهِ عَلِيًّا، فَإِنَّا الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَإِنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ قُدْرَتِي، وَعِزِّ جَلَالِي،
وَقِسْطِ عَدْلِي، وَاشْتَقَقْتُ اسْمَهُ مِنْ اسْمِي، وَأَدَبْتُهُ بِأَدْبِي^(١).

هذا قدرُ عليٍّ الذي صغّرتَه قريش، الله تعالى يشق له اسماً من اسمه، ويخلقه

(١) الأماي للطوسي ص ٧٠٧.

من قدرته وعز جلاله، وقريش تصغرُ قدره، فأبي عدوُّ أعدى الله من هؤلاء؟! هذا ما فعلته بعليّ عليه السلام، وما اكتفت بذلك، بل استحلّت محارمه، واستخفت بعرضه وعشيرته! يقول عليه السلام: **وَاسْتَحَلَّتِ الْمَحَارِمَ مِنِّي، وَاسْتَخَفَّتْ بِعِرْضِي وَعَشِيرَتِي!**

كم وكم قد استحلوا منك (المحارم) يا علي! ولئن صبرت على ذلك، فكيف صبرت على أشدّ ما استحلوه! انتهاكهم لحرمة الزهراء عليها السلام! وضربها وإحراق بابها وإسقاط جنينها؟!

وَاسْتَخَفَّتْ بِعِرْضِي: تارة يراد من (عرض الإنسان): نفسه.. وتارة أخرى: حسبه^(١)، أي: الشرف الثابت في الآباء^(٢)، وثالثة يراد به: جانبه الذي يَصُونُهُ من نفسه وحسبه، ويحامي عليه أن يُنتقص ويثلب عليه^(٣).

وقد استخفت قريش من عليّ بكلّ هذه المعاني! فطعنوا في شخصه، وفي آباءه، وفيمن يلوذ به ويحامي هو عنه: تلك هي الزهراء، حيث كان لها نصيبٌ من هذا الاستخفاف، وهي حرمةُ الله تعالى، وحرمة رسوله ووليه.

والهفي لها، مما جرى عليها، وقد روي في الحديث: **الْوَيْلُ لِمَنْ اسْتَخَفَّ بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ، وَطُوبَى لِمَنْ عَظَّمَ حُرْمَتَهُ**^(٤).

ما عظمت قريش حرمة محمد صلى الله عليه وآله في حياته، حتى قال صلى الله عليه وآله: **قَدْ صَبَرْتُ**

(١) معجم مقائيس اللغة ج ٤ ص ٢٧٣.

(٢) كتاب العين ج ٣ ص ١٤٨.

(٣) الفائق في غريب الحديث ج ٢ ص ٣٤٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٦٨.

فِي نَفْسِي وَأَهْلِي وَعَرْضِي، وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى ذِكْرِ إِلَهِي، فَأَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالصَّبْرِ
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾.

ولا عند وفاته، وقد قال عليٌّ عليه السلام: وَاسْتَحَلَّتِ الْمَحَارِمَ مِنِّي، وَاسْتَخَفَّتْ
بِعَرْضِي وَعَشِيرَتِي!

ولا تَعَيَّرَ نَهْجُهَا بَعْدَ مَرُورِ السِّنِينَ، إِلَّا مَزِيداً مِنَ الظُّلْمِ وَالْعَتْوِ، فَكَانَتْ سَبباً
فِي إِضْلَالِ غَيْرِهَا، وَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ قُرَيْشاً قَدْ أَضَلَّتْ أَهْلَ دَهْرِهَا
وَمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهَا مِنَ الْقُرُونِ^(١).

ثم أَلَبَّتِ الْأُمَّةَ كُلَّهَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ مِنْ آثَارِ ذَلِكَ مَا تُظَهِّرُهُ كَلِمَاتُ الْحَوْرَاءِ
زَيْنَبَ عليها السلام مَخَاطَبَةً قَتَلَةَ أُخِيهَا الْحُسَيْنَ عليه السلام:

وَيَلِكُمْ، أَيَّ كَبِدٍ لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَثْتُمْ، وَأَيَّ عَهْدٍ نَكَثْتُمْ، وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ
أَبْرَزْتُمْ، وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ هَتَكْتُمْ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ^(٢).

هؤلاء هم الأول الذين تواليهم الأمة! أفهل يُلام الشيعة على براءتهم ممن
انتهاك حرمة إمامهم واستخفَّ بعرضه!؟

أما خاطبت الزهراء عامتهم قائلة:

أَأُهْضِمَ تِرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ.. وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ
وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ، تُؤَافِكُكُمْ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمْ
الصَّرْحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ!

(١) العدد القوية ص ١٩٩.

(٢) الإحتجاج ٢ ص ٣٠٤.

أما كانت حجة الله تامة برسول الله وأمير المؤمنين والزهراء؟!
بُؤْسًا لِقَوْمٍ نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ.. وبُؤْسًا لِأُمَّةٍ مَا تَبَرَّاتِ مِنْهُمْ.
وإنَّا لله وإنا إليه راجعون^(١)..

(١) الجمعة ١ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ١٥ - ١ - ٢٠٢١ م.

١٨. آداب (اقتحام الأبواب)؟! واطمئناه..

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا
وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ
لَكُمْ﴾^(٢).

إنَّ للناس في تعاملها مع البيوت والأبواب نهجين:

النهج الأول: نهج أهل الإيمان

وتمتَّله الآيات المتقدمة، فقد أقرَّ الله تعالى حرمة البيوت، ومنَعَ من دخولها
بغير استئذان، فمن سلَّم وأذِنَ له دخل، ومن لم يؤذن له رجع، وقد خصَّت الآية
الثانية بالذكر بيوت النبي ﷺ، فَحُرْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ أعظم من كلِّ حرمةٍ في
الوجود.

وكان من أدبِ المؤمن وقوفُه عند الأبواب وانتظاره أن تُفتح أو يؤذن له،
بل كان من آداب الزيارة طرُق الأبواب، حتى صار طرُقها مقروناً بفتح أبواب
السماء!

ففي الخبر عن الباقر والصادق عليهما السلام: أَيُّهَا مُؤْمِنٍ خَرَجَ إِلَى أَخِيهِ يَزُورُهُ عَارِفًا

(١) النحل ٨٠.

(٢) الأحزاب ٥٣.

بِحَقِّهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً، وَحُيِّتَ عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَرَفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ، وَإِذَا طَرَقَ الْبَابَ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ^(١).

هكذا تُحفظ الحُرّمات، ويرضى الرب العزيز، بِطَرِقِ الْمُؤْمِنِ بَابَ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، وَالِاسْتِئْذَانَ قَبْلَ دُخُولِهِ، فَيُفْتَحُ اللهُ لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ مِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِهَا.

النهج الثاني: نهج أهل الكفر والنفاق

وَتَمَثِّلُهُ فِتْنَانٌ:

١. بنو إسرائيل.

٢. قوم لوط.

الفئة الأولى: بنو إسرائيل

لَقَدْ رَوَى أَبُو ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، مَنْ لَمْ تَقَلَّ الْغِبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْهُ، حَدِيثًا عَنْ سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ: إِنَّ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ، وَكَمَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٢).

إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ.. كَمَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ، فَمَا قِصَّةُ بَابِ حِطَّةٍ؟

قَالَ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾^(٣).

(١) الكافي ج ٢ ص ١٨٤.

(٢) الأمايلي للطوسي ص ٦٣٣.

(٣) الأعراف ١٦١.

وروي عن الباقر عليه السلام قوله: كان بنو إسرائيل أخطئوا خطيئة، فأحب الله أن ينقذهم منها إن تابوا، فقال لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية فاسجدوا وقولوا حِطَّةً تنحط عنكم خطاياكم، فأما المحسنون ففعلوا ما أمروا به، وأما الذين ظلموا فزعموا (حنطة) حمراء، فبدّلوا، فأنزل الله تعالى عليهم رجزاً^(١).

فأمرهم الله بالسجود أولاً، وبأن يقولوا (حِطَّةً) ثانياً ليحطّ ذنوبهم، لكن بنو إسرائيل ما رضوا أن يتأدّبوا بأداب الله ويلتزموا بأمره، ويسجدوا أمام بابه ويمثلوا أمره، فأنزل الله عليهم رجزاً، فكانوا نموذجاً لأهل الكفر والنفاق.

وقد ورد في الخبر عن الإمام العسكري عليه السلام قوله: مَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَابِ مِثَالُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا تَعْظِيماً لِذَلِكَ الْمِثَالِ^(٢).

فكان الأمر بالسجود لله تعالى تعظيماً لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثم جعل الله آل محمد في هذه الأمة كَبَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَحَقَّ عَلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ أَنْ يَسْجُدَ لِلَّهِ تَعَالَى تَعْظِيماً لَهُمْ.

ولمّا كانت هذه الأمة قد حَدَّتْ حَذْوِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ حَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، فَإِنَّهَا مَا خَالَفَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ.

أما بنو إسرائيل، فإنهم: لَمْ يَسْجُدُوا كَمَا أُمِرُوا، وَبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ.

وأما هذه الأمة، فما سجدت لله تعالى عندما وقفت على (باب حطّتها)، بل

(١) قصص الأنبياء عليهم السلام للراوندي ص ١٧٤.

(٢) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام ص ٢٦٠.

جمعت الحطب وأحرقت باب دارٍ من كانوا أبوابها لله تعالى!
 بابُ حطّة هذه الأمة، به تُغفر الذنوب وتُحى السيئات، وأمامه ينبغي لله
 السجود.. به تنزل رحمة السماء إلى الأرض، ويستحق العباد الزيادة من ربهم.
 لكنّ الأمة كبنى إسرائيل، ما احترمت باب من كان باباً لعلم النبيّ، وما
 وقفت عند باب الزهراء رحمة الله في الأرض.

الفصل الثاني: قوم لوط

وقد كان لهم آدابهم الخاصة، إنهم أهل (اقتحام الأبواب)!
 ففي الخبر عن الباقر عليه السلام أنّهم اجتمعوا على باب لوط عليه السلام فقال: لَوْ أَنَّ لِي
 أَهْلَ بَيْتٍ يَمْنَعُونِي مِنْكُمْ..

وَتَدَافَعُوا عَلَى الْبَابِ وَكَسَرُوا بَابَ لُوطٍ وَطَرَحُوا لُوطاً! ^(١).

هي (ثقافة كسر الأبواب) من أحسّ خلق الله وأحقرهم، انتقلت منهم إلى
 هذه الأمة، حين أبى رموز السقيفة إلا أن يقلدوهم عندما وقفوا على باب
 الزهراء.. بل زادوا عنهم أضعافاً مضاعفة!

في أيام لوطٍ تَدَخَّلَ جبرائيل بأمر الله تعالى فقال: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا
 إِلَيْكَ﴾ فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ بَطْحَاءٍ، فَضْرَبَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَعَمِيَ
 أَهْلُ الْمَدِينَةِ كُلُّهُمْ..

لكن جبرائيل لم يؤمر بأن يُعمي أبصار أمة خاتم الأنبياء، المبعوث رحمة

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٤٦.

للعالمين، وإن عَمِيَّت بصيرتهم، فوقع منهم على عليٍّ والزهراء من الظلم ما لم يقع على أنبياء الله ورسوله.

ولما سأل لوطٌ رُسُلَ ربه عن أمر الله قالوا: أَمَرْنَا أَنْ نَأْخُذَهُمْ بِالسَّحْرِ .
فأمهل الله تعالى قوم لوط حتى السحر قبل أن يأخذهم، لكنه ادّخر للظالمين من هذه الأمة عذاباً مؤجلاً ليس فوقه عذاب، لأنَّ ظلمهم ليس فوقه ظلم.
ما سلكت أُمَّةً خير الأنبياء مع باب الزهراء نهج أهل الإيمان، بل اقتحمت بابها، وأضرمت فيه النيران.. حتى سَعَرَت النارُ وجه الزهراء!

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا عُمَرُ مَا لَنَا وَلَكَ؟

فَقَالَ: افْتَحِي الْبَابَ وَإِلَّا أَحْرَقْنَا عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ!.. وَدَعَا عُمَرُ بِالنَّارِ فَأَضْرَمَهَا فِي الْبَابِ ثُمَّ دَفَعَهُ فَدَخَلَ.

إنَّ لقوم لوط ثقافة (كسر الأبواب)، ولأهل السقيفة ثقافة (حرق الأبواب)

والبيوت!

فَاسْتَقْبَلَتْهُ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَصَاحَتْ: يَا أَبْتَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَرَفَعَ عُمَرُ السَّيْفَ وَهُوَ فِي غَمْدِهِ فَوْجاً بِهِ جَنْبَهَا، فَصَرَخَتْ: يَا أَبْتَاهُ.

فَرَفَعَ السَّوْطَ فَضْرَبَ بِهِ ذِرَاعَهَا، فَنَادَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ مَا خَلْفَكَ أَبُو

بَكْرٍ وَعُمَرُ.

فَوَثَبَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَ بِتَلَابِيهِ ثُمَّ نَرَهُ فَصَرَخَهُ وَوَجَّأَ أَنْفَهُ وَرَقَبَتَهُ، وَهَمَّ

بِقَتْلِهِ، فَذَكَرَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَوْصَاهُ بِهِ، فَقَالَ: وَالَّذِي كَرَّمَ مُحَمَّدًا بِالنُّبُوَّةِ

يَا ابْنَ صُهَيْكَ، لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ، وَعَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِمْتَ

أَنَّكَ لَا تَدْخُلُ بَيْتِي^(١).

هو العهد المعهود، الذي غشي عليّ لما سمع به وصبر، ثم صبر لما رأى ما رأى.

لقد أمهل الله تعالى قومَ لوط حتى السحر، لكنَّ تلك الليلة كانت صعبةً على لوط، حتى طلب من ملائكة الله حاجته فكانت: تَأْخُذُونَهُمُ السَّاعَةَ!

فقالوا له: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

ثم أخذهم الله أخذَ عزيزٍ مقتدر.

فمتى سيأتي السَّحَرُ لَيْلِكَ يا زهراء؟! متى سيأتي صُبح الانتظار؟! متى خروج الآخذ بالثار؟!!

اللهم عَجِّلْ لوليك الفرج، وسهل له المخرج، واجعلنا معه من الآخذين بالثار.

وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٥.

(٢) السبت ٢ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ الموافق ١٦ - ١ - ٢٠٢١ م.

١٩. أربعون يوماً.. بعد الرسول!

بسم الله الرحمن الرحيم

الثامن من ربيع الثاني، هو يومُ شهادة الزَّهراءِ عليها السلام على رواية! فيومُ شهادتها مُتخَلِّفٌ فيه، كاختلاف الأمة حول آل محمد عليهم السلام!

وللأيام الأربعين خصوصيتها عند الزَّهراءِ عليها السلام، حيثُ كان بينَ زواجها من عليٍّ عليه السلام في السماء وزواجها منه في الأرض (أَرْبَعِينَ يَوْمًا) كما عن الباقر عليه السلام (١). ولها خصوصيتها عند المؤمنين، فلا يمرُّ على العبد المؤمن أربعون يوماً دون بلاءٍ من الله تعالى! كما عن الصادق عليه السلام:

مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِنَبْلَاءٍ يُصِيبُهُ: إِمَّا فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، أَوْ فِي نَفْسِهِ، فَيُؤْجِرُ عَلَيْهِ، أَوْ هَمٌّ لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ هُوَ! (٢).

ولذا صارَ البلاءُ رفيقَ المؤمن منذ أيام آدم إلى ما شاء الله، فهذا آدم عليه السلام:
بَكَى عَلَى هَابِلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً! (٣).

لكنَّ ما جرى على الزَّهراءِ كان أعظمَ من بلاء آدم وأشق! وأصعبَ من بلاء المؤمنين وأشد! فما بلاءات المؤمنين مجتمعةً أمام هول ما جرى عليها؟! سيِّئاً أيامها الأخيرة بعد شهادة النبي صلى الله عليه وآله?! سواء كان آخرها يوم الأربعاء، أو كانت الأربعاء جزءاً من هذا البلاء العظيم.

(١) دلائل الإمامة ص ٩٣.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٢٩٣.

(٣) تفسير القمي ج ١ ص ١٦٦.

يُعرفُ بعضُ ما جرى عليها من لسان أبيها رسول الله ﷺ، في رواية عجيبة يرويها ابن عباس، حين دخل الحسن ﷺ، ثم الحسين ﷺ، ثم الزهراء ﷺ، ثم أمير المؤمنين ﷺ، وفي كلِّ مرة كان النبي ﷺ يبكي!

حتى قال له أصحابه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَرَى وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا بَكَيتَ!

أَوْ مَا فِيهِمْ مَنْ تُسْرُّ بِرُؤْيَيْتِهِ؟!

سؤالٌ عجيبٌ من الصحابة! إِنَّ هَؤُلَاءِ الأربعة أعزُّ النَّاسِ على رسول الله،

وأقربهم إليه، فكيف لا يُسرُّ برؤيتهم؟!

لقد جهل هؤلاء الصحابة أو تجاهلوا سبب بكاء النبي ﷺ، وتوهّموا أو

تظاهروا بأن بكاءه ينافي سروره بهم ﷺ!

فبادر ﷺ إلى رفع هذه الشبهة بقوله: إِنِّي وَإِيَاهُمْ لَأَكْرَمُ الخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ، وَمَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ نَسَمَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُمْ!

ثم بيّن فضائلهم واحداً واحداً، وأوضح سبب بكائه.

فالزهراء: بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُورٌ عَيْنِي، وَهِيَ ثَمَرَةٌ فَوَادِي، وَهِيَ رُوحِي الَّتِي

بَيْنَ جَنْبَيَّ!

مَنْ ذَا الَّذِي يُدْرِكُ أبعادَ كلمات الرّسول الخاتم ﷺ! النبي ﷺ يقول:

يا جابر، أوّل ما خلق الله نور نبيك، اشتقه من نوره.. يا جابر، فالعرش من

نور نبيك، والعلم من نور نبيك، واللوح من نور نبيك، والشمس والقمر

والنجوم وضوء النهار وضوء الإبصار من نور نبيك! (١).

(١) غرر الأخبار ص ١٩٥-١٩٧.

ثم يقول عن الزَّهراء: نُورُ عَيْنِي! فهي (نورُ عين) الرَّسول، والرَّسول نورُ
الله تعالى! فهي نورُ عين النُّور!
أيُّ معنى هذا؟!

ليس لَمَن خَلِقَ من فاضل طيبَتهم أن يُدركَ عظمة حقيقتهم، ومقدار رِفعة
أنوارهم، وعلوِّ درجتهم عند الله تعالى، إلا أن يُدركَ قطرةً من بحر فضلهم
ومجدهم وسؤددهم.

ثمَّ يَكشِفُ رسولُ الله ما يجري على (سيِّدةِ الإماء) فكان سبباً في بكائه، وما
أعظمَ كلِّ واحدٍ من هذه البلايا، فكيف وقد اجتمعت كلها على هذه العظيمة
الجليلة؟!!

يقول ﷺ: وَأَنِّي لَمَّا رَأَيْتُهَا ذَكَرْتُ مَا يُصْنَعُ بِهَا بَعْدِي:

١. كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ الذُّلُّ بَيْتَهَا!

لقد سئل الإمام عن حديث النبي ﷺ: مَا بَيْنَ مَنْبَرِي وَبَيْوتِي رَوْضَةٌ مِنْ
رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فقيل له: بَيْوتُ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْتُ عَلِيٍّ مِنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ وَأَفْضَلُ^(١).
إنَّ بَيْتَهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَأَفْضَلُ، وهو مهبطُ ملائكةِ الرحمان، رغم
ذلك أدخلوا الذُّلَّ بَيْتَهَا!

إِنَّ أُمَّةً تُدْخِلُ الذُّلَّ بَيْتَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هِيَ أُمَّةُ الْخِذْلَانِ وَالرَّذِيلَةِ!
إنَّ أُمَّةً لَا تَتَأَلَّمُ لَمَّا جَرَى عَلَيْهَا فَتَنُصْرُهَا هِيَ أُمَّةٌ قَاسِيَةُ الْقَلْبِ، وَقَسَاةُ الْقُلُوبِ
أبعد الناس عن الرحمان عزَّ وجل.

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٥٦.

٢. وَأَنْتُهُكَّتْ حُرْمَتَهَا.
 ٣. وَعُصِبَتْ حَقَّهَا.
 ٤. وَمُنِعَتْ إِرْثَهَا.
 ٥. وَكُسِرَ جَنْبُهَا [وَكُسِرَتْ جَنْبُهَا].
 ٦. وَأَسْقَطَتْ جَنِينَهَا وَهِيَ تُنَادِي: يَا مُحَمَّدَاهُ، فَلَا مُجَابُ، وَتَسْتَعِيْثُ فَلَا تُعَاثُ!
- هي الزهراء، حرمتها من حرمة الله، وحقها من حق الله، وكل ما جرى عليها تجاوزاً لحدود الله!
- وهي تستغيث، لإتمام الحجة وإكمالها، فهي عالمة بما جرى ويجري. ولئن لم تجد من ينصرها في أيامها، فقد حق أن ينصرها الله تعالى ويغيثها، وهو الذي كتب لذلك أجلاً، أوله عند ظهور المنتظر عجل الله فرجه، وآخره لا انقطاع له في يوم الحساب.
- ثم يذكر صلى الله عليه وآله عظيم مصائبها، وكل واحدة منها داهية عظمى، فيقول صلى الله عليه وآله: فَلَا تَزَالُ بَعْدِي:
٧. مَحْزُونَةٌ مَكْرُوبَةٌ بَاكِيَةٌ.
 ٨. تَتَذَكَّرُ انْقِطَاعَ الْوَحْيِ عَنْ بَيْتِهَا مَرَّةً.
 ٩. وَتَتَذَكَّرُ فِرَاقِي أُخْرَى.
 ١٠. وَتَسْتَوْحِشُ إِذَا جَنَّهَا اللَّيْلُ لِفَقْدِ صَوْتِي الَّذِي كَانَتْ تَسْمَعُ إِلَيْهِ إِذَا تَهَجَّدَتْ بِالْقُرْآنِ.

١١. ثُمَّ تَرَى نَفْسَهَا ذَلِيلَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي أَيَّامِ أَبِيهَا عَزِيزَةً، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْنِسُهَا اللهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِالْمَلَائِكَةِ..

١٢. ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِهَا الْوَجْعَ فَتَمْرُضُ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهَا مَرِيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ تَمْرُضُهَا وَتُوْنِسُهَا فِي عِلَّتِهَا.

فَتَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ: إِنَّي قَدْ سَمِمْتُ الْحَيَاةَ! وَتَبَرَّمْتُ بِأَهْلِ الدُّنْيَا!
فَالْحِقْنِي بِأَبِي!

لا حول ولا قوة إلا بالله..

ليست الزهراء من أهل السامة والملل، لكن حياةً تجتمع فيها هذه المصائب على أمثالها لا تستحق أن تُرتجى!

وأهلُ دنيا لا يؤمنون بالله رباً! ولا يطيعون لمحمد ﷺ أمراً! ولا يتركون لعليٍّ وفاطمة وأهلها حرمةً الا انتهكوها.. أخطُّ من أن تتمنى الزهراء ﷺ البقاء بين ظهرانيهم!

وهذا عليٌّ ﷺ يكرّر القول نفسه بعد سنين، وهو الخائف ظلمَ رعيته، فيقول لهم: اللهم إني قد سممتُ الحياةَ بينَ ظهراني هؤُلاءِ القومِ، وَتَبَرَّمْتُ الْأَمَلَ، فَاتَّحِ لِي صَاحِبِي حَتَّى أَسْتَرِيحَ مِنْهُمْ وَيَسْتَرِيحُوا مِنِّي، وَلَنْ يَفْلِحُوا بَعْدِي!^(١)

ما أفلحوا بعدَ الزهراء ﷺ كما لم يفلحوا بعد عليٍّ ﷺ، ولن يفلحوا حتى يتمَّ الحجةُ الحجة، ثم يُعمل السيف في رقاب الظالمين المعاندين.

قالت ﷺ: فَالْحِقْنِي بِأَبِي!

وقال الرسول ﷺ: فَيُلْحِقْهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِي، فَتَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يُلْحِقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَتَقْدَمَ عَلَيَّ مَحْزُونَةً مَكْرُوبَةً مَعْمُومَةً مَغْصُوبَةً مَقْتُولَةً!
فَأَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ: اللَّهُمَّ الْعَنِ مَنْ ظَلَمَهَا، وَعَاقِبِ مَنْ غَضَبَهَا، وَذَلِّ مَنْ أَذَلَّهَا، وَخَلِّدْ فِي نَارِكَ مَنْ ضَرَبَ جَنْبَهَا حَتَّى الْقَتِّ وَلَدَهَا.
فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: آمِينَ^(١).

وهكذا نقول.. ويقول المؤمنون: آمين رب العالمين..

عَظَّمَ اللهُ أَجُورَنَا بِمَصَابِ الْبَتُولِ، وَلَعَنَ اللهُ ظَالِمِيهَا، وَعَجَّلَ فِي فَرَجِ الْآخِذِ بِثَارِهَا.

وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) الأماي للصدوق ص ١١٢-١١٤.

(٢) ليلة الثامن من ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ الموافق ١٣ - ١١ - ٢٠٢١ م.

٢٠. الزهراء.. والعداوة في الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّبَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزِبَنَّكُم بِاللَّهِ
الْغُرُورُ﴾^(١).

لطالما أخلفَ بنو آدمَ العهودَ والمواثيقَ والوعودَ، لكنَّ اللهَ تعالى لا يُخْلِفُ
الميعادَ، وقد وَعَدَ اللهُ الإنسانَ المؤمنَ بمغفرةٍ منه وِجَنَةٍ عرضها السماوات
والأرضُ، وتَوَعَّدَ الإنسانَ الكافرَ بالعذابِ خالداً في نار جهنم.

بل وَعَدَ اللهُ المؤمنينَ بالاستخلافِ في هذه الدُّنيا قبل يوم القيامة حين قال
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾^(٣).

ومن ينظرُ فيما وَصَلْنَا من زبور داود عليه السلام من العهد القديم يجد ذلك بيِّناً
جلياً، ففيه: الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ، وفيه: أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ
الْأَرْضَ، ومن كلماته: لِأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الْأَرْضَ، وفيه: الصَّادِقُونَ يَرِثُونَ

(١) فاطره.

(٢) النور ٥٥.

(٣) الأنبياء ١٠٥.

الأرض^(١).

لذا يعتقد المؤمن أن الله تعالى سوف يمكّنه في هذه الأرض قبل يوم القيامة، عندما يظهر الإمام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

ههنا يطيب لبعض الناس أن يطرح سؤالاً فيقول:

ما دام مآل الأرض لكم أيها الشيعة كما تعتقدون، وقد وعدكم الله بها، وما دامت يدكم ستصيرُ العليا، فما بالكم قد سلكتم منهجاً عاديتُم به أقواماً وتبرّأتم منهم؟ وقد أدى ذلك إلى المنافرة بينكم وبين أتباعهم.

لم لا تحكمننا المحبّة والإلفة مع كلّ خلق الله؟ حتى تأتي الساعة الموعودة.

أليس هذا أكمل وأجدى وأكثر نفعاً لكم ولغيركم؟ لماذا أيها الشيعة تكثرون في هذه الأيام من ذكر مثالب مخالفيكم؟! أين روح التسامح؟

فلتنظروا إلى من غزا العالم بكلمات المحبّة، تلك هي الكنيسة التي نسبت لعيسى عليه السلام قوله في الإنجيل: لا تُقاوموا الشرَّ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً^(٢).

وقوله: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ^(٣).

ههنا يتأمل المؤمن في كلام هؤلاء، فيقول:

هل غاب عنهم يا ترى أن الشيعة ما سبّبوا النّفرة بحال من الأحوال؟!!

(١) المزامير ٣٧: ٩ و ١١ و ٢٢ و ٢٩.

(٢) متى ٥: ٣٩.

(٣) متى ٥: ٤٤.

فليسوا أهل الظلم والاعتداء، لقد اعتدى الظالمون على أئمتهم وقادتهم
وسادتهم، وهم أشرف خلق الله، فتبرأوا من الظالم.

أفهل تحكّم العقول بلزوم مودّة المظلوم للظالم؟!

أفي سرعة العقل أن يُمنع المظلوم من بيان ظلامته؟!

ولئن كان في بيان مناقب آل محمد ﷺ، ومثالب أعدائهم ما يسبب شرخاً
في الأمة، فلائها أمة الجهل والحماقة! تلك التي تُقدّم أعداء الله على أوليائه!

ثم إن الاحتجاج بما نُقل عن المسيح ﷺ منقوض بما احتواه الإنجيل من
لعن الظالمين والبراءة منهم، ولعن من يدعي مرتبة ليست له، ففيه: نلعن الناس
الذين قد تكوّنوا على شبه الله^(١)، وفيه: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو
مكتوب في كتاب الناموس^(٢).

ثم إن الإنجيل يثبت أن المسيح لا يتسامح مع من لا يستحق التسامح، وها
هو يقول أنه: يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه^(٣).

فليس من منهج العقل التجاوز عن الظالم، ولا من سلوك عيسى فيما نسب
إليه في الإنجيل، ولا هو منهج القرآن الكريم، وقد أمر بالعداوة!

نعم، العداوة واجبة مع صنف من الخلق، وهي لا تنافي السماحة والمحبة التي
ينتهجها المؤمن، لأن المحبة في غير محلها تأخذ الإنسان إلى العمى والضلال!

(١) يعقوب ٣: ٩.

(٢) غلاطية ٣: ١٠.

(٣) كورنثوس الأولى ١٥: ٢٥.

ذاك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١).

فالعلاقة بين المؤمن من جهة، وبين الشيطان وحزبه من جهة أخرى، لا يمكن أن تكون خاضعة لقوانين المودة والمحبة، فهو عدوٌّ ينبغي معاداته، مع شدة خطره، وعظيم سعيه لإضلال الخلق، وسعة حيلته، ودهائه ومكره، وقدرته الفائقة على التلؤن والخداع والتليس.

فكيف نركن له وهو الداعي إلى نارٍ لا تبيد ولا تنفد!
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٢).

فإن قال قائل: لئن صدقنا أن إبليس يستحق العداوة، لأنه يدعو إلى النار، فما بالكم عاديتم فئاماً وفئاماً من الخلق؟!

قلنا: إن الدعوة إلى النار لا تنحصر بإبليس اللعين، بل يشترك معه فيها أئمة الضلال، الذين وصفهم تعالى فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصُرُونَ﴾^(٣).

فصار ميزان العداوة هو الدعوة إلى النار، يشترك فيها إبليس مع أئمة النفاق هؤلاء، ومن صفاتهم مخالفة حكم الله تعالى، وهو ما ظهر جلياً في أيام الزهراء، بضعة المصطفى، وقرينة المرتضى، المطهرة الزكية، وقد قالت عليها السلام لأول هؤلاء

(١) فاطر ٦.

(٢) الكهف ٥٠.

(٣) القصص ٤١.

الأئمة:

أَأُغْلَبُ عَلَى إِرْثِي يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ؟ أَيْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَرِثُ أَبَاكَ وَلَا أَرِثُ أَبِي؟
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا. أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(١).

لقد اعتمد هؤلاء الغلبة سلاحاً في وجه الحق، فأوقعوا المسلمين في فتنة
عمت منذ ذلك اليوم إلى آخر الدهر، وقد أسلست هذه الأمة لهم قيادها، وهي
قادرة على منعهم من جورهم، والذب عن آل الرسول، لكنها آثرت الإنتساب
إلى حزب الشيطان، فبئساً لها ولما فعلت.

ما أفلح أئمة الجور في ظلمهم إلا لأن الأمة أسلست لهم قيادها، وفيها أهل
قوة وعدة وعدد.. لكنه التخاذل، وليس المؤمن اليوم من أهله، فلا يصح التنازل
عن عداوة هؤلاء الظلمة، بهذه التبريرات الواهية.

إنَّ حزب الشيطان عدوٌّ للمؤمنين، وقد أثر أكثر المسلمين الاستجابة
لدعوته، فصار منهم أئمة الكفر والنفاق وأتباعهم وأشياعهم، وقد ترأسوا
معسكر الضلالة، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ
لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٢).

ولا زال الشيعة يتمثلون قول الإمام العظيم، علي بن الحسين زين العابدين
عليه السلام، حيث يقول في صحيفته المباركة: اللهم.. وَفَقْنَا.. أَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا،

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١٠٢.

(٢) إبراهيم ٨.

حَاشَى مَنْ عُوْدِي فِيكَ وَلَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيهِ، وَالْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيهِ^(١).

هي العداوة في الله، لا يمكن أن يدعو للتخلي عنها إلا الشيطان وحزبه، وقد عرّف الشيعة ذلك، فوسموا كل من دعاهم إلى موالاته أعداء الله بأنه عدو لله تعالى، فصار عدواً لا نواليه، ومنتسباً لحزب لا نصافيه.

اللهم إنا نبرأ إليك منهم أبد الأبدين، ودهر الدهارين.
والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الصحيفة السجادية الدعاء ٤٤.

(٢) الإثنين ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٠-١٢-٢٠٢١ م.

٢١. الزهراء.. وحكمُ الجاهليّة!

بسم الله الرحمن الرحيم

تَصِفُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ حَالِ الْأُمَمِ قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَصِفًا لَا مِثْلَ

لَهُ فَتَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَرَأَى الْأُمَّمَ فِرْقَانِي أَدْيَانِيَا، عَكْفًا عَلَى نِيرَانِيَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِيَا، مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ
عَرَفَانِيَا، فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا^(١).

لقد صارَ رسولُ الله إمامَ الهداية، وبابَ الخلاص من الغواية، ونورًا أنارَ الله
به السُّبُلَ، وَكَشَفَ بِهِ الظُّلُمَاتِ، ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ.

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قِمَّةِ الْكَمَالِ وَالْعِظْمَةِ، وَغَايَةِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى، وَشِدَّةِ الْحَذَرِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالضَّلَالِ، رَغْمَ ذَلِكَ حَذَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى
مَنْ أَنْ يَفْتِنَهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ! كَيْفَ ذَلِكَ؟

قال الله تعالى مخاطباً حبيبه ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٢).

ولكن: هل يُمكن أن يتَّبِعَ النبيُّ أهواءهم؟! هل يخفى على النبيِّ لزومُ الحذر
من هؤلاء؟! هل يُمكنُ هؤلاء أن يفتنوا النبيَّ ﷺ وهو المعصوم المطهر عن
الذنوب، والمبرأ عن العيوب؟!!

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٩٩.

(٢) المائدة ٤٩.

لقد نَزَلَتِ الآيَةُ عَلَى قَاعِدَةٍ (إِيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ) ^(١)، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَحِيدُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، فَتَكُونُ الْآيَةُ فِي مَقَامِ بَيَانِ خَطَرِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، كَيْ يَحْذَرَ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ.

وَمَا أَعْظَمَ خَطَرَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَهِيَ تَحَاوُلُ (بِجَهْلِهَا وَحِمَاقَتِهَا) أَنْ (تَفْتِنَ) النَّبِيَّ الْعَظِيمَ، وَهُوَ الَّذِي مَا تَزَلَزَلَ مِنْذُ بَدَأَ الدَّعْوَةَ حَتَّى تَلِكَ اللَّحْظَةَ أَنَا وَلَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِهِ وَالْقَمَرُ فِي شِمَالِهِ.

وَإِذَا كَانَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَشْرِكِي الْعَرَبِ نَصِيبٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّ السَّهْمَ الْأَوْفَى وَالْحِظَّ الْأَوْفَرَ وَالدَّوْرَ الْأَكْبَرَ كَانَ لِمَنْ تَسَنَّمَ مَنْصِبَ الْخِلَافَةِ ظَلْمًا وَعَدْوَانًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

مَا أَرَادَ هُوَ لِأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ مَا اسْتَسَاغُوهُ يَوْمًا، وَلَا دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ إِلَّا طَمَعًا، حَتَّى إِذَا سَنَحَتْ لَهُمْ سَانِحَةٌ أُبْرَزُوا مَا فِي سُوَيْدَاتِهِمْ، وَاسْتَحْضَرُوا حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ بِأَسَسِهِ وَأَسَاسِهِ، حِينَهَا سَلَبُوا الزَّهْرَاءَ إِرْثَهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ صَرِيحًا: وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنَّ لَا إِرْثَ لَنَا ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَفَلَا تَعْلَمُونَ؟ ^(٢).

لَقَدْ صَارَ إِرْثُ الزَّهْرَاءِ الْفَيْصَلُ بَيْنَ الْإِيْمَانِ وَالنَّفَاقِ، بَيْنَ حُكْمِ الْإِسْلَامِ وَحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ!

وَقَدْ كَانَ لِلزَّهْرَاءِ ﷺ اِحْتِجَاجٌ عَظِيمٌ عَلَى هُوَءِهَا، فَإِنَّ لِلرَّسُولِ: (عَهْدُ

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣١.

(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج للطبرسي ج ١ ص ١٠٢.

قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ وَبَقِيَّةً اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ^(١).

لكنَّ بُغَاةَ حُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ لم يَرَعُوا لِرَسُولِ اللَّهِ حَقًّا، وَلَا حَفْظُوا لَهُ عَهْدًا، وَقَدْ انْتَصَرَتْ عَلَيْهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَ ذَكَرْتَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْذِفُهُ فِي لَهْوَاتِ كُلِّ فَاعِرَةٍ فَغَرَّتْ لِلْمُشْرِكِينَ، حَتَّى يُحْمَدَ هَبَّهَا بِسَيْفِهِ.

لكن.. ألم يكن هذا ما نَقَمُوهُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!!

فَقَدْ كَانَ مُدَافِعًا عَنِ الْإِسْلَامِ حِينَ كَانُوا يَتَرَبَّصُونَ بِهِ وَبِالْإِسْلَامِ الدَّوَائِرَ! فَمَا زَادَهُمْ كَلَامُهَا إِلَّا طَغْيَانًا وَظُلْمًا.

ذَاكَ حَيْثُ: ظَهَرَ فِيكُمْ حَسَكَةُ النِّفَاقِ، وَسَمَلُ جِلْبَابِ الدِّينِ.. وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ هَاتِفًا بِكُمْ فَالْفَاكُمُ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ^(٢).

هَكَذَا يَفْهَمُ الْمُؤْمِنُ حَقِيقَةَ مَا جَرَى عَلَى الزَّهْرَاءِ، إِنَّهُ عَنَوَانَ الرَّدَّةِ وَالْإِنْقِلَابِ عَلَى الْأَعْقَابِ، إِنَّهُ عَنَوَانَ الْعُودِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ الْجَهْلَاءِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:

أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ تَأْمَلُ الرَّجُوعَ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْمَلُ عَلَيْهِ؟! وَهَذَا يَكْذِبُهُ الْوَجْدَانُ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ يَرْتَجُونَ وَيَأْمَلُونَ أَنْ يَعْمَ الْإِسْلَامَ الْعَالَمَ.

قُلْنَا:

لَا يَرِغِبُ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ بِالْعُودِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَادُوا إِلَيْهَا مُدَّ

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٨.

(٢) الإحتجاج على أهل اللجاج للطبرسي ج ١ ص ١٠١.

ظَلِمَتْ بَضْعَةَ المِصْطَفَى بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، وَأُحْرِقَ بِأُيُهَا، وَضَرِبَتْ وَعُصِرَتْ بَيْنَ الحَائِطِ وَالبَابِ، وَأُسْقِطَ جَنِينُهَا، وَاقْتِيدَ بَعْلُهَا، وَسُلِبَتْ حَقَّهَا، ثُمَّ وَالتَ هَذِهِ الأُمَّةَ ظالِمِهَا وَأَعَدَى أَعْدَائِهَا!

فَأَيُّ جَاهِلِيَّةٍ تَفُوقُ ذَلِكَ؟!

لقد جرى كلُّ هذا بمرأى وبمسمعٍ بل بأمرٍ وتدبيرٍ ومشاركةٍ ممن يُقدِّسُهم جُلُّ المسلمين اليوم، فهل من جاهليةٍ كهذه؟!

ما من خلاصٍ للأمةِ الإسلامِ إلا بالعودِ إلى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وقد قالت الزهراء يوماً: فَأَنَارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ ﷺ ظُلْمَهَا! (١).

واليوم لا تستنيرُ الأممُ إلا بالعودِ إلى الإمامِ الموعودِ من آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فالحقُّ منهم وفيهم ومعهم، ولا خلاصٍ للأمةِ إلا بموالاتهم ومعاداة أعدائهم. ثمَّ إنا نعلمُ أن المخالف يتساءل فيقول:

ما الذي جرى في الهجوم على الدار حتى صار بهذا الجللِ عندكم أيُّها الشيعة؟ هل انتهت جرائمُ الدنيا عند هذه الجريمة؟!

ألا ترون أن هناك ما يفوقها بشاعةً وفضاعةً وألماً وأذيةً؟! ألا يُقتل في شرق الأرض وغربها كل يوم خلقٌ كثيرٌ ظلماً وعدواناً؟ فهل وَقَفَ بكم الزَّمنُ أيُّها الشيعة؟! وما هذا الغلو الذي تعيشونه؟

لقد غفل هذا الجاهل أن الجرائم لا تتساوى، فلا يستوي قتلُ الشريف مع قتلِ الوضيع، وليس ظلْمُ المحسن كظلْمِ المسيء، فكيف بِسَادَةِ الإحسان والكرم،

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج للطبرسي ج ١ ص ٩٩.

مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ؟!

يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ قَدْرُ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي اعْتَدَى عَلَيْهَا، وَسَلِبَ حَقُّهَا، وَانْتَهَكَتْ حَرَمَةَ دَارِهَا، وَقُتِلَتْ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْعَذَابَ عَلَى قَوْمٍ صَالِحٍ لِأَذْيَتِهِمْ نَاقَةً حِينَ قَالَ: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

فَصَارَتِ النَّاقَةُ (نَاقَةُ اللَّهِ) تَعَالَى لِانْتِسَابِهَا إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى الْعَذَابَ عَلَى أُمَّةٍ لِأَجْلِهَا: ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾^(٢).

فَمَا حَالُ حَبِيبَةِ حَبِيبِ اللَّهِ، سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، أَعْظَمَ امْرَأَةً عَرَفَهَا الْكَوْنُ!
إِنَّ تَبْسِيطَ الْأَمْرِ حِمَاةٌ كَبِيرَةٌ.

فَكَمَا أَنَّ بِيوتَ الْأَرْضِ كَثِيرَةً، لَكِنْ لَا حَرَمَةَ لشيءٍ مِنْهَا كَحَرَمَةِ بِيوتِ اللَّهِ تَعَالَى! كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي ظَلْمُ الزَّهْرَاءِ مَعَ ظَلْمِ مَنْ سِوَاهَا.

وَهَلْ تَدْنِيسُ بَيْتِ اللَّهِ كَتَدْنِيسِ غَيْرِهِ مِنَ الْبِيوتِ؟! إِنَّ الْبَيْتَ وَإِنْ بُنِيَ مِنْ حَجَرٍ، إِلَّا أَنَّهُ اكْتَسَبَ قُدْسِيَّتَهُ مِنْ انْتِسَابِهِ لِلْخَالِقِ الْعَظِيمِ، فَصَارَتِ الْإِسَاءَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمَ مِنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ. وَهَكَذَا اكْتَسَبَتِ الزَّهْرَاءُ أَسْمَى مَقَامٍ وَأَرْفَعَ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى اصْطَفَاهَا مِنْ بَيْنِ كُلِّ النِّسَاءِ.

فَلَيْسَ فِي الْإِهْتِمَامِ بِشَأْنِهَا وَإِحْيَاءِ أَمْرِهَا وَإِقَامَةِ مَاتَمِّهَا شَيْءٌ مِنَ الْغُلُوِّ

(١) الأعراف ٧٣.

(٢) الشمس ١٤.

والمبالغة، بل كله تقصيرٌ في تقصير.

ومهما أقام الشيعة لها المآتم لن يبلغوا شيئاً مما تستحقُّ أن يُقام لأجلها، وبها وبأبيها وبعلمها وبنيتها هدايا الله تعالى من الظُّلمات، ورفعَ عنا أحكام الجاهلية، حتى أعادها الأرجاس الأنجاس، أعداء الزهراء البتول، عليهم من الله ما يستحقون.

سلام الله عليك يا فاطمة، يا بضعة المختار، نسألك أن تكوني لنا شفيعة يوم القيامة، إذ واليناك في الدنيا والآخرة، وبرئنا من أعدائك إلى يوم الدين.
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الثلاثاء ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٢١ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٢٢. سُحْقًا سُحْقًا.. لِمَنْ ظَلَمَ الزَّهْرَاءُ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يقول يوم القيامة:
سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي! (١).

هو دُعَاءٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِبْعَادِ مَنْ بَدَّلَ بَعْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وهذا حديثٌ مُرَعِبٌ يرويه المسلمون في أَصْحَحِّ كُتُبِهِمْ وَيَتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّتِهِ،
لكنهم لا يفقهونه ولا يعطونه نَصِيْبَهُ مِنَ الْفَهْمِ وَالتَّدْبُرِ!

فما الذي جرى في ذلك الوقت حتى يُجَالِ بين النبي ﷺ وبين أصحابه
الذين يعرفهم ويعرفونه؟! أليس لهؤلاء حَقُّ الصُّحْبَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَلِمَ
يُجْبُونَ عَنْ حَوْضِهِ وَيُجَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؟!

هل يستحقُّ ما بدَّلوه بعد النَّبِيِّ ﷺ هذا الموقف من ملائكة الرحمان حتى
يمنعونهم من الوصول إلى حوض النبي؟ ثم أيُّ تَبْدِيلٍ هو هذا الذي بدَّلوه؟ وما
معنى دعاء النبي ﷺ عليهم؟

أولاً: ماذا بدَّل القوم؟

لقد عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ ما سيجري بعد وفاته، فأخْرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلَّ مَنْ
يطمع في الرئاسة والإمرة، لئلا يَنَازِعُوا عَلِيًّا عَاشِرًا مَنْصِبًا جعله الله تعالى له، ولكنَّه
كان يعلم أن الفتنَ مُقْبِلَةً، لكنَّ أحداً ما كان يتصوَّر أن تَعْظُمَ الْفِتْنُ إِلَى حَدِّ يَصِيرُ

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٨٧ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٦٦.

الموت مع السلامة منها خيراً من الحياة والابتلاء بها!

لقد خرج النبي ﷺ إلى البقيع آخذاً بيد عليّ ؑ، وأتبعه جماعة من الناس، فسلم على أهل البقيع وقال: السّلام عليكم يا أهل القبور، ليهتكنم ما أصبحتنم فيه ممّا فيه النّاس! أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم يتبع أوّلها آخرها! (١).

ما أخطر هذه الكلمة! لقد صار الموت خيراً من الحياة لأنّ فيه النجاة من

الفتن، فتن تتوالى لا يصدّد أمامها أكابر المسلمين! فماذا فعل هؤلاء؟!

إنّ لأمر المؤمنين ؑ عبارة عجيبة فيما تمخّص عن هذه الفتن، حين قال في نهجه الشريف: حتّى إذا قبض الله رسوله ﷺ رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولايج، ووصلوا غير الرّحم، وهجروا السّبب الذي أمروا بمودّته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه! (٢).

إنقلاب بكلّ ما للكلمة من معنى، حين تهدّم أسس الإسلام ويُنقل بناؤها إلى غير موضعه! وحين يهجّر من أمر الله بمودّتهم! ويوصل سواهم، وحين ينقلب النّاس على أعقابهم، لا تبقى للدين باقية.

ما نقل هؤلاء حجراً من بناء الإسلام، ولا بدّلوا حائطاً، بل: نقلوا البناء

عن رصّ أساسه!

فأصبحت الأمّة في مقاتلها، وتشوّهت عقيدة التوحيد والتنزيه واستبدلت بالتجسيم، واستعيض عن العدل بالجور أو بالجبر، وزحّج معنى العصمة،

(١) الإرشاد ج ١ ص ١٨١.

(٢) نهج البلاغة ص ٢٠٩.

وانتَقَصَ قَدْرُ النَّبِيِّ، وَنَحَّى الوَصِيُّ عَن مَحَلِّهِ، وَصَارَتِ القِيَامَةُ تَرْفَاً لَا يَسْتَدْعِي الاستِقَامَةَ.. فلا غرَوا أَن تُبَدَّلَ أَحكامُ الدِّينِ الحَنِيفِ تَبديلاً.

وهُوَ مِصداقُ العَودِ إلى الجاهلية، فَقدَ تَناسَى القَوْمُ أَنَّ (المِرءَ يُحَفَظُ في وُلْدِهِ)، حَتى عَدُوا عَلى دِينِهِ فَأَماتوه! وَعَلى بَضَعَتِهِ فَهَتَكُوا حَرَمَةَ بَيْتِها! حَتى قَالَت لَها: **النَّ مَاتَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أُمَّتِ دِينَهُ؟! (١).**

اللَّهُ أَكْبَرُ أَيُّ كَلِمَةٍ مِّن بَضَعَةِ المِصطَفى.. إِنْ المِتاَمِرِينَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ في حَياتِهِ قَد تَأَمَرُوا عَلى دِينِهِ وَأَماتوه بَعَدَ وَفاتِهِ، فَهَلْ دِينُ المُسْلِمِينَ اليَومَ هُوَ دِينُ الرَّسولِ؟! أَمْ دِينُ الظُّلْمِ وَالغَدْرِ وَمِوالاةِ مَن عَادَى اللَّهَ!؟

تَصَفَّ الزَهرَاءُ حَالَها وَحَوالِها وَحالَ الأُمَّةِ بَعَدَ وَفاةِ أَبِيها ﷺ فَتَقولُ **عَلَيْها: أَضِيعِ بَعَدَهُ الحَرِيمَ! وَهَتَكِ الحَرَمَةَ! وَأذِيلِ المِصونَةَ!**

وَتَلِكِ نازِلَةٌ أُعْلِنَ بِها كِتابُ اللَّهِ قَبْلَ موْتِهِ، وَانْبَأَكُم بِها قَبْلَ وَفاتِهِ، فَقالَ: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنا قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعقابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلى عَقْبِيهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ (٢).**

يَنكسِرُ القَلَمُ أَمامَ هَذِهِ العِباثِرِ، لَقَد (أذِيلِ المِصونَةَ)! وَهَذَا النَّبِيُّ قَبْلَ ذَلِكَ يَقولُ: **كَأَنِّي بِها وَقَدْ دَخَلَ الدُّلُّ بَيْتِها!.. فَلا تَزَالُ بَعْدِي مَحزُونَةٌ مَكْرُوبَةٌ باكِيةٌ.. ثُمَّ تَرى نَفْسَها ذَليلَةً بَعَدَ أَنَّ كَانتَ في أَيَّامِ أَبِيها عَزيزَةً! (٣).**

ساعَدَ اللَّهُ قَلْبَكَ يا زَهرَاءُ، أَضِيعِ حَقِّكَ، وَهَتَكِ حَرَمَتِكَ، فَإِنا لِلَّهِ وَإِنا إِلَيْهِ

(١) السَّقيفَةُ وَفَدَكَ ص ٩٩.

(٢) السَّقيفَةُ وَفَدَكَ ص ٩٩.

(٣) الأَمالي لِلصَدوقِ ص ١١٤.

راجعون.

ثانياً: مَنْ هُمُ الْمُبَدِّلُونَ؟

هَلْ انْقَلَبَ (بَعْضُ) الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَغَيَّرُوا دِينَ اللَّهِ عَلَى قَلَّتِهِمْ؟!
وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنِ رِصِّ أَسَاسِهِ؟! أَيْعَقَلُ أَنْ تَتَحَكَّمَ قَلَّةٌ مُنْقَلِبَةٌ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَجْمَعِ
دُونَ أَنْ يُسَاهِمَ مَعَهَا جَمُوعُ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِنْقِلَابِ؟!

هَذَا الْبُخَارِيُّ أَصَحُّ كِتَابٍ عِنْدَ الْمُخَالَفِينَ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ يَرُوي أَنَّ رَجُلًا
يُنَادِي هَؤُلَاءِ الْمُنْقَلِبِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلُمَّ!

ثم يروي عن النبي قوله:

قُلْتُ: أَيْنَ؟

قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ.

قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟

قَالَ: إِنَّهُمْ أَرْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى!

فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ! (١).

لَا يَنْجُو مِنَ النَّارِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا قَلَّةٌ قَلِيلَةٌ، فَأَكْثَرُ رِجَالِ الْأُمَّةِ

صَارُوا مِنَ الْمُنْقَلِبِينَ عَلَى الْأَعْقَابِ، الْمُبَدِّلِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ!

لَقَدْ تَأَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَيَاتِهِ عَلَى مَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ بَعَثْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَبَكَى

قَبْلَ وَفَاتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ عَسَائِدٍ: إِنَّهَا بُكَائِي وَعَمِّي وَحُزْنِي عَلَيْكَ وَعَلَى هَذِهِ أَنْ تُصَيِّعَ

(١) صحيح البخاري حديث ٦٥٨٧.

بَعْدِي فَقَدْ أَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى ظُلْمِكُمْ^(١).

هذا هو إجماع الأمة الذي يتغنى به المخالفون! إجماعٌ على ظلم عليٍّ وفاطمة
عليهما السلام! إجماعٌ أبكى النبي ﷺ وأغمه وأحزنه عليهم.

وقد روي أنه لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى حتى بليت دموعه
لحيته، فقيل له: يا رسول الله، ما يبكيك؟

فقال: أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرارُ أممي من بعدي، كأني بفاطمة
ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تُنادي "يا أبتاه، يا أبتاه" فلا يعينها أحدٌ من أممي!^(٢).

لقد اتفقت مصادرُ المسلمين إذاً على أن أكثر المسلمين قد بدلوا بعد النبي
ﷺ واشتركوا في ظلم عليٍّ والزهراء، إما بأنفسهم، أو بتأييدهم للظالمين، أو
بصمتهم وجفائهم لآل محمد ﷺ، وترك معونتهم، فشمل الجميع دعاء النبي
ﷺ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي!

ثالثاً: ما هو عذاب المبدلين؟

لقد دعا النبي ﷺ على هؤلاء فقال: سُحْقًا سُحْقًا! وقد قال تعالى في
كتابه: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣).

إن هؤلاء عقاباً عظيماً يوم الجزاء، حيث تسكنُ فئتان من الناس في (الدرك
الأسفل من النار)، فمنهم المنافقون، ومنهم الظالمون لآل محمد!

(١) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٩٠.

(٢) الأمايلي للطوسي ص ١٨٨.

(٣) الملك ١١.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نُصِيرًا﴾^(١)، وقال النبي ﷺ: الوَيْلُ لِظَالِمِي أَهْلِ بَيْتِي، كَأَنِّي بِهِمْ غَدَاً مَعَ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ^(٢).

إنَّ هؤُلاءِ عذاباً عجبياً، حيثُ يُسألون عن مَسِّ سَقَرٍ فيقولون: قَدْ أَنْصَبَتْ قُلُوبَنَا وَأَكَلَتْ لُحُومَنَا وَحَطَمَتْ عِظَامَنَا، فَلَيْسَ لَنَا مُسْتَعِيثٌ وَلَا لَنَا مُعِينٌ!
.. ثُمَّ يَجْعَلُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثِ تَوَابِيَتْ مِنْ حَدِيدٍ مِنَ النَّارِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، فَلَا يَسْمَعُ لَهُمْ كَلَاماً أَبَداً إِلَّا أَنْ هُمْ فِيهَا.. شَهيقُ كَشْهِيقِ الْبِغَالِ! وَزَفِيرٌ مِثْلُ نَهيقِ الْحَمِيرِ! وَعَوَاءٌ كَعَوَاءِ الْكِلَابِ! صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا كَلَامٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ^(٣).

هذا حالُ بعضِ هؤُلاءِ، أما أكابرهم، فالله العالم بحالهم، وهم الذين تستعيدُ جهنمُ من وَهَجِ الْجُبِّ الذي يُعَدَّبون فيه!
هذه خطورة موالاة أعداء الله في الدُّنيا والآخرة، أعادنا الله من محبتهم في الدُّنيا، وأبعدنا عنهم في الآخرة، وحشرنا مع محمدٍ وآله إنه سميع مجيب.
والحمد لله رب العالمين^(٤).

(١) النساء ١٤٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٤٧.

(٣) الإختصاص ص ٣٦٤.

(٤) الأربعاء ١٧ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٢ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٢٣. عُمَرُ.. قَاتِلُ الرَّسُولِ.. وَالْبِضْعَةُ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَخَالُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ قَتَلَ الزَّهْرَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ كَانَ أَمْرًا غَيْرَ مُدَبَّرٍ! وَيَزْعَمُ مِنْ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلُ بِأَنَّ غَيْرَةَ ابْنِ الْخَطَّابِ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى دَفَعَتْهُ لِيَقْتَحِمَ بَابَ فَاطِمَةَ! وَهُوَ بَابُ الرَّسُولِ، حَفِظًا لِلْأُمَّةِ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ!

فَصَارَ اقْتِحَامُ دَارِ الزَّهْرَاءِ وَقَتْلُهَا بَابًا لِتَوْحِيدِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ!

قال الكاتب اللبناني عمر أبو النصر (المتوفى سنة ١٩٦٠م) في كتابه (فاطمة

بنت محمد):

خشي الفاروق الفتنة، ورأى في اختلاف العرب.. ما يحمل المسلمين جميعهم على الاتفاق.. فكان لذلك من أشد الناس رغبة في توحيد كلمة المسلمين.. وقد حاول فعلاً اقتحام بيت فاطمة، يحاول بذلك أن يحمل علياً على البيعة!!^(١).

هل من آية أبلغ في وصف هؤلاء من قول الله تعالى: ﴿فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).

هكذا تصير الرذيلة منقبة! وتصير القبائح عزاً وفخراً ومجداً! ويبرر للقتلة

المجرمين أسوأ فعالهم!

لقد غفل هؤلاء أن المؤامرة لا تستهدف الزهراء وحدها، إنها مؤامرة على

(١) كتاب (فاطمة بنت محمد) ص ١١٨.

(٢) الحج ٤٦.

الإسلام بأكمله، يُمثله رسولُ الله ﷺ، وبضعته الزهراء ع، وبعلها أميرُ المؤمنين ع، وابناها الحسن والحسين ع.

فإن قيل: ما حجَّتكم على هذا أيها الشيعة؟!

قلنا: روى ابنُ سعدٍ (٢٣٠ هـ) في طبقاته الكبرى عن أنس بن مالك أنه قال: خرج عمر متقلد السيف، فلقى رجل من بني زهرة، قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً!

.. فانطلق عمر حتى أتى الدار.. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحائل السيف فقال: أما أنت متتهياً يا عمر؟^(١).

يستغرب المرء كثيراً عندما يقرأ سيرة هذا الرجل، فإنه قد حمل السيف مرّةً عندما أراد قتل النبي ﷺ قبل أن يسلم، ومرّةً عندما اقتحم دار فاطمة ع: فَرَفَعَ عُمَرُ السَّيْفَ وَهُوَ فِي غَمْدِهِ فَوَجَأَ بِهِ جَنْبَهَا^(٢).

ولكن، بين هذا الحدّ وذاك، ما عهد عنه أنه رفع سيفاً في سبيل نصرة الإسلام! ولا أظهر شجاعةً إلا في وجه الرسول وآله!

فلطالما عرف عنه الجبن والخوف، وكان فراراً غير كرار، أليس قد رجع عمرُ يُجِبُّ أَصْحَابَهُ وَيُجِبُّونَهُ! قَدْ رَدَّ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ مَأْمُومًا^(٣).

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٦٧، ونقله الحاكم في مستدرکه ج ٤ ص ٥٩ وغيرهما.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٥.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٥٥٥.

أما كان يتغنّى بفراره يوم أحد: ففرت حتى صعدت الجبل^(١).
فما الذي جرى حتى اكتسب قوّة يُريد بها قتل النبي ﷺ أوّل البعثة، وقتل
ابنته بعد وفاته؟!

ولماذا حطّ الجبّ رحاله عنده فيما سوى ذلك من حروب النبي ﷺ؟!
لقد روي أنّ الأول والثاني: أسلما طمعاً، وذلك بائهما كانا يجالسان اليهود
ويستخبرانهم عما كانوا يجدون في التوراة وفي سائر الكتب المتقدّمة الناطقة
بالملاحم.. فكانت اليهود تذكر أنّ محمداً يسلم على العرب.. فأتيا محمداً..
وبإيعاه طمعاً في أن ينال كلّ واحد منهما من جهته ولأية بلد إذا استقامت أموره^(٢).
أرادا قتل رسول الله ﷺ في بداية الأمر، فلما فشلا في ذلك، وأيقنا العجز
عنه، آمنّا طمعاً في أن ينالا شيئاً من حطام الدنيا بعده، ولما وجدا أن الأمر لا يؤول
إليهما، اجتمعا مع الطلقاء والمنافقين، فقالوا:

إِنَّ مُحَمَّدًا يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ إِلَى آخِرِ
الدَّهْرِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ مِنْ حَظٍّ إِنْ أَفْضَى هَذَا الْأَمْرَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ^(٣).

حينها عادوا إلى سابق عهدهم، واسترجعوا مؤامرات بدء البعثة، وأحيوا
كوامن النفوس ورغباتها بقتل نبي الإسلام، وهم لم يؤمنوا به ولا برّبّه طرفة عين

(١) جامع البيان ج ٤ ص ١٩٣.

(٢) كمال الدين ج ٢ ص ٤٦٣.

(٣) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٣٠.

أبدأ:

فاجتمعوا في أمر رسول الله من القتل والإغتيال واستقاء السم على غير وجه!

أفشل الله تعالى خطتهم في اغتياله، حتى أكمل النبي التبليغ، وأوصى في الغدير لأمر المؤمنين عليه السلام، وأخذ له العهود والمواثيق منهم ومن جميع الأمة، فدسوا له السم! واتفقوا على قتل ذريته من بعده!

لقد قال الثاني للأول بعدما رفض علي أن يبايعهم: وَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَنَا أَمْرٌ حَتَّى نَقْتُلَهُ! ^(١).

ما أرادوا قتله وحده ليستقيم لهم الأمر، إنما أحقاداً ومؤامرات أرادوا بها استئصال هذا البيت الطاهر.

أما قال عمر للزهراء عليها السلام: أَخْرِجِي مَنْ فِي الْبَيْتِ وَإِلَّا أَحْرَقْتُهُ وَمَنْ فِيهِ.. وَفِي الْبَيْتِ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.. فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: أَفْتَحْرِقُ عَلِيَّ وَلِدِي؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ أَوْ لِيَخْرُجَنَّ وَكَيْبَاعِي عَنِّي ^(٢).

أما احتجَّت عليه الزهراء فقالت:

وَيَحْكُ يَا عَمْرُؤُ، مَا هَذِهِ الْجُرْأَةُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟!

تُرِيدُ أَنْ تَقْطَعَ نَسْلَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتُفْنِيَهُ وَتُطْفِئَ نُورَ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ مِنْ نُورِهِ﴾ ^(٣).

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٦٣.

(٢) الطرائف ج ١ ص ٢٣٩.

(٣) الهداية الكبرى ص ٤٠٧.

فما كان جوابه إلا أن قال:

كُنْفِي يَا فَاطِمَةَ، فَلَيْسَ مُحَمَّدٌ حَاضِرًا، وَلَا الْمَلَائِكَةُ آتِيَةً بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالزَّجْرِ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا كَأَحَدِ الْمُسْلِمِينَ، فَاخْتَارِي إِنْ شِئْتَ خُرُوجَهُ لِبَيْعَةِ أَبِي
بَكْرٍ أَوْ إِحْرَاقِكُمْ جَمِيعًا! (١).

لقد صار محمد ﷺ شهيداً عند ربّه، قتلوه سمّاً، والآن أرادوا قطع نسله
من المباركة الزكية، بإحراقها وإحراق بعلها وبنيها!

أَيُّ حِقْدٍ وَغِلٍّ هَذَا؟! لقد كان الطَّمَعُ مُحَرِّكاً ثم صار الحِقْدُ والحَسَدُ طَبْعاً
قبيحاً كريهاً اعتادت عليه النفوس الحقيرة.

إنّه الحِقْدُ والكُفْرُ بالله ورسوله يُحَرِّكُ القومَ لقتل الزَّهراءِ، وأتباعهم يرون
في ذلك حرصاً على الإسلام ودرءاً للفتنة!

لقد قدّم هؤلاء أمرهم على أمر الله، أراد الله تعالى لهم الكرامة والعزّة،
وأرادوا لأنفسهم البهيمية والرذيلة!

قال لهم النبي ﷺ: **أَنِي قَدْ أَوْصَيْتُ وَصِيِّي وَلَمْ أَهْمِلْكُمْ إِهْمَالِ الْبَهَائِمِ!** (٢).
فالله تعالى يُفَضِّلُ الإنسان على البهائم، ولا يرضى لهم أن يكونوا مثلها بلا
راع ولا مُرشدٍ يدهم على طريق الحقّ ويحملهم عليه، لكن: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣).

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٨.

(٢) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٤٧.

(٣) الفرقان ٤٤.

كيف صاروا أضلَّ من الأنعام؟!!

لقد صاروا كذلك بإعراضهم عن اختيار الله تعالى، وإصرارهم على اختيارهم، مع قبح سريرتهم، وظُلْمَةِ نفوسهم، واسوداد قلوبهم.

كيف تُفْلِحُ أُمَّةٌ اتَّخَذَتْ إِمَامًا لِنَفْسِهَا مَنْ لَمْ يَسَلْ سِيفًا إِلَّا عَلَى رِسْوِهَا
وبضعته؟!!

كيف تنجحُ أُمَّةٌ لَا تَقَرُّ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهَا؟! تُقَدِّمُ مِنْ آخِرِ اللَّهِ، وَتُوَخَّرُ مِنْ قَدَمِ
الله؟! كيف سيوفق الله أُمَّةً تَكْفِي قَاتِلَ نَبِيِّهَا وبضعته؟!!

لهذا صارَ أَمْرُ الْأُمَّةِ فِي سَفَالٍ، إِلَى أَنْ تَسْتَقِيمَ خَلْفَ إِمَامِهَا الْمَهْدِيِّ الْمَوْعُودِ،
عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فِرْجَهُ، وَسَهَّلَ مَخْرَجَهُ، وَثَبَّتْنَا عَلَى وِلَايَتِهِ، وَالْبِرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِهِ.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٩ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٢٤. لعنَ اللهُ.. من روعَ فاطمة!

بسم الله الرحمن الرحيم

روى المؤرخون حادثةً غُيِّتَ عن أذهان عموم الناس، تخفيفاً من هول الجريمة التي ارتكبت بحق الزهراء عليها السلام.

لقد اختلفَ في أنَّ للنبيِّ صلى الله عليه وآله ابنةً أخرى سوى الزهراء عليها السلام تُسمى (زينب)، فمنهم من ذكَّرَ أنَّها ابنته صلى الله عليه وآله ^(١)، ومنهم من ذهبَ إلى أنَّها ربيته ^(٢).

ومها يَكُنُّ الأمر، فإنَّ حَدَثاً عَظِيماً قد وقعَ على زينب، حينما أرادت الإلتحاق بالنبيِّ صلى الله عليه وآله في المدينة المنورة، حيثُ أرسلَ صلى الله عليه وآله من ينتظرها ليصحبها ويأتي بها إليه.

لقد رَكِبَتْ هودجها وخرَجَتْ تَطَلُّبُ المدينة، فعرفت قريشُ بالأمر، وخرَجَ منها رجالٌ في طلبها.

ينقل ابن هشام في السيرة النبوية أنَّهم أدركوها في ذي طوى، فيقول:
فكان أول من سبق إليها هبَّار ابن الأسود.. فروَّعها هبَّار بالرمح، وهي في هودجها، وكانت المرأة حاملاً - فيما يزعمون - فلما ريعت طرحت ذا بطنها ^(٣).
أما الطبري وابن عساكر فقالا أنَّه:

عرض لها نفرٌ من قريش فيهم هبَّار ينخسُ بها، وقرَّعَ ظهرها بالرمح،

(١) الكافي ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٢.

(٣) السيرة النبوية ج ٢ ص ٢١٥.

وكانت حاملاً، فأسقطت^(١).

لقد صار الترويعُ، والنَّخْسُ وهو الغَرْزُ، والقرعُ بالرَّمحِ، سبباً لإسقاط زينب ما في أحشائها، وكان النبي ﷺ حياً حينها.

ثم نقل مؤرخو (العامة) أن النبي ﷺ أمرَ بمعاقة هَبَّارَ بأسلوبين:

الأسلوب الأول: هو الإحراق!

حيث أمرَ بأن يُحَرَّقَ هَبَّارَ ومن معه، فنقلوا قوله:

إن ظفرتم بهبار ابن الأسود، أو الرجل [الآخر] الذي سبق معه إلى زينب فحرَّقوهما بالنار!^(٢).

وقوله: إن ظفرتم به فاجعلوه بين حزمتين من حطب، وحرَّقه بالنار!^(٣).

الأسلوب الثاني: هو القتل!

حيث قالوا أن النبي ﷺ عادَ ونهى عن إحراقه، لأنَّه (لا ينبغي لأحد أن يعدِّبَ بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما)^(٤)، وفي خبرٍ آخر (إن ظفرتم به فاقطعوا يديه، ورجليه، ثم اقتلوه)^(٥).

وبغضِ النَّظَرِ عن صحة هذا الكلام، فإنَّه ينبغي أن يقفَ المنصفُ وقفةً مع

(١) المنتخب من ذيل المذيل ص ٣٩، وتاريخ مدينة دمشق - المستدركات ج ٣ ص ٣٥٦.

(٢) السيرة النبوية ج ٢ ص ٢١٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق - المستدركات ج ٣ ص ٣٥٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢١٧، وروى البخاري في صحيحه ج ٤ ص ١٦٤ ما يقرب من ذلك دون أن ينقل الواقعة أو يذكر اسماً.

(٥) المنتخب من ذيل المذيل ص ٣٩.

(العامَة) (وَفَقَّ مَبَانِيهِمْ وَرَوَايَاتِهِمْ هَذِهِ)، فَإِذَا كَانَ تَرْوِيعُ زَيْنَبٍ أَوْ قَرَعُهَا بِالرَّمْحِ حَتَّى أَسْقَطَتْ سَبَبًا فِي اسْتِحْقَاقِ هَبَّارٍ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعِقَابِ، فَمَاذَا يَسْتَحِقُّ مَنْ رَوَّعَ الزَّهْرَاءَ حَتَّى أَسْقَطَتْ مُحْسِنًا؟!

أَيَسْتَحِقُّ أَنْ يُكْرَمَ وَيَصِيرَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ؟!

أَمْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقْتَلَ شَرًّا قَتْلَةً كَمَا اسْتَحَقَّهَا هَبَّارٌ؟!

إِنَّ مِنْ مَعَايِيرِ شِدَّةِ الْجَرِيمَةِ وَخَطُورَتِهَا أَنْ يَكُونَ مَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْجَرِيمَةُ أَعْظَمَ شَأْنًا، وَالزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ كُلِّ مَنْ عَادَاها مِنَ النِّسَاءِ، فَهِيَ بَضْعَةُ الْمُصْطَفَى وَرُوحِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، وَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَجْمَعِينَ، أَفَلَا يَسْتَحِقُّ ابْنُ الْخَطَّابِ عِقَابًا يُوَازِي مَا اسْتَحَقَّهُ هَبَّارٌ إِنْ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ؟!

هَذَا لَوْ سَاوَى فِعْلُهُ فِعْلَ هَبَّارٍ، لَكِنَّهُ فَاقَهُ بِأَشْوَابِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هُنَاكَ تَنَاسُبًا طَرْدِيًّا بَيْنَ شِدَّةِ الْجَرِيمَةِ وَشِدَّةِ الْعِقَابِ، فَمَاذَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْجَانِي يَا تَرِي؟!

لَا رَيْبَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ رَوَّعَ فَاطِمَةَ حَتَّى أَسْقَطَتْ جَنْبَيْهَا، وَلَكِنَّهُ رَوَّعَهَا بِمَا يَفُوقُ الْخِيَالَ!

إِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْفَرِيقَيْنِ يَذْهَلُ لِمَا فَعَلَهُ الْأَجْلَافُ بِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ، حَيْثُ رَوَّى فِيهَا رَوِي:

١. إِنَّ عَمَرَ ضَرَبَ بَطْنَ فَاطِمَةَ يَوْمَ الْبَيْعَةِ حَتَّى أَلْقَتِ الْجَنِينَ مِنْ بَطْنِهَا! ^(١).

(١) نقله القاضي عبد الجبار عن النَّظَّامِ فِي (الْمَنِيَّةِ وَالْأَمَلِ) ص ١٦١، وَالشَّهْرَسْتَانِي فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ

٢. وإنَّ عمر رفس فاطمة حتَّى أسقطت بمحسن!^(١).
٣. وَضَغَطُوا سَيِّدَةَ النَّسَاءِ بِالْبَابِ حَتَّى أَسْقَطَتْ مُحْسِنًا!^(٢).
٤. وَدَعَا عُمَرُ بِالنَّارِ فَأَضْرَمَهَا فِي الْبَابِ!^(٣).
٥. فَرَفَعَ عُمَرُ السَّيْفَ وَهُوَ فِي غَمْدِهِ فَوَجَأَ بِهِ جَنْبَهَا! .. فَرَفَعَ السَّوْطَ فَضْرَبَ بِهِ ذِرَاعَهَا!^(٤).

وروي عن لسانه لعنه الله:

١. فَضْرَبْتُ كَفَّيْهَا بِالسَّوْطِ فَأَلَمَهَا!
٢. فَرَكَكْتُ الْبَابَ وَقَدْ الصَّقْتُ أَحْشَاءَهَا بِالْبَابِ تَرُّسُهُ!
٣. فَصَفَقْتُ صَفَقَةً عَلَى خَدَّيْهَا مِنْ ظَاهِرِ الْخِمَارِ!^(٥).

وعن لسانها عليها السلام:

١. فَأَخَذَ عُمَرُ السَّوْطَ مِنْ قُنْفُذِ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، فَضْرَبَ بِهِ عَضْدِي فَالْتَوَى السَّوْطَ عَلَى يَدِي حَتَّى صَارَ كَالدَّمْلُجِ.
٢. وَرَكَكَلِ الْبَابَ بِرِجْلِهِ، فَرَدَّهَ عَلَيَّ وَأَنَا حَامِلٌ، فَسَقَطْتُ لِوَجْهِهِ، وَالنَّارُ تُسْعَرُ، وَتَسْفَعُ وَجْهِي.

(١) نقله الذهبي عن محمد بن حماد الحافظ عمَّن قرأه عند الحافظ والمحدث (ابن أبي دارم) في سير

أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٥٧٨.

(٢) اثبات الوصية للمسعودي ص ١٤٦.

(٣) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٥.

(٤) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٥.

(٥) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٣-٢٩٤.

٣. فَضْرَبَنِي بِيَدِهِ حَتَّى انْتَثَرَ قُرْطِي مِنْ أُذُنِي، وَجَاءَنِي الْمَخَاضُ فَأَسْقَطْتُ مُحْسِنًا قَتِيلًا بغيرِ جُرْمٍ^(١).

وعن الله تعالى مخاطباً نبيه ليلة المعراج:

وَأَمَّا ابْنُكَ:

١. فَتُظَلِّمُ وَتُحْرِمُ، وَيُؤْخِذُ حَقَّهَا غَضَبًا الَّذِي تَجْعَلُهُ لَهَا.

٢. وَتُضْرَبُ وَهِيَ حَامِلٌ.

٣. وَيُدْخَلُ عَلَيْهَا وَعَلَى حَرِيمِهَا وَمَنْزِلِهَا بغيرِ إِذْنٍ.

٤. ثُمَّ يَمَسُّهَا هَوَانٌ وَذُلٌّ، ثُمَّ لَا تَجِدُ مَانِعًا.

٥. وَتَطْرُحُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الضَّرْبِ.

٦. وَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ!^(٢).

والنتيجة أنهم قتلوا جنينها، بل قتلوها سلام الله عليها، فماذا يستحق هؤلاء

الأرجاس الأنجاس!؟

إن فعلهم هذا هو سنة جاهلية متأصلة فيهم، فالإساءة إلى النساء هو طبع

تطبع عليه الأعراب، بعدما تطبعوا على وأد البنات.

أليس عمر هو القائل: يا رسول الله اني وأدت في الجاهلية!^(٣).

أليس هو القائل:

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٤٩ عن إرشاد القلوب.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٣٢.

(٣) المجموع للنووي ج ١٩ ص ١٨٧.

ذهبت بابنة لي لوأدها، فكنت أحفر لها الحفرة وتنفض التراب عن لحيتي وهي لا تدري ماذا أريد لها^(١).

وهذا التاريخ يكشف لنا بعضاً من قبائح هذه الشخصية، حيث ذكروا أنّ أخت عمر بن الخطاب وصهره قد أسلما قبله، فثارت ثائرتة:

فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده نفحة فدمي وجهها!^(٢).

وفي رواية الحاكم: فضرب وجهها فأدمى وجهها!^(٣).

لم يكن هذا الجلف إلا أعرابياً لا يُراعي لأحد حُرمةً، ولا يشتمل على شيء من الإنسانية، فإن من اتّصف بشيء منها رحّم النساء لِضَعْفِهِنَّ، فكيف وقد أوصى بهنّ رسول الإنسانية عن ربّ العالمين وصيّة مؤكدة مكرّرة، ثم أوصى بابنته الزّهراء مراراً حتى لم يُبق لمعتذرٍ عُذراً.

لكنّ مرضى القلوب لا يزيدهم وعظُ السّماء إلا رجساً إلى رجسهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٤).

ولقد كان ابن الخطّاب رجساً بنفسه كما وصفته أخته! حيث روي أنّه كان لدى صهره وأخته من يقرأ لهما شيئاً من القرآن بعدما أسلما، ولما ضربها عمر أراد

(١) أضواء البيان ج ٨ ص ٤٣٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٦٨.

(٣) المستدرک ج ٤ ص ٥٩.

(٤) التوبة ١٢٥.

أن يحصل على الكتاب الذي عندهم، فقالت أخته كلمة تَهْرُ و جدان العاقل، حيث خاطبته بقولها: إنك رجسٌ، ولا يمسه إلا المطهرون!^(١)

وهل يعتدي على أهل بيت الطُّهر إلا الأرجاس الأنجاس؟!

إن هذا وأمثاله لا يستحقون شَفَقَةً ولا رحمة، حتى من أظهر القلوب، فهذه الزَّهراء عليها السلام تقول له ولصاحبه: وَلَيْنُ لَقَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَشْكُونَكَمُ إِلَيْهِ.

ثم تقول للأول: لَأَدْعُونَ اللهَ عَلَيْكَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أُصَلِّيهَا^(٢).

إن الصلاة معراج المؤمن، وقربان كل تقوي، وباب من أبواب الرحمة الإلهية، ولكنَّ الزَّهراء عليها السلام تدعو عليهما فيها، لسوء ما ارتكبا بحقها وحق أبيها وبعليها وبنيتها، وبحق دين الله عز وجل.

ولا يزال المؤمنون يدعون عليهما في صلواتهم، ويتوسلون إلى الله تعالى أن يزيدهما عذاباً فوق العذاب، فإنَّهما أسسا أساس الظلم والجور على آل محمد، فحَمَلًا في رقبتها أوزاراً مع أوزارهما.

والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٦٨.

(٢) البحار ج ٢٨ ص ٣٥٨.

(٣) الخميس ٢٥ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٣٠ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٢٥. بابُ فاطمة.. حجاب الله!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

في آية المائدة هذه دلالة جليّة على أن الله تعالى لا يتقبل كل عمل من أعمال عباده! فلا ينبغي أن يغترّ المؤمنُ بعمله أو بعمل أحد من المسلمين ما لم يطمئن إلى قبول الله تعالى له.

ألم يُقدّم قابيل قرباناً كهابيل؟ فلماذا تقبل الله تعالى أحدهما دون الآخر؟ وما السرُّ في ذلك؟

ليس هناك بُخلٌ في ساحة الله تعالى، فالله تعالى جوادٌ كريمٌ، ابتداءً الناس بالإحسان ابتداءً، ولا يُعقل أن لا يقبل عملاً عبثاً.

إنَّ من الناس من يأتي بعظيم الأعمال لغير وجه الله تعالى، فلا يتقي الله تعالى ولا يخشاه ولا يخافه، أو يمثّل لأمر الله فيما يناسب رأيه كإبليس اللعين، حين عبّد الله تعالى ثمّ أعرض لما أُمر بالسجود لآدم، فما كان مصيره إلا إلى النار.

وقد تكرر الأمر مع الأوائل من المسلمين، حيث روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أن النبي ﷺ دعا الأنصار حينما حضرته الوفاة، ونعى إليهم نفسه، وأثنى على مجاورتهم له ونصرتهم إياه، ومواساتهم له في الأموال، وبذلهم مُهَجَ النفوس

(١) المائدة: ٢٧.

في سبيل الله، وهي أمورٌ يستحقون عليها عظيم الثواب عند الله تعالى، كما كان إبليسُ مستحقاً للثواب على عبادة الله قبل رفضه السجود لآدم.

ولكن.. لم يكتمل امتحان هؤلاء بنصرة النبي ﷺ، فقال لهم:

وَقَدْ بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ تَمَامُ الْأَمْرِ، وَخَاتِمَةُ الْعَمَلِ! (١).

إنَّ كلَّ ما فعله هؤلاء في سبيل الله تعالى موقوفٌ على ختام أفعالهم، فكَم من ساعٍ للخير ختمَ سعيه بالانحراف عن أمر السماء، وكَم من عاملٍ أتلَف في آخر أيامه ثمار عمله للدنيا والآخرة.

إنَّ كلَّ أعمال العباد موقوفةٌ على آخر مُفردةٍ، تلك التي أكمل بها الدين، قال لهم ﷺ: مَنْ أَتَى بِوَاحِدَةٍ وَتَرَكَ الْأُخْرَى كَانَ جَاهِدًا لِلأُولَى، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا!

لقد فهم هؤلاء أن في ترك هذه المسألة ردةً عن الإسلام، وهلاكٌ في الآخرة، فسألوا النبي ﷺ أن يبين لهم ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ لهم: كِتَابُ اللهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي!

إنَّ جحود آل محمدٍ جحودٌ للقرآن، ويلزم منه بطلان كلِّ الأعمال، لأنها لم تقترن بشرط القبول، وإنما يتقبل الله من المتقين!

ثمَّ قال لهم ﷺ: أَحْفَظُونِي مَعَاشِرَ الْأَنْصَارِ فِي أَهْلِ بَيْتِي!

حفظُ آل محمدٍ هو حفظُ محمدٍ ﷺ، فمن أساء إليهم كأنه أساء إليه، ومن حفظهم فقد حفظ النبي ﷺ.

(١) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٤٣.

ليس لهذا صلةً بالقرابة فحسب، بل لأنهم أبواب الله تعالى، وقد قال ﷺ:
 الله الله في أهل بيتي، مصابيح الظلم، ومعادن العلم، وينابيع الحكم،
 ومُسْتَقَرِّ الملائكة، منهم وصيي وأميني ووارثي، وهو مني بمنزلة هارون من
 موسى، ألا هل بلغت؟!!

هُم المصباح لكل ظلمة، فلو أظلمت الدنيا بالفتن كان آل محمد مصابيحها،
 ولو اشتبهت الأمور على الأمم رفع آل محمد ظلامها بأنوار علومهم، فحق أن
 يوصي بهم النبي ﷺ، لأنهم طريق الله جل جلاله.

ولكن.. لماذا توصي بهم يا رسول الله؟

هل تحتاج أمتك إلى وصية لكي تحبهم وتحفظك بهم؟!

ألا يعرف الأنصار الذين بذلوا مهجهم دونك أن المرء يُحفظ في ولده؟!

ألم يسمعوا منك أعظم الأحاديث في مدحهم والثناء عليهم؟!

ألم يبايعوا وصيك في غدير خم عن قريب؟!

فما الذي يجري يا رسول الله؟!

يكمل ﷺ خطابه ليُشير إلى بلاء أعلمه الله بأنه نازل على عترته الطاهرة،
 ورمز هذا البلاء: باب ابنته فاطمة! الباب الذي طالما وقف عليه النبي ﷺ
 مستذناً!

يقول لهم: معاشر الأنصار ألا فاسمعوا ومن حصر: ألا إن فاطمة:

١. بأبها بابي.

٢. وبيتها بيتي.

فَمَنْ هَتَكَ فَقَدْ هَتَكَ حِجَابَ اللَّهِ!
 اللَّهُ أَكْبَرُ أَيُّ كَلِمَةٍ هِيَ هَذِهِ؟! أَيْعَقَلُ أَنْ يُهْتَكَ بَابُ فَاطِمَةَ وَبَيْتِهَا؟!
 ثُمَّ مَاذَا يَعْنِي هَتَكَ حِجَابَ اللَّهِ؟! وما هو حِجَابَ اللَّهِ؟!
 كان هذا الكلام عن الإمام الكاظم عليه السلام، لكنّه لما وصل عليه السلام إلى هنا بكى
 طويلاً! وقطع بقيّة كلامه!

أِهْ لِقَلْبِكَ الْفَجِيعِ يَا سَيِّدِي، كَيْفَ لَا تَبْكِي لِأُمَّكَ الزَّهْرَاءِ؟!
 بكى طويلاً ثم قال عليه السلام:

هُتِكَ وَاللَّهِ حِجَابُ اللَّهِ! هُتِكَ وَاللَّهِ حِجَابُ اللَّهِ! هُتِكَ وَاللَّهِ حِجَابُ اللَّهِ!
 يَا أُمَّةَ، صَلَّوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا!^(١).

يتمتلى المؤمن بالغصص لهولِ الفاجعة، وتنهمر دموعه على ما جرى في
 الدار، ولما يهدأ الأنين، وتنقطع الدموع التي من حقها أن لا تكف يوماً، يعود
 المؤمن للسؤال: كيف صار هتك باب فاطمة وبيتها هتكاً لحجاب الله؟!
 يتأمل المؤمن في زيارتها عليها السلام، فيجد فيها: وَسَلَلَتْ مِنْهَا أَنْوَارَ الْأَيْمَةِ،
 وَأَرْخِيَتْ دُونَهَا حِجَابَ النَّبُوَّةِ!^(٢).

الله تعالى هو الذي أخرج منها أنوار الأئمة، فالفعل فعله، وهو الذي أرخى
 دونها حجاب النبوة، أي أن النبوة صارت للزهراء حجاباً مُرسلاً!
 تُرخي المرأة دونها حجاباً فتعظم عند ربها، لكن الزهراء فاقت ذلك، فالذي

(١) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٤٦، وعنه بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٧٧، والنص منه.

(٢) إقبال الأعمال ج ٢ ص ٦٢٥.

أرعى دونها حجاباً هو الله تعالى! وكان ذلك الحجاب حجاب النبوة! وحجاب النبوة هو حجاب الله تعالى!

فقد ورد عن الباقر عليه السلام:

بِنَا عُبِدَ اللهُ، وَبِنَا عُرِفَ اللهُ، وَبِنَا وَعَدَ اللهُ، وَبِنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِجَابُ اللهِ! ^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: الإمام.. نُورُ اللهِ، وَحِجَابُ اللهِ! ^(٢).

وسواء أريد بالحجاب:

الواسطة في الخلق: لأنَّ الله خلق الخلق من أنوارهم.

أو في المعرفة: لأنَّ الله تعالى يُعَرِّفُ بهم.

أو في العطاء والرحمة: لأنَّ الله تعالى ينزل النِّعَمَ والعطايا والرحمة بهم.

أو أنَّ حُرْمَتَهُمْ من حرمة الله، وأنَّ التَّجَاوُزَ عليها تَجَاوُزُ على حَقِّ اللهِ.

أو أنَّهم أبوابُ اللهِ تعالى، والأدلاء عليه، أو غير ذلك من المعاني.

فإنَّ في هتكِ (حجاب الله) بهتكِ (بابها وبيتها) معنى لا يكاد يُدْرِكُ غَوْرُهُ!

فليس المراد قطعاً من كون بابها باب النبيِّ هو ملكية النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للباب!

بل إنَّ التَّجَاوُزَ على بابها، وهتكِ حُرْمَتِهِ، هُوَ تَجَاوُزُ لِحَقِّ الإله العظيم الخالق

المعبود، في أعظم المخلوقات وأحبها إليه، محمدٍ وآله عليهم السلام.

لقد صار هؤلاء حجابَ اللهِ وبابه وطريقه حين فُضِّلُوا على كلِّ الخلائق،

وعَظُمَ أمرُهُم حتى صار عَصِيّاً على الإدراك!

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٦٤.

(٢) المشارق ص ١٧٧.

لقد اجتمعت على الزهراء ألوان البلاء، وقد سألتها أم سلمة عن حالها فقالت: أَصْبَحْتُ بَيْنَ كَمَدٍ وَكَرْبٍ: فَقَدَ النَّبِيُّ، وَظَلِمَ الْوَصِيُّ، هَتِكَ وَاللَّهُ حِجَابُهُ!^(١)

كان الرسول ﷺ يحيطها برعايته، وصارت مُحاطَةً بالكمد والكرب! إنَّ الكمد هو (همٌّ وحُزنٌ لا يُستطاعُ إمضاؤه)^(٢)، أو (الحزن المكتوم)^(٣). والكرب هو (الغمُّ الشَّدِيدُ)^(٤)، أو (الغمُّ الذي يأخذ بالنفس)^(٥). فما حال هذا القلبِ الطاهرِ الوجيعِ، يتألمُ تارةً على فقدِ أعزِّ الخلقِ وأحبِّهم، وأخرى على ظلمِ الوصي، ألمًا يأخذُ بالأنفُسِ أو الأنفاسِ، ولا يُستطاعُ إمضاؤه وتجاوُزه!

لقد ذكرت الزهراء هنا ظلم الوصي ولم تذكر ما جرى عليها، قالت: (هَتِكَ وَاللَّهُ حِجَابُهُ)، وكلُّ واحدٍ منهم حِجابِ الله، فمُحمَّدٌ حِجابُهُ، وعليٌّ حِجابُهُ، وهَتِكَ حِجابُها هَتِكَ لحِجابِهِم.

وحين كان الإمامُ الكاظمُ عليه السلام يبكي لهتك حِجابِ الله بالاعتداء على بيتِ فاطمة وبابها، كانت فاطمةُ تبكي لهتك حِجابِ الله بالاعتداء على عليٍّ ومكانته!
فإِنَّهَا مَنْ يَعْرِفُ حَقَّ عَلِيٍّ وَيَتَأَلَّمُ عَلَيْهِ حَقًّا!

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٥٦.

(٢) كتاب العين ج ٥ ص ٣٣٤.

(٣) الصحاح ج ٢ ص ٥٣١.

(٤) معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٧٤.

(٥) كتاب العين ج ٥ ص ٣٦٠.

وهو مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَهَا حَتَّى يَقُولُ (هَذِهِ وَاللَّهِ مُصِيبَةٌ لَا عَزَاءَ لَهَا!)^(١).
 مَا أَعْظَمَكُمْ يَا آلَ بَيْتِ الرَّسُولِ، وَمَا أَشَدَّ عَذَابَ ظَالِمِكُمْ، لَقَدْ وَرَدَ فِي
 الْحَدِيثِ: وَمَنْ هَتَكَ سِتْرَ مُؤْمِنٍ هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢).

فكيف بمن هتك حجاب النبوة! بل حجاب الله تعالى!
 إِنَّ مَا فَعَلَهُ الْقَوْمُ هُوَ أَشْنَعُ فِعْلٍ يَتَصَوَّرُهُ عَاقِلٌ، فَلَيْسَ فِيهِ تَكْذِيبٌ لِلنَّبِيِّ
 ﷺ فَقَطْ، بَلْ فِيهِ انْتِهَاكُ حَرَمَتِهِ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَبْغِضُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ،
 فَعَنَ إِيمَانَنَا الْحَسَنَ ﷺ أَنَّ أَبْغَضَ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ تَعَالَى: الشُّرْكَ بِكَ، وَالتَّكْذِيبُ
 بِرَسُولِكَ!^(٣).

آه يا رسول الله، كذبوا أمرك، وهتكوا بابك وباب ابنتك، وقد أوصيتهم
 بحفظها مراراً!

ماذا جرى عليها يا رسول الله حتى همكت عينك عليها قبل شهادتك؟!
 مَنْ كَانَ مُحْتَضِراً يَبْكِي عَلَيْهِ أَحِبَّاءُهُ، لَكِنَّكَ كُنْتَ تَبْكِي عَلَيْهَا (مِثْلَ الْمَطْرِ)!
 آه لهُولِ الْمَصِيبَةِ، ذَاكَ حَيْثُ هُتِكَ حِجَابُ اللَّهِ.
 فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩١.

(٢) المؤمن ص ٦٩.

(٣) مهج الدعوات ص ١٤٤.

(٤) الخميس ٢ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٦ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٢٦. فاطمة.. رُكنٌ عليٌّ.. المهدود!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد روى الشيعة والسنة وصيةً غريبةً من النبي ﷺ لعليٍّ عليه السلام، حيث قال له قبل وفاته بأيام ثلاثة:

سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّيْحَانَيْنِ، أَوْصِيكَ بِرِيْحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا، فَعَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدُ رُكْنَاكَ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ.

فَمَنْ هُمَا رُكْنَا عَلِيٍّ عليه السلام؟ ولماذا يوصي النبيُّ علياً بابنيه؟! وما الصلةُ بين الركنين والوصية بالريحانتين!؟

أولاً: محمدٌ وفاطمةٌ ركننا عليٌّ!

يقول جابر: فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: هَذَا أَحَدُ رُكْنِي الَّذِي قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: هَذَا الرُّكْنُ الثَّانِي الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

فما المراد بالركن هنا؟

لقد ذُكِرَ في كتب اللغة: رُكْنُ الشَّيْءِ: جَانِبُهُ الْأَقْوَى. وهو يأوي إلى رُكْنٍ شديدٍ، أي عزٍّ ومنعَةٍ (٢). ورُكْنُ الرَّجُلِ: قَوْمُهُ وَعَدَدُهُ الَّذِينَ يَعْتَزُّ بِهِمْ (٣).

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٣٥، والفاثق للزخشري ج ١ ص ١٦٢.

(٢) الصحاح ج ٥ ص ٢١٢٦.

(٣) العين ج ٥ ص ٣٥٤.

إِنَّ لِعَلِيٍّ، وهو البطل المغوار، الكرار غير الفرار، الفتى الذي يهتف باسمه جبرائيل في السماء، صاحب سيف ذي الفقار.. لِعَلِيٍّ رُكْنَانِ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِمَا، ويقوى بهما، ويعتزُّ بهما، هُما خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ.

لقد فقدَ أميرُ المؤمنين الركنَ الأولَ عند شهادة النبي ﷺ، لكنَّه كان يتعزَّى بالثاني: بفاطمة الزهراء.

ولكن، ما ظلَّ له من يتعزَّى به بعد وفاتها، فإنَّه لما سمع بشهادتها:

وَقَعَ عَلِيٌّ عَلَى وَجْهِهِ! يَقُولُ: بِمَنْ الْعَزَاءُ يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ؟

كُنْتُ بِكَ أَتَعَزَّى، فَفِيمَ الْعَزَاءِ مِنْ بَعْدِكَ^(١).

لَمْ يَكُنْ خَبِرُ شَهَادَتَهَا مَفَاجِئًا، بل كان مُتَوَقِّعًا، رغمَ ذلك وقع ﷺ على وجهه هُولُ الْخَبَرِ وَعَظَمَتِهِ وَشِدَّتِهِ.

لقد أَخْبَرَتْهُ الزهراء قبل ذلك أَنَّهَا لَاحِقَةٌ بِأَبِيهَا، هِيَ تُرِيدُ اللَّحَاقَ بِهِ، بعدما سَمَّتِ الْحَيَاةَ بَيْنَ ظَهْرَانِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُنْكَوسَةَ.

لَكِنْ.. مَنْ لِعَلِيٍّ بَعْدَكَ يَا زَهْرَاءُ؟! لَقَدْ قَالَ لَهَا قَبِيلُ وَفَاتَهَا:

عَزَّ عَلِيٌّ بِمُفَارَقَتِكَ وَبِفَقْدِكَ^(٢)، إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ.

وَاللَّهُ، جَدَّدَ عَلِيٌّ مُصِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ عَظُمَتْ وَفَاتُكَ وَفَقْدُكَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَفْجَعَهَا وَآلَهَا وَأَمْضَاهَا وَأَحْزَمَهَا، هَذِهِ وَاللَّهُ

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٥٠١.

(٢) في البحار عنه وردت بلفظ: قَدْ عَزَّ عَلِيٌّ مُفَارَقَتِكَ وَتَفَقُّدِكَ.

مُصِيبَةٌ لَا عَزَاءَ عَنْهَا، وَرَزِيَّةٌ لَا خَلْفَ لَهَا! (١).

آه يا أمير المؤمنين، إلى من ترجع بعد فاطمة؟!

سيدي.. لم نفهم كيف تكون الزهراء وأبوها ركنك، وجانبك الأقوى!
وعزتك ومنعتك! وأنت صاحب السوابق، ومبيد الكتائب، الشديد البأس،
العظيم المراس، ليث الموحدين، وقاتل المشركين.

وأنى لنا أن ندرك العُلقة بينكم وقد كُنتم أنواراً قبل خلق الخلق! وقد
أجرى الله تعالى طاعتكم على الخلائق أجمع.

ما الصلة العظمى بينك وبين من (على معرفتها دارت القرون الأولى) حتى
صارَت رُكناً لك؟!

ذاك ما لا نطمح لمعرفة، لتسليمنا بالعجز عن إدراكه، لكننا ندرك أن لكم
جميعاً عند الله منزلةً عظيمة، لا يسبقكم إليها سابق ولا يلحق بكم لاحق، وأنكم
أنوار الله جلّ جلاله، وأن بينكم علقَةً إلهيةً نورانيةً ساميةً تفوق الوصف.

ثانياً: الوصية بالحسين

لماذا أوصى النبي ﷺ علياً بالحسين عليه السلام بعد فقد ركنيه: (أوصيك
بريحتي من الدنيا، فعن قليل ينهد رُكنك)، وما الصلة بين الأمرين؟!

إن النبي ﷺ يعلم مقدار الألم الذي سيعانيه الحسنان بعد ارتحاله
وبضعته، فهذا الحسن عليه السلام يقول بعد وفاتها عليه السلام: يا أمّاه، كلّمني قبل أن تُفارق

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ١٥١.

رُوحِي بَدَنِي!

والحسين عليه السلام يقول: يَا أُمَّاهُ، أَنَا ابْنُكَ الْحُسَيْنُ، كَلِّمْنِي قَبْلَ أَنْ يَنْصَدِعَ قَلْبِي فَأَمُوتَ! (١).

أيُّ نفوسٍ عظيمةٍ طاهرةٍ تمتلك هذه الأسرة، وأيُّ قلوبٍ رقيقةٍ تحويها أجسامهم الشريفة، وأيُّ معرفةٍ بمنزلة بعضهم يملكونها. إنَّ النبيَّ يعرفُ ما سيعاني الحسنان بعد فقد أمَّهما، لذلك أوصى بهما علياً عليه السلام بعد فقدها عليه السلام.

وقد سبقت هذه الوصية بالحسينين وصيةً أخرى بهما يقول فيها صلى الله عليه وآله: وَأَمَّا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَهُمَا ابْنَايَ وَرَيْحَانَتَايَ، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيُكْرِمَا عَلَيْكَ كَسْمِعِكَ وَبَصْرِكَ! (٢).

لقد أكرمهما عليٌّ كما أوصاه الرسول، لكنَّ هذه الأمة المنكوسة المتعوسة مالت عليهما ميلاً عظيماً، كما فعلت من قبلُ بأبيهما وأمَّهما. فمن أين يأتي عليٌّ بالصبر على ذلك؟!!

ثالثاً: أيوصى عليٌّ بالإحسان.. لفاطمة؟!!

يتعجَّب المرء عندما يسمع وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام بالحسينين، لكنَّه يزداد تعجباً لما يسمع وصيته له عليه السلام بفاطمة عليها السلام!

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٥٠٠.

(٢) الأمايلي للصدوق ص ٤٨٧.

لقد تكررَ منه الإيذاءُ بها مراراً، فعند زواجهما قال لها النبي ﷺ: لَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا.

وقال له ﷺ: ادْخُلْ بَيْتَكَ، وَالطُّفُ بَزَوْجَتِكَ، وَارْفُقْ بِهَا، فَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهَا، وَيَسْرُنِي مَا يَسْرُهَا^(١).

ثم تكرر الأمرُ في أيامه ﷺ، ومن ذلك قوله له ﷺ: وَإِنَّهَا أَوَّلُ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَأَحْسِنُ إِلَيْهَا بَعْدِي!^(٢).

وثالثةٌ قبيل شهادته ﷺ، وهو على فراشه:

فَرَفَعَ رَأْسَهُ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَيَدُهَا فِي يَدِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ:
يَا أَبَا الْحَسَنِ، هَذِهِ وَدِيعَةُ اللَّهِ، وَوَدِيعَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ عِنْدَكَ، فَاحْفَظِ اللَّهَ،
وَاحْفَظْنِي فِيهَا، وَإِنَّكَ لَفَاعِلٌ يَا عَلِيُّ^(٣).

ههنا يزول العجب، فإيذاء النبي علياً طريقاً لتعرف الأمة قدرها ﷺ، وتمتنع عن ظلمها.

إن النبي ﷺ يوصي كلَّ زوجٍ باللطف والرِّفق مع زوجته، لكن لفاطمة خصوصيتها، فهي (بَضْعَةٌ مِنِّي)، وينبغي أن يكون اللطف والرِّفقُ بها خاصاً متناسباً مع تلك المكانة.

ثم يشير النبي ﷺ إلى لزوم الإحسان إليها بعد وفاته: فَأَحْسِنِ إِلَيْهَا

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٣٦٣.

(٢) الأُمالي للصدوق ص ٤٨٧.

(٣) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٦٨.

بَعْدِي! وهو العالمُ بنوعِ إحسانِ الأمةِ إليها! حينِ اقتحمت دارها! وأسقطت جنيها! وقادت بعلمها!

أهكذا يكونُ الرفقُ ببضعةِ الرسولِ يا أمةَ الإسلامِ؟ أهكذا يكونُ الإحسانُ إليها؟!!

لقد رفع النبي ﷺ التَّعَجُّبَ بقوله: وَاحْفَظْنِي فِيهَا، وَإِنَّكَ لَفَاعِلٌ يَا عَلِيُّ! فليس المخاطب حقا هو عليّ ؑ، إِنَّ المخاطبَ هو الأمةُ المرتدة التي لم تحفظ (حقَّ الله فيها)!

هَذِهِ وَدِيعَةُ اللَّهِ: وهذه كلمةٌ عجيبةٌ، فالله تعالى استودعَ الزَّهْرَاءَ عِنْدَ عَلِيٍّ ؑ فَحَفِظَهَا، لكنَّ الأُمَّةَ تَدَخَّلَتْ وَأَصْرَتْ عَلَى تَضْيِيعِ الْوَدِيعَةِ، ذاك يومَ الهجومِ على دارها.

أَمَّا عَلِيُّ.. فهو القائلُ مع عظيمِ الغصَّةِ: فَوَ اللَّهُ مَا أَغْضَبْتُهَا! وَلَا أَكْرَهُتُهَا عَلَى أَمْرٍ! حَتَّى قَبَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ. وَلَا أَغْضَبْتَنِي، وَلَا عَصْتُ لِي أَمْرًا. وَلَقَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَنَكَّشِفُ عَنِّي الْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ^(١).

هذا كانُ حالُ عَلِيٍّ ؑ طيلة حياته مع وديعةِ الله ورسوله، إلى أن فقدَ ركنه الأول، فظللَ يتعزى بالزَّهْرَاءِ ؑ.

وبفقدِها أبركتِ الهمومُ لديه، وحطَّت رحالها بين يديه، فحملَ همًّا لا يبرحُ من قلبه، وهاجتِ أحزانه، وصارَ مترقبًا لقاءَ الله تعالى.

لقد أوصته الزَّهْرَاءُ بوصيةً عجيبةً، فقالت له ﷺ:

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٣٦٣.

١. أَنزِلْنِي قَبْرِي.

٢. وَالْحَدْنِي.

٣. وَسَوِّ التُّرَابَ عَلَيَّ.

٤. وَاجْلِسْ عِنْدَ رَأْسِي قُبَالَةَ وَجْهِي، فَأَكْثِرْ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالِدُّعَاءِ.

فَإِنَّهَا سَاعَةٌ يَحْتَاجُ الْمَيِّتُ فِيهَا إِلَى أَنْسِ الْأَحْيَاءِ^(١).

آه يا علي.. كيف أنزلتها القبر؟! بأيِّ حالٍ يا أبا الحسن؟ وكيف سويتَ عليها التُّراب؟ لقد كانت همومك تنكشفُ بالنظرِ إليها في الدنيا، وهي تأنسُ بك اليوم من تحت التُّراب!

أيُّ عُلقةٍ عظيمة هذه؟ توصيك بأن تجلس عند قبرها بعد موتها لتأنس بك حياً، رغم أنَّها قد رأت أباها رسول الله وجبرئيل ومواكب أهل السماوات! رغم ذلك تأنس بك أنت يا علي.

ألست أنت يا علي القائل: أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا احْتَضَرَتْ نَظَرَتْ نَظْرًا حَادًّا ثُمَّ قَالَتْ:

السَّلَامُ عَلَى جَبْرَيْلَ، السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ مَعَ رَسُولِكَ، اللَّهُمَّ فِي رِضْوَانِكَ وَجِوَارِكَ، وَدَارِكَ دَارِ السَّلَامِ^(٢).

آه لفاطمة.. تعيش بين الأنس بعليٍّ في دار الدنيا، وبين الشوق للحبيب المصطفى في دار السَّلَام، وهي العزيزة في أيامه، فتطلبُ من الله تعالى أن يُسرِّعَ بها

(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٠٠.

إلى أبيها، وتظلُّ تأنسُ بعليِّ قُربَ قبرِها!
إِنَّهَا فَاطِمَةُ.. ركنَ عليٍّ.. المهدود!
فلعنَ اللهُ مَنْ هدَّ ركنَه الأولَ بالسَّمِّ، وركنه الثاني بالقتل.
وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) الجمعة ٣ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٧ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٢٧. السلام على الضلع.. المدقوق!

بسم الله الرحمن الرحيم

جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بني عبد المطلب عنده قبيل وفاته، وأوصاهم بالأئمة الإثني عشر، ثم أقبل على فاطمة عليها السلام، وخاطبها قائلاً: إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي!

هيَ عِنْدَ النَّاسِ بُشْرَى بِالْمَوْتِ! يَمَقْتُهَا أَبْنَاءُ آدَمَ وَيَفْرُونَ مِنْهَا عُمْرَهُمْ! لَكِنَّ الزَّهْرَاءَ ضَحِكْتَ، فَهِيَ عِنْدَهَا بُشْرَى بِلِقَاءِ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ فِي دَارِ السَّلَامِ، بَعِيداً عَنِ الطَّغَاةِ اللَّثَامِ.

ثُمَّ قَالَ لَهَا ﷺ: وَأَنْتِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَرَّيْنِ بَعْدِي ظُلماً وَعَيْظاً، حَتَّى تُضْرِبِي، وَيُكْسَرَ ضِلْعٌ مِنْ أَضْلَاعِكَ! ^(١).

لَمْ يُعِدْ غَرِيباً أَنْ تَضْحَكَ الزَّهْرَاءُ لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ لِحَوْقاً بِهِ، كَيْفَ وَهُوَ يُجْرِبُهَا بِمَا سَيَجْرِي عَلَيْهَا مِنْ ظُلْمٍ وَعَيْظٍ.

إِنَّ الْغَيْظَ هُوَ: (غَضَبٌ كَامِنٌ لِلْعَاجِزِ) ^(٢)، وَقِيلَ (هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ) ^(٣)، أَوْ هُوَ (كَرْبٌ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِهِ) ^(٤).

وقد أشار النبي ﷺ إلى جريمتين خطيرتين عظيمتين عند الله تعالى،

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٩٠٧.

(٢) الصحاح ج ٣ ص ١١٧٦.

(٣) لسان العرب ج ٧ ص ٤٥٠.

(٤) معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤٠٥.

ضربُ فاطمة! وكسرُ ضلعِها! لكنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ما أفصحَ في هذا الحديث عن حقيقة الجريمتين تماماً، واكتفى بالإشارة من بعيد.

١. ضربُ فاطمة

يقولُ قائلٌ:

ما قصَّةُ الشيعة مع ضربِ فاطمة؟! لماذا يعظِّمون الأمر إلى هذا الحدِّ؟ إنَّها إن صحَّت فهي ضربَةٌ لا تُعَيَّرُ في مَصيرِ الأمة، فلماذا لا يزال الشيعةُ يعيشونها كلَّ عامٍ ويبنون عليها عقيدتهم في البراءة؟!
عامٍ ويبنون عليها عقيدتهم في البراءة؟!
عامٍ ويبنون عليها عقيدتهم في البراءة?!

فِيحِبُّ الشَّيْعِيَّ:

إنَّ فاطمة قُتِلَتْ من هذا الضَّرْبِ! فتعالَ أيُّها العاقلُ لنرى أيَّ ضَرْبٍ أَدَّى إلى قتل هذه المرأة الرقيقة الطاهرة، سيدة نساء الجنة، وبضعة النبي الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ. لقد روى بعض المخالفين أنَّ: عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى أَلقت المحسن من بطنها^(١).

وروي أَنَّهُ (رَفَسَهَا بِرِجْلِهِ)^(٢)، وَأَنَّهُ ضَرَبَ (كَفَّيْهَا بِالسَّوْطِ فَأَلَمَهَا) حتى سَمِعَ لها (زَفيراً وَبُكَاءً)^(٣).

وَأَنَّهُ أَخَذَ السَّوْطَ وَضَرَبَ بِهِ مَا بَيْنَ المِرْفَقِ إِلَى الكَتِفِ (فَأَخَذَ عُمَرُ السَّوْطَ

(١) الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١١.

(٢) الإختصاص ص ١٨٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٤.

مِنْ يَدٍ قُنْفُذٍ.. فَضْرَبَ بِهِ عَضْدِي)، وَأَنَّهُ (رَفَعَ السَّوْطَ فَضْرَبَ بِهِ ذِرَاعَهَا)^(١).
وَأَنَّهُ ضَرَبَهَا بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِ الْخَمَارِ عَلَى وَجْهِهَا (فَضْرَبَ بِنَيْ يَدِهِ حَتَّى انْتَشَرَ
قُرْطِي مِنْ أُذُنِي)^(٢)، وَأَنَّهُ ضَرَبَ جَنْبَهَا بِالسَّيْفِ: (فَرَفَعَ السَّيْفَ وَهُوَ فِي غِمْدِهِ
فَوَجَأَ بِهِ جَنْبَهَا)^(٣).

بل روي أن عمر أدامها وأهلبَ متنها حتى ماتت على تلك الحالة! ففي
كامل البهائي المترجم (للطبري) أن المقداد قال لعمر:
قد ضربت بنت رسول الله بالسيف - وهو مغمدٌ - على جنبها فأدميتها،
وأهلبت متنيها بالسوط حتى ماتت على هذه الحالة^(٤).

ونقل عن عقيل قوله لهم: ضربتموها بالأمس وخرجت من الدنيا وظهرها
بدمٍ (مدمي) وهي غير راضية عنكما^(٥).

هذا شيءٌ من ضربِ أسوأ الأجلاف لها، وما اشتفى اللعين بذلك، فأمرَ
قنْفُذٌ أيضاً بضربها (فضربها قنْفُذٌ بالسَّوْطِ عَلَى ظَهْرِهَا وَجَنْبِهَا إِلَى أَنْ أَنهَكَهَا وَأَثَرٌ
فِي جَسْمِهَا الشَّرِيفِ)^(٦).

وقد شركهم المغيرة حتى قال له الإمام الحسن عليه السلام: وَأَنْتَ الَّذِي ضَرَبْتَ

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٦٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٤٩.

(٣) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٦٤.

(٤) كامل البهائي ج ١ ص ٣٩٦.

(٥) كامل البهائي ج ١ ص ٣٩٧.

(٦) نوادر الأخبار ص ١٨٣.

فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدْمَيْتَهَا^(١).

ليس في كلمة النبي ﷺ المتقدمة سوى إشارة للضرب (حَتَّى تُضْرِبِي)، أما حقيقته فهو الضرب المدمي الذي يؤدي للموت.

حينها يفهم حديث الإمام الصادق عليه السلام: وَتُضْرَبُ وَهِيَ حَامِلٌ.. وَتَطْرَحُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الضَّرْبِ، وَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ^(٢).

لقد ضربوها ضرباً مبرحاً مُدمياً ظَلَّتْ تئنُّ منه أَيَّامَهَا حتى انتقلت إلى ربِّها من أثره، فلم يكن أمراً عابراً، بل كان جريمة عظيمة بكل المعايير، وقعت على أعظم امرأة في الوجود، تلك التي يغضبُ الله لغضبها، فصار غضبُ الشيعة مترشحاً ومتفرعاً عن غضبها وغضب الجبار على قاتليها.

٢. كَسْرُ ضِلْعِهَا

إِنَّ كَسَرَ الضِّلْعِ هُوَ الظُّلَامَةُ الثَّانِيَةُ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ قَالَ لَهَا ﷺ: وَيُكْسَرُ ضِلْعٌ مِنْ أَضْلَاعِكَ!

لكنه ﷺ لم يبيِّن كيفية الكسر في هذا الحديث، وإن أشار في حديث آخر إلى أن الكسر سيكون لضلع في جنبها، فقال مرَّةً لما رآها وذكر ما يجري عليها: كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ الدُّلُّ بَيْتَهَا.. وَكُسِرَ جَنْبُهَا، وَأَسْقَطَتْ جَنْبِهَا^(٣).

وفي حديث آخر: فَالْجَاهُهَا فُنْفُدٌ لَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى عِضَادَةِ بَابِ بَيْتِهَا، وَدَفَعَهَا فَكَسَرَ

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٣٢.

(٣) الأمل للصدوق ص ١١٤.

ضِلَعَهَا مِنْ جَنْبِهَا^(١).

لكنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَشَفَ فِي قُنُوتِهِ مَا هُوَ أَمْرٌ وَأَدَهَى، ففِي مِصْبَاحِ الْكُفْعَمِيِّ:
اللَّهُمَّ.. العنْ صَنَمِي قُرَيْشٍ.. بَعْدَ كُلِّ مُنْكَرٍ أَتَوْهُ.. وَجَنِينٍ أَسْقَطُوهُ، وَضِلْعِ
دَقُّوهُ!^(٢).

لقد كسروا ضِلْعَ فَاطِمَةَ، بل دَقُّوهُ! أي بالغوا في تكسيره قِطْعاً قِطْعاً! حتى
هَشَّمُوهُ ورضُّوه في كلِّ وجه! فلا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله.

في كتاب العين: دَقَّقْتُ الشَّيْءَ دَقًّا، وكلَّ شَيْءٍ كَسَرْتَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً^(٣).
وفي المحيط: والدَّقُّاقُ: فُتَاتُ كُلِّ شَيْءٍ^(٤).

وفي لسان العرب: والدَّقُّ: الكَسْرُ والرَّضُّ في كلِّ وجه، وقيل: هو أن
تضرب الشَّيْءَ بالشَّيْءِ حتى تَهْشِمَهُ^(٥).

فكمَّ ضربةٍ تعرَّضَ لها ضِلْعُ فَاطِمَةَ الشَّرِيفَةِ حتى صار ضِلْعاً مَدْقُوقاً! ذاك
ما يعلمه الله وأولياؤه وأعداؤه الذين ارتكبوا الجرم الشنيع.

ذاك أمرٌ يعلمه الإمام المعصوم، ويظهر أثره عليه، فقد روي أن رجلاً دخل
على الإمام الصادق عليه السلام موجع القلب لأمرٍ رآه، ولما سأله الإمام عن ذلك قال:
رَأَيْتُ جُلُوزاً يَضْرِبُ رَأْسَ امْرَأَةٍ وَيَسُوقُهَا إِلَى الْحَبْسِ، وَهِيَ تُنَادِي بِأَعْلَى

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٨.

(٢) المصباح ص ٥٥٣.

(٣) كتاب العين ج ٥ ص ١٨.

(٤) المحيط ج ٥ ص ١٩٧.

(٥) لسان العرب ج ١٠ ص ١٠٠.

صَوْتَهَا: الْمُسْتَعَاثُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَا يُغِيثُهَا أَحَدٌ!

إمرأة تُضْرَبُ وتُسَاقُ إلى الحبس فيتوجَّع قلبُ هذا الرَّجُلِ لأجلها، وهو لا يعرفها، يسأله الإمام عليه السلام عن سبب فعلهم ذلك فيقول:

سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّهَا عَثَرَتْ فَقَالَتْ:

لَعَنَ اللَّهُ ظَالِمِيكَ يَا فَاطِمَةُ، فَارْتَكَبَ مِنْهَا مَا ارْتَكَبَ! (أي الجلواز).

سبحان الله.. امرأة تلعن ظالمي فاطمة فتضرب وتُسَاقُ إلى الحبس من غير جرم، ثم تستغيث فلا تُغَاثُ، والناس بين راضٍ بضربها، وعاجزٍ عن الدَّفْعِ عنها. قَالَ: فَقَطَعَ الْأَكْلَ، وَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى ابْتَلَّ مِنْدِيلُهُ وَحَيْثُ وَصَدْرُهُ بِالْدَّمُوعِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَشَارُ فَمِ بِنَا إِلَى مَسْجِدِ السَّهْلَةِ فَنَدَعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَنَسْأَلُهُ خَلَاصَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ! ^(١).

ثم دعا الله تعالى لها ساجداً وما رفع رأسه حتى قال للرجل: فَمِ فَقَدْ أُطْلِقَتِ الْمَرْأَةُ، وكان الأمر كذلك فعلاً.

لقد دَلَّ الحديثُ على عظيم اهتمام الإمام عليه السلام بمن يذكرُ فاطمة وظلامتها، فكَمِ يهتمُّ إمامنا الحجة عليه السلام بذلك؟ وكَمِ تُسْتَشَارُ غيرتهُ إذا تعرَّض مؤمنٌ للظلم في سبيل إحياء أمرها وبيان ظلامتها؟

إنَّه أمرٌ يبعثُ في نفوس المؤمنين عزيمةً لا تُضَاهِي في سبيل الحفاظ على ذكرها، وتربية الأمم على حُبِّها وفضلها والبراءة من ظالميتها، فَمَنْ فَعَلَ ذلك كان في رعاية الإمام الحجة عليه السلام، وهو الشَّرْفُ الرَّفِيعُ، والعِزُّ والمجد والسُّؤدد.

إِنَّ ذِكْرَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَمَا جَرَى عَلَيْهَا قَدْ أَفْجَعَ قَلْبَ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِمَامِ
الْوَجُودِ، وَأَسَالَ دَمُوعَهُ، فَمِثْلُهُ يَعْرِفُ فَاطِمَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا، وَيَعْلَمُ جَيِّدًا عَظِيمًا مَا
جَرَى عَلَيْهَا، مِنْ ضَرْبٍ وَرَفْسٍ وَلَكْزٍ وَكَسْرِ!
يَعْلَمُ حَالَ ضِلْعِهَا الْمَدْقُوقِ.. وَجَنْبِهَا الْمَكْسُورِ.

يَعْلَمُ مَوَاضِعَ السَّيَاطِ وَأَثْرَهَا حَتَّى أَنْهَكَهَا الضَّرْبُ بِهَا.

يَعْلَمُ مَا فَعَلَتْ سَيَاطُ الثَّانِي وَقَنْفَذَهُ بِالزَّهْرَاءِ.. وَهُوَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِمَا يُجَازِيهِمْ
رُبُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ضَرْبِهَا وَإِسْقَاطِ مُحْسِنِهَا، حَيْثُ: يُؤْتِيَانِ هُوَ وَصَاحِبُهُ
فَيُضْرَبَانِ بِسَيَاطٍ مِنْ نَارٍ، لَوْ وَقَعَ سَوَاطُ مِنْهَا عَلَى الْبِحَارِ لَعَلَّتْ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى
مَغْرِبِهَا، وَلَوْ وُضِعَتْ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا لَذَابَتْ حَتَّى تَصِيرَ رَمَادًا فَيُضْرَبَانِ بِهَا^(١).

هَذَا شَيْءٌ مِنْ جَزَاءِ مَنْ يَظْلِمُ بَضْعَةَ الْمُخْتَارِ، سَيِّدَةِ النِّسَاءِ، وَيَضْرِبُهَا وَيَكْسِرُ
ضِلْعَهَا وَيُؤَلِّمُهَا بِالسَّيَاطِ، سَيَاطٌ لَا تُتَّصَرُّ عَظْمَةٌ أَثْرَهَا عَلَيْهِمْ، جَزَاءً بِمَا فَعَلَا.
وَلِئِنْ جَهَلَ امْرُؤٌ عَظِيمَ جُرْمِهِمْ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَظِيمِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ،
لِيَعْرِفَ كَمْ أَغْضَبُوا الْعَزِيزَ الْمُتَّقِمَ الْجَبَّارِ، وَأَيَّ جَنَائِيَةٍ وَجُرْمٍ لَا يُمْكِنُ تَصَوُّرُهُ قَدْ
ارْتَكَبُوهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ وَمِنْ أَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ.

وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ٣٣٤

(٢) السبت ٤ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٨ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٢٨. علي.. وقبر فاطمة..

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا شَفِيعَ لِلْمَرْأَةِ أَنْجَحَ عِنْدَ رَبِّهَا مِنْ رِضَا زَوْجِهَا^(١).

للزَّوجِ حَقٌّ عَظِيمٌ عَلَى الزَّوْجَةِ، بَلَغَ بِحَسَبِ بَاقِرِ الْعُلُومِ حَدًّا: صَارَ رِضَاهُ عَنْهَا سَبِيلًا لِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لَمْ تَوْمَرَ الْمَرْأَةُ بِالسُّجُودِ لَزَوْجِهَا، لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَوْمَرْ بِالسُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنْ ظَلَّ رِضَا الزَّوْجِ طَرِيقًا يَمَهِّدُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ الدُّخُولَ إِلَى جَنَانِ الرَّحْمَنِ.

يَكْمَلُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيَقُولُ: **وَلَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ قَامَ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ**

وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي رَاضٍ عَنِ ابْنَةِ نَبِيِّكَ!

عَلِيٌّ زَوْجُهَا رَاضٍ عَنْهَا، وَعَلِيٌّ إِمَامُهَا رَاضٍ عَنْهَا.

أَمَّا رِضَاهُ عَنْهَا كَزَوْجِهَا، فَهِيَ الَّتِي قَالَتْ لَهُ: **وَلَا خَالَفْتُكَ مُنْذُ عَاشَرْتَنِي**^(٢)، فَكَيْفَ لَا يَرْضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الطَّاهِرَةِ الْكَامِلَةِ الْمَعْصُومَةِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَأَمَّا رِضَاهُ عَنْهَا كإِمَامِهَا، فَهِيَ الَّتِي حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ لَمَّا أَرَادُوا أَخْذَهُ، فَتَعَرَّضَتْ لِلضَّرْبِ دِفَاعًا عَنِ إِمَامِهَا: **حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ، فَضَرَبَهَا فَنَفَّذَ الْمَلْعُونُ بِالسَّوْطِ**^(٣).

(١) الخصال ج ٢ ص ٥٨٨.

(٢) روضة الواعظين ج ١ ص ١٥١.

(٣) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٦.

قال عليه السلام هذه الكلمة (اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك)، ثم أتبعها بكلماتٍ تُقَطِّعُ القلوب:

١. اللهم إنَّهَا قَدْ أُوحِشَتْ فَاَنْسَهَا.

٢. اللهم إنَّهَا قَدْ هُجِرَتْ فَصَلِّهَا.

٣. اللهم إنَّهَا قَدْ ظَلِمَتْ فَاحْكُمْ لَهَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ^(١).

وَحِشَّةٌ وَهُجْرَانٌ وَظَلْمٌ، هو ما لاقتَه الزَّهْرَاءُ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُنْقَلَبَةِ عَلَى أَعْقَابِهَا، وَعَلِيٌّ إِلَى جَانِبِهَا، وَلَكِنْ.. مَا أَمَكَّنَهُ أَنْ يَرُدَّ الْقَوْمَ عَنْهَا.

هِيَ مُتَأَلِّمَةٌ لِفِرَاقِ أَبِيهَا، وَالْقَوْمُ يَمْنَعُونَهَا حَتَّى مِنَ الْبِكَاءِ عَلَيْهِ!

هِيَ مَظْلُومَةٌ مَقْهُورَةٌ، وَعَلِيٌّ لَا يَسَعُهُ الدَّفْعُ عَنْهَا، وَإِرْجَاعُ حَقِّهَا إِلَيْهَا.

عَلِيٌّ ذُو الْقَلْبِ الْمَكْلُومِ، يُوَكِّلُ أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ الَّذِي سِيحْكُمُ لَهَا، وَهَكَذَا يَفْعَلُ كُلُّ مُحِبٍّ لَهَا عِنْدَمَا يَزُورُهَا بِقَوْلِهِ:

اللَّهُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ دُنْيَاهَا مَظْلُومَةٌ مَغْشُومَةٌ، قَدْ مُلِئَتْ دَاءً وَحَسْرَةً وَكَمَدًا وَغُصَّةً، تَشْكُو إِلَيْكَ وَإِلَى أَبِيهَا مَا فَعَلَ بِهَا، اللَّهُمَّ انْتَقِمْ لَهَا وَخُذْهَا بِحَقِّهَا^(٢).

الزَّهْرَاءُ مَغْشُومَةٌ: أَي مَقْهُورَةٌ مَظْلُومَةٌ مَغْلُوبَةٌ^(٣).. الزَّهْرَاءُ مَمْلُوءَةٌ دَاءً وَهَمًّا

(١) الخصال ج ٢ ص ٥٨٨.

(٢) المزار الكبير ص ٧٩.

(٣) ففي معجم مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤٢٥: غشم: الغين والشين والميم: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على فَهْرٍ وَعَلْبَةٍ وَظَلْمٍ. مِنْ ذَلِكَ الْعَشْمُ، وَهُوَ الظُّلْمُ.

وحُزناً لا يمكن إمضاؤه.. الزَّهراء مغمومةٌ قد مُلئت غُصَّةً مما جرى عليها من القوم.. فلا حول ولا قوَّة إلا بالله، والمشتكى إلى الله.

أوحِشت الزَّهراء وظلِّمت وهي فوق التُّراب، فأراد عليٌّ عليه السلام أن تُراعى تحت التُّراب!

لئن أبى أكثرُ الناس إلا كفوراً بولاية عليٍّ ومودَّة الزَّهراء عليهن السلام، وقد قست قلوبهم فصارت كالحجارة أو أشدَّ قسوة، فإنَّ الجمادات تعرفُ قدرَ الأعظام، لقد جَلَسَ عليٌّ على شفير قبرها عليها السلام وقال:

يا أرضِ اسْتودَعْتُكِ وَدِيعَتِي! هَذِهِ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ.

وكان الأَعْجَبُ من كلامه أن سمعَ نداءً من الأرض:

يا عليُّ أَنَا أَرْفُقُ بِهَا مِنْكَ، فَارْجِعْ وَلَا تَهْتَمَّ!

أي معنى عَجِيبٍ هذا؟ النَّاسُ يظلمونها ويقهرونها وهي حيَّةٌ، ثمَّ تصيرُ عليها السلام ودِيعَةً عليٍّ عند الأرض، فتكون الأرضُ أرفقَ بها!

ههنا اطمأنَّ عليه السلام على الزَّهراء: فَارْجِعْ، وَأَنْسَدِّ الْقَبْرُ، وَأَسْتَوِي بِالْأَرْضِ، فَلَمْ يُعْلَمْ أَيْنَ كَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

ولكن.. كيف يرجعُ عليٌّ ويدعُ الزَّهراء وحدها؟!

كيف لا يهتمُّ بعدما أوسدها التُّراب؟!

إنَّ من هوان الدُّنيا على الله تعالى أن لا يتمكَّنَ عليٌّ من المقام عند قبر فاطمة عليها السلام، وهو القائل: وَلَوْ لَا غَلَبَةُ الْمُسْتَوْلِينَ، لَجَعَلْتُ الْمَقَامَ وَاللَّبْثَ لِرِزَامًا مَعْكُوفًا،

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٥.

وَلَا عَوَّلْتُ إِعْوَالَ الثَّكَلَى عَلَى جَلِيلِ الرَّزِيَّةِ^(١).

عَلِيٌّ يُرِيدُ أَنْ يَلْبَثَ عِنْدَ قَبْرِ فَاطِمَةَ، وَيَتَّخِذَهُ مَقْرَأً وَمُسْتَقْرَأً وَمُعْتَكِفًا!
يُرِيدُ أَنْ يَجِيسَ نَفْسَهُ لِلْبِكَاءِ وَالْعَوِيلِ عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام.

لَكِنَّ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُهُ، إِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ الْأَجْلَافَ الْمَتَسَلِّطُونَ بِقُوَّةِ
السَّلَاحِ مَوْضِعَ قَبْرِ فَاطِمَةَ عليها السلام، فَصَارَ حُزْنُهُ مَضَاعِفًا: حُزْنٌ عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهَا،
وَأَخْرُ عَلَى فَقْدِهَا، وَثَالِثٌ لِعَدَمِ اللَّبْثِ عِنْدَ لِحْدِهَا.

لَقَدْ أَوْصَتْهُ أَنْ لَا يُعْرِفَ قَبْرَهَا، فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَلْبَثَ قُرْبَهَا دَائِمًا! مَعَ أَنَّهَا تَأْنَسُ
بِهِ حَيَّةً وَمَيِّتَةً.. وَقَدْ أَوْصَتْهُ أَنْ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهَا بَعْدَ أَنْ يَسْوِي التَّرَابَ عَلَيْهَا
لِتَأْنَسَ بِهِ!

وَأَنِّي لَهُ أَنْ يَلْزِمَ قَبْرَهَا وَيَبْكِيهَا جَهَارًا نَهَارًا وَقَدْ عُفِّيَ مَوْضِعُهُ، وَالتَّبَسُّ
الْأَمْرَ عَلَى الْقَوْمِ لَمَّا أَعَدَّ أَرْبَعِينَ قَبْرًا جُدْدًا.

ذَاكَ حَيْثُ: ضَجَّ النَّاسُ وَلَا مَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَالُوا: لَمْ يُخَلِّفْ نَبِيَّكُمْ فِيكُمْ
إِلَّا بِنْتًا وَاحِدَةً، تَمَوَّتْ وَتُدْفَنُ وَلَمْ تَحْضُرُوا وَفَاتَمَهَا وَلَا دَفَنَهَا وَلَا الصَّلَاةَ عَلَيْهَا! بَلْ
وَلَمْ تَعْرِفُوا قَبْرَهَا!

فَقَالَ وُلَاةُ الْأَمْرِ مِنْهُمْ: هَاتُوا مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَنْبُشُ هَذِهِ الْقُبُورَ حَتَّى
نَجِدَهَا فَنُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَنَزُورَ قَبْرَهَا^(٢).

مَا رَضِيَتِ الزَّهْرَاءُ عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهَا حَتَّى تَرْضَى عَنْهُمْ فِي مَمَاتِهَا.

(١) الكافي ج ١ ص ٤٥٩.

(٢) دلائل الإمامة ص ١٣٦.

ما احتملت أن يدخلها عليها حيَّة حتى أعرضت بوجهها عنها، ثم
 خَصَمَتْهَا وتوفيت غاضبةً عليهما، أَفَرَضَى ويرضى عليٌّ أن يقفا عند قبرها؟!
 أيرضى عليٌّ أن ينبشا قبرها ويُخْرِجَاها ويطمِسا معالم الظلّامة؟!
 لن ترضى الزَّهراء بأقل من ظلامية باقية على مرِّ الدهور، ولن يرضى عليٌّ
 بأقل من أن ينفذ وصية فاطمة، ويمنعهم من نش قبرها.

فَخَرَجَ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَدَرَّتْ أَوْدَاجُهُ، وَعَلَيْهِ قَبَاؤُهُ الْأَصْفَرُ الَّذِي
 كَانَ يَلْبَسُهُ فِي كُلِّ كَرِيهَةٍ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى سَيْفِهِ ذِي الْفَقَارِ، حَتَّى وَرَدَ الْبَقِيعَ، فَسَارَ
 إِلَى النَّاسِ مَنْ أَنْدَرَهُمْ، وَقَالَ:

هَذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ أَقْبَلَ كَمَا تَرَوْنَهُ، يُقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ حُوِّلَ مِنْ هَذِهِ
 الْقُبُورِ حَجْرٌ لِيَضَعَنَّ السَّيْفَ فِي رِقَابِ الْأَمْرِينَ.

الناس تعرف بأس حيدر، فليست صولاته وجولاته بالشيء الذي يُنسى،
 وها هو اليوم يعودُ بالتاريخ إلى أيام الشدائد، ويظهرُ ذلك عليه جلياً، فيسبقه
 خبره إلى البقيع إنذاراً مُدَوِيّاً.

لكنَّ القومَ ظنوا أنَّ ما قيَّدَ علياً عن المطالبة بحقه فيما سبق سيكون سيّلاً:
 فَتَلَقَّاهُ عُمَرُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، وَاللَّهِ
 لَنَنْبِشَنَّ قَبْرَهَا وَلَنُصَلِّينَّ عَلَيْهَا.

فَضْرَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ إِلَى جَوَامِعِ ثَوْبِهِ فَهَزَّهُ ثُمَّ ضْرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَقَالَ لَهُ:
 يَا ابْنَ السُّودَاءِ:

أَمَّا حَقِّي: فَقَدْ تَرَكَتُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَرْتَدَّ النَّاسُ عَن دِينِهِمْ.

وَأَمَّا قَبْرُ فَاطِمَةَ: فَوَ الَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ، لَيْنٌ رُمْتَ وَأَصْحَابُكَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ لِأَسْقِينِ الْأَرْضِ مِنْ دِمَائِكُمْ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَعْرِضْ يَا عُمَرُ^(١).

رأى القوم بأس حيدر المعهود، وعلموا أن المورد ليس من الموارد التي يمكن لعلّي أن يسكت عنها، فانكفروا ورجعوا خاسئين، قد امتلؤوا رُعباً.

قال عليه السلام مخاطباً من اشتهر بالفرار والإنكسار:

لَيْنٌ سَلَلْتُ سَيْفِي لَا عَمْدَتُهُ دُونَ إِزْهَاقِ نَفْسِكَ، فَرُمَ ذَلِكَ! فَانْكَسَرَ عُمَرُ وَسَكَتَ^(٢).

هكذا أنفذ عليٌّ عليه السلام وصية حبيبة المصطفى صلى الله عليه وآله، لتظلّ الظلامه حيةً إلى ظهور المنتقم الآخذ بالثار.

اللهم عجل فرجه، وسهل مخرجه، واجعلنا من أعوانه، المنتقمين معه لفاطمة عليها السلام.

ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٣).

(١) دلائل الإمامة ص ١٣٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٧١.

(٣) الإثنين ٢٧ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٣١ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٢٩. وَجَحَدُوا الرَّسُولَ.. بِقَتْلِ الْبَتُولِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ لِلْإِبْلِيسِ.. لَعُوقًا.. وَلَعُوقُهُ الْكَذِبُ! (١).

حديثٌ يرويه الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول

الله صلى الله عليه وآله.

قد يلعقُ الإنسانُ أصابعه بعد الطَّعامِ مُلتدِّدًا، لكنَّ لذةَ إبليس وهمةً في محلِّ آخر: في الكذب، يتبعه في ذلك جنوده من شياطين الجنِّ والإنس، بل قد يسبقه منهم سابق!

ومن ذلك ما جرى بعد شهادة الزَّهراء عليها السلام: فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ يُعْزِيَانِ عَلِيًّا عليه السلام وَيَقُولَانِ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، لَا تَسْبِقْنَا بِالصَّلَاةِ عَلَى ابْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ! (٢).

ههنا يظهر لعوق إبليس جليًّا!

القومُ يُعْزُونَ عَلِيًّا فِي فَاطِمَةَ! وهل قَتَلَهَا غَيْرُهُمْ!؟

القومُ يريدون الصلاة على ابنة رسول الله! والمشاركة في دَفْنِهَا! وهل

شاركوا من قَبْلِ فِي دَفْنِ أَبِيهَا صلى الله عليه وآله!؟

لقد ثبت عن المعصوم عليه السلام قوله: إِنَّ مِمَّا أَعَانَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْكَذَّابِينَ النَّسِيَانَ (٣).

فينسى الكذَّاب حتى لا يعرف كيف يخفي كذبه، ولا ينظلي لعوقه على

(١) معاني الأخبار ص ١٣٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٧٠.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٣٤١.

المؤمن، والمؤمن لا ينسى مثل هذه الحوادث، فيرجع بالتاريخ أياماً قليلةً إلى الوراء، ويتأمل فيما رواه (سَيِّدُ الحُقَّاطِ) و(عديم النظر) (١) من المحدثين عند العامة، ابن أبي شيبة الكوفي (المتوفى سنة ٢٣٥ هـ) حين قال:

حدثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي ﷺ، كانا في الأنصار فُدفِنَ قبل أن يرجعا! (٢).

ماذا كان يفعل هؤلاء (في الأنصار) حتى انشغلا عن دفن النبي ﷺ؟! إنهم على سابق عهدهم وطريقتهم، لطالما كانوا يترَبَّصون الدوائر بآل محمد، واليوم هم كالأمس.

في خطبة الزهراء عِزَّتِهَا حينما وصفت حال أمير المؤمنين عِزَّتِهُمَا مع النبي ﷺ أيام الشدة قالت لهم: وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَكَيْهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ (٣).

هكذا كانوا.. وهكذا هم اليوم، ينهمكون في التدبير والخديعة والمكيدة، والنبي ﷺ لم يدفن بعد.

حتى تلك المرأة التي كذبوا وقالوا أن الرسول ﷺ توفي في حجرها، نقل عنها أئمة المؤرخين والمحدثين فقالوا:

عن عائشة قالت: ما عَلِمْنَا بَدْفِنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى

(١) لقبه هو: سَيِّدُ الحُقَّاطِ، ووصفه الذهبي بأنه (عديم النظر) في تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٤٣٢.

(٢) المصنف ج ٨ ص ٥٧٢.

(٣) الاحتجاج ج ١ ص ١٠١.

سمعنا صوت المساحي من آخر الليل^(١).

يُعرفُ دَفْنُ الرَّسُولِ عندهم بأصواتِ الجارفِ أثناءِ إهالةِ التُّرابِ! لا بالمشاركةِ في تشييعه ودفنه! وهو صاحبُ رسالةِ السماءِ العظيمةِ ورسولِ الإسلامِ وخيرِ الخلقِ أجمعين!

أسوأ محضراً!

إِنَّ حَكَايَا التَّارِيخِ لَيْسَتْ قِصَصاً تُرَوَى مِنَ الشَّيْعَةِ لِأَطْفَالِهِمْ، إِنَّهَا مَوَاقِفُ تَحْتَرِنُ عَظِيمَ المَعَانِي، وَتَسْتَبْطِنُ أَلَاماً مِنْ أَسْوَأِ قَوْمٍ، حَضَرُوا أَسْوَأَ مُحَضَّرٍ! نقل الشيخ المفيد في أماليه عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ:

لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَتْ عَلَى بَابِهَا وَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، حَضَرُوا أَسْوَأَ مُحَضَّرٍ! تَرَكُوا نَبِيَّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِنَازَةً بَيْنَ أَظْهُرِنَا! وَاسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَنَا!^(٢).

وَنَقَلَ فِي إِرْشَادِهِ فَقَالَ: وَلَمْ يَحْضُرْ دَفْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ النَّاسِ، لَمَّا جَرَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنَ التَّشَاجُرِ فِي أَمْرِ الْخِلَافَةِ، وَفَاتَ أَكْثَرُهُمُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ لِذَلِكَ. وَأَصْبَحَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تُنَادِي: وَاسُوءَ صَبَاحًا!

فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ صَبَاحَكَ لَصَبَاحٌ سُوءٌ!^(٣).

أَيُّ كَلِمَةٍ عَظِيمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا لِسَانُ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ! وَأَيُّ لَفْظٍ قَبِيحٍ يَتَقَيَّحُهُ ابْنُ

(١) المصنف ج ٣ ص ٢٢٧.

(٢) الأمالي للمفيد ص ٩٥٠.

(٣) الإرشاد ج ١ ص ١٨٩.

ابي قحافة!

نظرت الزهراء، فإذا بقوم أبيها قد تركوه صلى الله عليه جنازةً، واجتمعوا على سلب عترته وأقرب الناس إليه حقهم! وتشاجروا على ما ليس لهم! وضيعوا الرسول بعد انقلابهم على أعقابهم! فرأت عليها في ذلك (أسوأ محضراً) في صباحٍ سوء (وأسوء صباحاً!).

هي المحققة في ذلك، فإن أهل الأرض قد سلبوا إرث السماء، وانتهكوا حرمة رسول الله وآل الله عليهم!

لكن من عجبت بنات أفكاره بريق الأفاعي، وخلطت كلماته بقيتها، لن يكون له جواب سوى قوله لها: إن صباحك لصباح سوء!

يقال للبتول الطاهرة هذا القول بعد التجاوز عن حقها! فواعجباً للأرض التي تسمع هذه الكلمات كيف لا تنشق وتبتلع هؤلاء! إنها إرادة الرب في الإملاء لهم، ليزدادوا إثماً.

لقد غابوا عن دفن النبي صلى الله عليه، ثم ظلموا الزهراء عليها حقها، وأرادوا أن يغسلوا العارين معاً بالصلاة عليها والمشاركة في دفنها!

لقد روي في كامل البهائي المترجم (للطبري) أنهما قالوا:

لا بد من إخبارنا لحضور جنازتها، والصلاة عليها، فلم يجبهما أمير المؤمنين عليه.. قال سلمان: اذهبوا إلى بيوتكم فقد أحرنا تجهيز الزهراء.

فقال عمر: أقسم بالله ما أرادوا بالتأخير إلا دفنها سراً، فلا نحضر

جنازتها^(١).

لقد شعرَ الثاني بل جَزَمَ أَنَّ آلَ الرَّسُولِ يريدون تفويت الفرصة عليهم، بما يظنونه غسلاً للعار الذي لا يُغسل.

ولما طلعَ الصباح، وتبيَّن أن فاطمة قد دُفِنَت ليلاً:

التَمَّتْ عُمْرٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: أَمْ أَقُلُّ لَكَ إِنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ؟! ..

[وَاللَّهِ] لَا تَتْرُكُونَ يَا بَنِي هَاشِمٍ حَسَدَكُمْ الْقَدِيمَ لَنَا أَبَدًا!!^(٢).

يعلّم هؤلاء موجبات مواقف الآل الكرام، ويُدركون أكثر من غيرهم عَظِيمَ الأسباب التي تدعو آل محمد لهذا الموقف، فالمرء أعلم بنفسه، ومن ذلك أَنَّهُمْ يحسدون بني هاشم أصحاب الشرف الرفيع. فَإِنَّ وَضَاعَةَ هؤلاء جعلتهم ينسبون الحسد للمحسود! وهذا هو حال الأراذل حيث ينسبون النقص لأهل الكمال.

ولقد أغفل هؤلاء أموراً وأغمضوا عنها، حيث ظنّوها تغيب عن كلِّ

الأمة، ومنها:

١. أَنَّهُمْ أَضَمَرُوا الشَّرَّ لِرَسُولِ اللَّهِ

لقد روى ابن ابي الحديد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم أضمرُوا لرسولك صلى الله عليه وآله ضروباً من الشرِّ والغدر، فعجزوا

(١) كامل البهائي ج ١ ص ٣٩٦.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٧١.

عنها، وحِلَّتْ بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي، والدائرة عَلِيٍّ!^(١)
لقد آن الأوان عند القوم ليأخذوا بثأرهم بعد وفاة النبي ﷺ، وما عجزوا
عنه عندما كان محمدٌ وعليٌّ معاً، أرادوا أخذه من الوصيِّ منفرداً، فلقد انهدَّ ركنه
الأول بفقد الرِّسول، وها هي المضمَّرات تَظْهَرُ عَصفاً في آل الرِّسول، وظُلماً
وقهراً واضطهاداً وأخذاً بالثأر!

٢. أنهم طلبوا الملك باسم الرسالة!

لقد أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أن القوم ما آمنوا بالله حقاً، بل
اتخذوا الإيمان طريقاً لبلوغ ما عدَّوه (ملكاً لا ينبغي أن يبقى في آل الرِّسول)، وأنَّ
بقاءهم على ظاهر الديانة إنما كان لأجل بلوغ تلك الغاية، ولو كان لهم طريقٌ
لبلوغها مع عدم الإبقاء على ظاهر الإسلام لما ظلوا عليه!

قال عليه السلام: **وَاللَّهِ لَوْ تَمَكَّنَ الْقَوْمُ أَنْ يَطْلُبُوا الْمُلْكَ بِغَيْرِ التَّعَلُّقِ بِاسْمِ رِسَالَتِهِ
كَانُوا قَدْ عَدَلُوا عَن نُّبُوَّتِهِ**^(٢).

وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام:

يا أمير المؤمنين، أ رأيت لو كان رسول الله ﷺ ترك ولداً ذكراً قد بلغ
الحلم، وأنس منه الرشد، أ كانت العرب تسلم إليه أمرها؟
قال: لا بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت!

(١) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٩٨.

(٢) كشف المحجة لثمره المهجة ص ١٢٦.

إن العرب كَرِهَتْ أمر محمد ﷺ وحسدته.. وأجمعت مُذْ كان حياً على
صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته.

ولو لا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعةً إلى الرئاسة، وسلماً إلى العزِّ والإمرة،
لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً! (١).

٣. أنهم أرادوا استذلال رسول الله!

لقد خاطب الإمام الحسن عليه السلام المغيرة فقال: وَأَنْتَ الَّذِي ضَرَبْتَ فَاطِمَةَ
بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدَمَيْتَهَا، وَأَلَقْتَ مَا فِي بَطْنِهَا:

١. اسْتِذْلَالًا مِنْكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٢. وَمُخَالَفَةً مِنْكَ لِأَمْرِهِ.

٣. وَأَنْتِهَا كَأُحْرَمْتِهِ (٢).

هكذا كان القوم، يُضْمِرُونَ الشرَّ لرسول الله ﷺ في حياته، ويطلبون
المُلك باسمه بعد وفاته، ويسعون إلى استذلاله بضرب ابنته فاطمة، وقد أمر ﷺ
عن ربِّه عزَّ وجلَّ بمودَّتها، وحذَّرَ من التعرُّض لها!

إنَّهم أهلُ الجحود والإنقلاب على الأعقاب، إنَّهم سفلةُ الأعراب! وقد
جَحَدُوا الرَّسُولَ وكَذَّبُوا به وبرسالته، بانتهاك حرمة، وقتل بضعته.

لقد ورد عن المعصومين عليه السلام:

(١) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٩٩.

(٢) الإحتجاج ج ١ ص ٢٧٨.

فُحْشِرَ سِفْلَةُ الْأَعْرَابِ، وَبَقَايَا الْأَحْزَابِ، إِلَى دَارِ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، وَمَهْبِطِ
الْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَمُسْتَقَرِّ سُلْطَانِ الْوَلَايَةِ، وَمَعْدِنِ الْوَصِيَّةِ وَالْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ،
حَتَّى نَقَضُوا عَهْدَ الْمُصْطَفَى، فِي أَخِيهِ عَلَمِ الْهُدَى، وَالْمُبِينِ طَرِيقِ النَّجَاةِ مِنْ طُرُقِ
الرَّدَى^(١).

اجتمع الأندال والأراذل والغوغاء والدون والسقاط (من الأعراب)!
الأشد كُفْرًا ونفاقًا! وبقايا الأحزاب المحاربين لله ورسوله، لينقضوا عهد
المصطفى ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوءُ الدَّارِ﴾^(٢).

وعنهم ﷺ: وَجَرَحُوا كِبِدَ خَيْرِ الْوَرَى، فِي ظُلْمِ ابْنَتِهِ، وَأَضْطَهَادِ حَبِيبَتِهِ،
وَاهْتِضَامِ عَزِيزَتِهِ، وَبَضْعَةِ لَحْمِهِ، وَفِلْدَةِ كَبِدِهِ.
وَخَذَلُوا بَعْلَهَا، وَصَغَّرُوا قَدْرَهُ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُ، وَقَطَعُوا رَحِمَهُ، وَأَنْكَرُوا
أُخُوَّتَهُ، وَهَجَرُوا مَوَدَّتَهُ، وَنَقَضُوا طَاعَتَهُ، وَجَحَدُوا وَوَلَايَتَهُ، وَأَطْمَعُوا الْعَبِيدَ فِي
خِلَافَتِهِ^(٣).

لا يُرْتَجَى سِوَى ذَلِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْجَاسِ الْأَرْجَاسِ، سِفْلَةِ الْأَعْرَابِ،
بِتَأْسِيسِهِمْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجورِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَنَقْضِهِمْ عَهْدَهُ ﷺ، وَأَذْيَتِهِمْ
بِضَعْتِهِ وَوَصِيَّتِهِ.

(١) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٢٩٧.

(٢) الرعد ٢٥.

(٣) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٢٩٧.

ولقد حُشِرَ أحفادُ هؤلاء على رأيهم عاماً بعد عام، حين تولَّوهم وأتبعوهم،
وأوجدوا لهم العذر في أخبثِ فعالهم!

ومن ذلك ما ذهب إليه جمهورهم، كما ينقل واحدٌ من جهابذتهم، ذلك ابن
ابي الحديد المعتزلي حين يقول:

والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدةٌ على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت
ألا يصلها عليها! وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما!
.. فلا يجوز العدولُ عن حُسنِ الاعتقادِ فيها بما جرى^(١).

إنَّ كلَّ ما فعلاه بالزَّهراءِ صغائرٌ عند القوم!

لا يلزم بعدها التبرؤُ منها! ولا يجب تركُ موالاتهما!

فكيفَ ستنهضُ هذه الأمةُ المنكوسةُ وهي توالي أعداءَ الله وأعداءَ رسوله؟!
وترى نقضَ العهودِ عهداً معهوداً! وسلَبَ الخلافةَ اجتهاداً مقبولاً! وقتلَ البتولِ
أمراً مغفوراً!

إنَّها أُمَّةُ الجُحودِ، لا يزالُ أمرُها في سفالٍ، كسفلةِ الأعرابِ، فَمَنْ زَرَعَ عداوةَ
اللهِ حَصَدَ ما بَدَرَ.

والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) شرح النهج ج ٦ ص ٥٠.

(٢) الأحد ٤ رجب ١٤٤٣ هـ الموافق ٦ - ٢ - ٢٠٢٢ م.

الفصل الثالث: موقفها يوم الدار

٣٠. لو نشرت فاطمة شعرها!

بسم الله الرحمن الرحيم

أحداثٌ عاصفةٌ جرت في بيت الوحي والنبوة قبل شهادة النبي الأعظم ﷺ، حين نزل جبرائيل على الحبيب المصطفى ﷺ، ناقلاً أمر الله تعالى: قَدْ دَنَا يَا مُحَمَّدُ مَصِيرُكَ إِلَى رَبِّكَ وَجَنَّتِهِ، وَهُوَ يَا مُرُكَّ أَنْ تَنْصِبَ لِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

خلا رسول الله ﷺ بأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلته تلك، وكان ذلك في يوم تلك المرأة، فأحسَّت بأنَّ السماء تُدبِّرُ أمراً، فأصرت على النبي ﷺ أن يُخبرها به قبل أن يبادر الناس بذلك، فأخبرها بأمر الله تنصيب عليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحذرها من مخالفته، وأمرها بستر ذلك حتى يجهر به بنفسه ﷺ.

فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَخْبَرْتِ حَفْصَةَ! وَأَخْبَرْتِ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَبَاهَا!

استنفر المنافقون والطلقاء حينها، واجتمعوا على قتل رسول الله ﷺ قبل أن يصدع بالولاية في غدیر خمٍّ، لكنَّ الله تعالى أفضل مسعاهم، حتى بايعوا علياً في خمٍّ أجمعين.

لقد اجتمع القومُ واتفقوا على أن لا يطيعوا رسول الله ﷺ فيما فرض عليهم من ولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن يجعلوا قوله تحت أقدامهم! وكتبوا ذلك

(١) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٢٩.

في صحيفة استودعوها ابن الجراح، ثم أودعوا الصحيفة في الكعبة الشريفة!
 بيت الله الذي أعزّه تعالى وشرفه يصيرُ محلاً لصحيفة، يتفقُ فيها أصحابها
 على نقض البيعة! وهم الذين يقدّسهم جلُّ المسلمين اليوم!
 وهؤلاء قومٌ اتفقت كلمتهم على قتل عليٍّ عليه السلام، حين زعموا أن الله تعالى
 قد قبض نبيه: مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ أَحَدًا مِنْ بَعْدِهِ!
 ثم أجمعوا على أن من كره قولهم: فَخَالَفَ الْحَقَّ وَالْكِتَابَ وَفَارَقَ جَمَاعَةَ
 الْمُسْلِمِينَ فَأَقْتُلُوهُ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِ صَلاَحًا لِلْأُمَّةِ! ^(١).

لقد كانت مؤامرة لقتل عليٍّ عليه السلام، أودعوها من عمى قلوبهم بيت الله كي
 يشهد عليهم يوم القيامة بما جنت أيديهم!
 ولما انتقل النبي صلى الله عليه وآله إلى جوار ربه، توالى فصول المؤامرة، حتى جاء يومُ
 الهجوم على الدار، اليوم المشؤوم في تاريخ الإسلام، واليوم الأسود في تاريخ
 البشرية، حيثُ تجرأ القومُ على أعظم امرأةٍ في الوجود! وكان ما كان..
 لقد أخرجوا علياً عليه السلام من بيته، قاصدين قتله، حيثُ لم يبق له ناصرٌ ولا
 مُعين، حينها كان للزهراء دورٌ تنفردُ به.

فماذا فعلت حينها؟ وما الأحداث التي تلت ذلك!؟

أولاً: لماذا خرجت الزهراء؟

إذا كان الدين يُحفظُ بالنبي صلى الله عليه وآله في حياته، فإنه يُحفظُ بالوصيِّ من بعده،

(١) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٣٥.

ولكلٍّ من الأوصياء دورٌ يؤديه إلى أن تنقضي أيامه.

لقد كان لأمر المؤمنين عليه السلام دورٌ مذخورٌ من الله تعالى في حفظ الدين من الناكثين والقاسطين والمارقين وسواهم، فهو السدُّ المنيع أمام أهل النفاق، ليمنعهم من أن يطفؤوا نور الله بأفواههم.

وقد أراد القومُ قتله، فخرجت الزَّهراء من بيتها، لتقوم بدورٍ يعجزُ عنه كلُّ أحدٍ سواها، فقالت لأبي بكر:

مَا لِي وَمَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، تُرِيدُ أَنْ تُؤْتِمَ ابْنِيَّ وَتُرْمِلَنِي مِنْ زَوْجِي!^(١)

القومُ يريدون قتلَ عليٍّ عليه السلام لكي يصفو لهم الحكم، لكنَّ الزَّهراء قرنت نفسها بعليٍّ عليه السلام، فالإعتداء على عليٍّ اعتداءٌ عليها وعلى ابنيها، أي على سيِّدة نساء العالمين، وعلى الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

فلو أنكروا مكانةَ عليٍّ عليه السلام على وضوحها، فليس له أن ينكر مكانتها عليها ومكانة الحسنين عليهما.

فأكملت بذلك الحجَّة على القوم، حيثُ أرادوا أن يظلموها وابنيها بقتلِ عليٍّ عليه السلام من غيرِ جُرم.

وقد حققت الزَّهراء مُرادها تماماً، فما رجعت حتى: (أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ)^(٢)، فلم ترجع خائبةً، وما رجعت إلى بيتها إلا ويدها في يدِ عليٍّ عليه السلام، فكانت خَيْرَ مُدَافِعٍ عن إمامها.

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٨.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٣٨.

ثانياً: كيف خرجت الزهراء؟

إنَّ في خروج الزَّهراء عليها السلام إشارات بالغة الدلالة، عميقة المغزى، فقد ذكر الشيخ الكليني في الكافي الشريف أنه:

لَمَّا أُخْرِجَ بَعِيٌّ عليه السلام خَرَجَتْ فَاطِمَةٌ عليها السلام وَاضِعَةً قَمِيصَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى رَأْسِهَا، آخِذَةً بِيَدِي ابْنَيْهَا ^(١).

وهنا إشارتان:

الإشارة الأولى: قميص الرسول (ص)

إنَّه القميص: الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله حِينَ خَرَجَتْ نَفْسُهُ!

ويظهر أنَّ للباس رسول الله صلى الله عليه وآله أثراً خاصاً، فقد كانت قمصان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك عند الأئمة المعصومين، وقد أظهر الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه (قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الَّذِي عَلَيْهِ يَوْمَ ضُرِبَتْ رَبَاعِيَّتُهُ)، وكان (فِي كُمِّهِ الْأَيْسَرِ دَمٌ)، وقال: فِيهِ يَقُومُ الْقَائِمُ! ^(٢).

وفي خبرٍ آخر أنَّ المهدي عليه السلام: يَخْرُجُ مَوْتُوراً غَضَبَانَ أَسْفَا لِعَظْبِ اللَّهِ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ، يَكُونُ عَلَيْهِ قَمِيصُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الَّذِي عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ ^(٣).

هذا قميصٌ عليه دمُ الرَّسول، يكون مع المهدي عليه السلام عندما يخرج للانتقام، وذلك قميصُ الرَّسول صلى الله عليه وآله مع الزَّهراء عليها السلام، وهو الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ حِينَ خَرَجَتْ

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٨.

(٢) الغيبة للنعماني ص ٢٤٣.

(٣) الغيبة للنعماني ص ٣٠٨.

نفسه الطاهرة.

فما السرُّ في استعمال هذين القميصين في الموردين؟! إِنَّ عِلْمَ ذَلِكَ عندهم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن من الواضح الجليُّ أَنَّ في الحالتين علامة على الغضب الشديد، والتوجه نحو الله تعالى، والاستعانة به، وهو ما ظهرَ بما فعلته الزَّهراء كما سيأتي، وبما يفعله المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الإشارة الثانية: آخِذَةُ بِيَدِي ابْنِيهَا!

لم تخرج الزهراء وحدها، بل خرجت معها نساء الهاشميات:

خَرَجَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْهَيْهَةَ! فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ هَاشِمِيَّةٌ إِلَّا خَرَجَتْ مَعَهَا حَتَّى انْتَهَتْ مِنَ الْقَبْرِ^(١).

لكنَّ خروج الهاشميات معها لم يُغْنِ عن خروج ابنيها، وهي آخِذَةُ بِيَدِيهَا، إِنَّهُ مَوْقِفٌ يُذَكِّرُ بِمَوْقِفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْمَبَاهِلَةِ، حينما: عَدَا رَسُولُ اللَّهِ آخِذًا بِبِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ!^(٢)، وكان ما كان حين ارتعبَ النصارى وخافوا نزول العذاب من السَّهَاءِ.

وهو موقفٌ يذكر بكلمة عظيمة قالها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حينما: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّ هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا فَهُوَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣).

(١) المسترشد ص ٣٨١.

(٢) إعلام الوري بأعلام الهدى ص ١٢٩.

(٣) كامل الزيارات ص ٥٣.

على الأمة أن تحذر إذاً، إنَّهم القوم الذين أراد النبيُّ أن يُباهل بهم النصارى، وقد اقتيد أحدهم إلى المسجد الآن، ثم خَرَجَ بقيَّتْهم يدهم بيد بعضهم متوجهين إلى الله تعالى في طلب خلاصه، فما الذي يمكن أن يجري؟!

ثالثاً: ماذا جرى بعد خروجها؟

لقد هدّدت الزهراءُ القوم، إن لم يخلوا عن عليٍّ عليه السلام، فقالت: خَلُّوا عَنِ ابْنِ عَمِّي، فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، لَئِنْ لَمْ تُخَلُّوا لِأَنْشُرَنَّ شَعْرِي، وَلَا ضَعْنَ قَمِيصَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى رَأْسِي، وَلَا ضُرَّخَنَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا نَاقَةٌ صَالِحٌ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ وَلَدِي! ^(١).

وفي حديثٍ آخرٍ أمَّها قالت: فَمَا صَالِحٌ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ ابْنِ عَمِّي، وَلَا النَّاقَةُ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنِّي، وَلَا الْفَصِيلُ بِأَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ وَلَدِي ^(٢). قَالَ سَلْمَانُ: فَرَأَيْتُ وَاللَّهِ أَسَاسَ حِيطَانِ الْمَسْجِدِ تَقَلَّعَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا حَتَّى لَوْ أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَنْفُذَ مِنْ تَحْتِهَا نَفَذًا! ^(٣).

إنَّه تهديدٌ عظيمٌ ظهَرَت آثاره في تلك اللحظة، لقد استشعرَ القومُ الخطرَ فعلاً، فما قَتَلَ عليٌّ! حين حَفِظَتْه الزهراءُ بذلك. ولكن.. ماذا لو دَعَت الزَّهراءُ عليهم؟!

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج ٣ ص ٣٤٠.

(٢) المسترشد ص ٣٨٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج ٣ ص ٣٤٠.

عن الإمام الباقر عليه السلام: وَاللَّهِ لَوْ نَشَرْتُ شَعْرَهَا مَا تَوَّأْتُهَا طُرّاً^(١).

لقد كَانَ المَوْتُ والعقَاب قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنَ القَوْمِ، حَتَّى قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: إِنِّي أَرَى جَنْبَتِي الْمَدِينَةَ تُكْفَتَانِ، فَوَاللَّهِ لَئِن فَعَلْتُ لَا يُنَاطِرُ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يُخَسَفَ بِهَا وَبِمَنْ فِيهَا!^(٢).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهَا رَجَعَتْ بِأَمْرِ عَلِيٍّ عليه السلام حِينَهَا بَعَثَ إِلَيْهَا سَلْمَانَ، فَكَيْفَ تَكُونُ هِيَ الْحَافِظَةُ لِعَلِيٍّ عليه السلام؟

قُلْنَا: لَقَدْ حَفِظْتَهُ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا فَأَدْخَلَ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَطَمَا خَافَ القَوْمُ عِنْدَمَا كَانَتْ تَظْهَرُ المَعَاجِزُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَمِنْ ذَلِكَ حِينَهَا كَشَفَ صلى الله عليه وآله أَمْرَ صَحِيفَتِهِمُ المَشْهُومَةِ الَّتِي اتَّفَقُوا فِيهَا عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ عليه السلام، ثُمَّ بَيَّنَّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ إِنَّمَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَهَا (أَخَذَتْهُمْ الرُّعْدَةُ!)^(٣).

فَكَيْفَ بِهِمْ لَمَّا تَقَلَّعَتْ حَيْطَانُ المَسْجِدِ! وَكَادَتْ المَدِينَةَ أَنْ يُخَسَفَ بِهَا؟! وَهَكَذَا نَالَتْ الزَّهْرَاءُ بُغْيَتَهَا حِينَهَا (أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ)، أَيَّ بِيَدِ عَلِيٍّ عليه السلام.

وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَيُعْقَلُ أَنْ تَنْشُرَ الزَّهْرَاءُ شَعْرَهَا أَمَامَ القَوْمِ؟!

قُلْنَا: نَشُرُ الشَّعْرَ لَا يُلَازِمُ ظَهْرَهُ لِالأَجْنَبِيِّ، فَإِنَّ المَرْأَةَ المُؤْمِنَةَ لَا تَنْشُرُ شَعْرَهَا إِلَّا بَعِيداً عَنِ العَيْنِ الرِّجَالِ، فَكَيْفَ بِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ؟!

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٨.

(٢) الإختصاص ص ١٨٦.

(٣) إرشاد القلوب إلى الصواب للدليمي ج ٢ ص ٣٣٦.

هذا لو فُسِّرَ نَشْرُ الشَّعْرِ بإظهاره، أما لو فُسِّرَ بأنه فُكُّ الظفائر أو سَدْلُ الشَّعْرِ تحت الحجاب فليس فيه دلالةٌ على الكشف أصلاً حتى بعيداً عن أعين الناظر الأجنبي.

ففي كتب اللغة: نشر: النون والشين والراء: أصلٌ صحيح يدلُّ على فَتْحِ شيءٍ وتَشَعُّبٍ^(١).

فلم يؤخذ في معنى النَّشْرِ إظهار المنشور أو ستره، بل يعني فُكَّهُ أو فتحه أو تفرقته، دون أن يتضمَّنَ معنى كشفه أمام أيِّ أحد.

وإن أُبَيَّتَ ذلك تَعَتُّتًا، واعتقدت أنها عَلَيْهَا قد تكشفُ شعرها أمام القوم (وهو ما لا يكون)، فإنَّ العيون تعمى من قوَّة نورها لو حصل ذلك، وقد سَبَقَ أن غَشِيَتْ أبصارُ القوم لما اقتحموا دارها، وهذا ثاني القوم يقول:

فَدَفَعْتُ الْبَابَ وَدَخَلْتُ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيَّ بِوَجْهِهِ أَعْشَى بَصْرِي!^(٢)

هكذا يظهرُ بعضُ نور فاطمة فتعمى الأبصار، وفاطمة كلُّها نورٌ من نور، وقد قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ^(٣).

ولا عَجَبَ أن تُقْلَعَ حيطان المسجد، أو يُخَسَفَ بالمدينة، أو يموت القوم طُرًّا، فإنَّ الكونَ يخضعُ لها لو أرادت، فكيف لو توجَّهت إلى الله تعالى.

ألم يُجِرِ اللهُ تعالى وجوب طاعتهم على (جميع الأشياء)؟!

(١) معجم مقائيس اللغة ج ٥ ص ٤٣٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٤.

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٤٠.

عن الإمام الجواد عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَفَرِّدًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ، فَمَكَثُوا الْفَ دَهْرًا، ثُمَّ خَلَقَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فَأَشْهَدَهُمْ خَلْقَهَا، وَأَجْرَى طَاعَتَهُمْ عَلَيْهَا! ^(١).

هكذا تطيع الجهادات آل محمد، فيما يتجرأ عليهم شر خلق الله تعالى! ويعتدي عليهم أعداء الله تعالى، فيمهلهم الله تعالى ليزدادوا إثماً.

هكذا هم آل محمد، الباب المبتلى بهم الناس، صبروا لأمر الله تعالى، والله تعالى حكيمٌ لا يفعل إلا للحكمة.

ولما أمرهم بالصبر ولم ينتقم عاجلاً من أعدائهم، ولم يمنعهم منهم، عرفنا أن الله في ذلك تدبيراً، وأن الصبر عليه أولى.

ولا يزال المؤمنون صابرين منتظرين لأمر الله تعالى، حتى يحين الوقت الموعود، فيخرج المنتقم لفاطمة عليها السلام، وعليه قميص رسول الله، مؤثوراً غضباناً! إنه الغضبان لغضب أمه فاطمة، أفلا يغضب الشيعة لغضبها وغضبه؟! لكنهم يمسكون أنفسهم، ويصبرون إلى أن يأتي أمر الله.

اللهم عجل لوليك الفرج، وسهل له المخرج، واجعلنا من أنصاره وأعوانه، بمحمد وآله ^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤١.

(٢) الثلاثاء ٣٠ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٤ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٣١. يوم أرادوا.. إحراق فاطمة!

بسم الله الرحمن الرحيم

يُنكَرُ بعضُ الجُهَّالِ أن يكون أصحابُ النبي ﷺ قد أحرقوا بابَ فاطمة! يُبالغُ هؤلاء في تلميحِ صورةِ قومٍ ارتدّوا على أعقابهم بعد شهادة النبي ﷺ، فحُرِّموا في الآخرة من ورود حوضه، ومرافقته في جنان ربه.

لكنَّ حقيقة الأمر أنَّ إحراقهم (لبابِ فاطمة) لم يكن خطّتهم الأولى، ومرادهم الأوفى، ولا كان الغاية العظمى، بل كان هدْفهم الأوَّل (إحراق فاطمة وعلياً والحسن والحسين ﷺ)!

نعم الأمرُ أشدُّ غرابةً لِمَن لم يَعْرِفِ القومَ وحقدَهم وحسدَهم لنبيِّ الإسلام ووصيه.

هي مسألةٌ خطيرةٌ جداً، فكيفَ بِمَن لم يُصدِّقَ إحراق الباب أن يُصدِّقَ رغبتهم وسعيهم الحثيث لإحراق آل بيت الرسول؟!!

لقد وَرَدَ هذا المعنى في العديد من الروايات، والكثير من النصوص التاريخية، تارةً عن لسان أمير المؤمنين ع، وأخرى عن لسان الزَّهراء ع، وثالثةً عن لسان عمر نفسه.

وَمِن ذلك ما قاله أمير المؤمنين ع لهم:

.. لِتُحْرِقُونِي وَفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبْنِيَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَأَبْنَتِيَّ

زَيْنَبَ وَأُمَّ كُلُّوْمٍ^(١).

وقال: أَرَادُوا أَنْ يُحْرِقُوا عَلِيَّ بَيْتِي^(٢).

وهو صريح في أنهم أرادوا إحراقهم لا إحراق باب البيت فقط.

وقد قالت الزهراء عليها السلام:

فَجَمَعُوا الحَطَبَ الجَزَلَ عَلَى بَابِنَا، وَأَتُوا بالنَّارِ لِيحْرِقُوهُ وَيُحْرِقُونَا، فَوَقَفْتُ
بِعَصَادَةِ البَابِ، وَنَاشَدْتُهُمْ باللهِ وَبِأبي أَنْ يَكْفُوا عَنَّا وَيَنْصُرُونَا^(٣).

وهو موافق لما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي هدد به عمر مراراً:

فَأَقْبَلَ بِقَبَسٍ مِنْ نارٍ عَلَى أَنْ يُضْرِمَ عَلَيْهِمُ الدَّارَ، فَلَقِيَتْهُ فَاطِمَةُ فَقَالَتْ: يَا ابْنَ
الحَطَّابِ، أَجِئْتَ لِتُحْرِقَ دَارَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ!^(٤).

وهو القائل: افْتَحِي البَابَ وَإِلَّا أَحْرَقْنَا عَلَيْكُمْ بَيْنَكُمْ!^(٥).

ثُمَّ أَمَرَ أَناساً حَوْلَهُ أَنْ يَحْمِلُوا الحَطَبَ، فَحَمَلُوا الحَطَبَ، وَحَمَلَ مَعَهُمْ عُمَرُ،
فَجَعَلُوهُ حَوْلَ مَنْزِلِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَابْنَيْهِمَا عليهم السلام^(٦).

لم يجعلوا الحطب على باب البيت فقط، ولا أرادوا إحراق الباب وحده، بل

جعلوه حول المنزل وأرادوا إحراقه وإحراق من فيه.

(١) الهداية الكبرى ص ١٦٣.

(٢) الأمل للمفيد ص ٥٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٤٨.

(٤) الطرائف ج ١ ص ٢٣٩.

(٥) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٥.

(٦) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٥.

والنصوصُ في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وقد نقلت بعض الموسوعات المعاصرة عن كتاب مثالب النواصب لابن شهر آشوب رحمه الله أن كمية الخطب كانت كبيرة إلى درجة أنهم اختبزوا عليها ثلاثين يوماً! وأنهم: (احتطبوا ثلاثين يوماً من الخطب الذي وضعه الأول والثاني ليحرقوا بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فأراد أبو حفص أن يحرقهم حتى يستريح منهم دفعه واحدة!)^(١).

ومن تتبَّع النصوص، وما جرى في تلك الأيام، يجد الأمرَ بيننا جلياً، رغم خفاء الكثير من أحداث تلك المرحلة، واضطراب ما وصل إلينا، فالقوم قد أجمعوا أمرهم على استئصال بيت النبوة، وقتلهم جميعاً! أما عليٌّ عليه السلام، فقد اتفقوا على قتله، وذكروا ذلك في صحيفتهم الملعونة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله، عندما أيقنوا أنه صلى الله عليه وآله يعدُّ الأمور ليكون عليٌّ خليفة له من بعده^(٢).

وتيقنوا من الأمر بعد شهادته صلى الله عليه وآله، حتى غضب ثانيهم وقال عن عليٍّ عليه السلام: إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَنَا أَمْرٌ حَتَّى نَقْتُلَهُ^(٣).
أما قتل الأسرة المباركة، فقد صرَّحت الزهراء عليها السلام بذلك حينما خاطبت الثاني قائلة: وَيْحَكَ يَا عُمَرُ، مَا هَذِهِ الْجُرْأَةُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ!.

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ج ١٠ ص ١٦١.

(٢) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٦٣.

تُرِيدُ أَنْ تَقَطَعَ نَسْلَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَتُفْنِيَهُ وَتُطْفِئَ نُورَ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾^(١).
والذي يظهر عند التأمل في النصوص ومجريات الأحداث أن الذي أفشل
خطتهم هذه هو تصدّي الزهراء عليها السلام لهم من وراء الباب، ففوتت عليهم ما رأوه
فرصة لإحراق الدار بمن فيها.

فكان آل محمد بين خيارات منها:

الأول: أن يقوم علي عليه السلام إلى القوم، فيتخذونها ذريعة لقتله وإحراقه
وإحراق أسرته الطاهرة.

الثاني: أن لا يستجيب أحد لهم، كأن ليس في البيت أحد، وحينها تُضرمُ
النار بالبيت ومن فيه.

الثالث: أن تقوم الزهراء عليها السلام، فتلقي الحجّة عليهم، وتمنعهم من إحراق
البيت بمن فيه، وهو ما كان، حتى لو أدى ذلك إلى تغيير خطتهم وإحراق الباب
وحده وقتل الزهراء عليها السلام، فإنّها بهذا كانت المضحية في سبيل حفظ منظومة
الإمامة، التي لن يقوم لها قائمة لولا أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام جميعاً.

ويظهر أن عمر بن الخطاب أدرك سريعاً ما رامته الزهراء عليها السلام من الوقوف
خلف الباب، حيث صارت مانعاً أمامهم من إحراق البيت، ومانعاً من قتل أمير
المؤمنين عليه السلام، فقال لها:

مَا بَالُ ابْنِ عَمِّكَ قَدْ أوردَكَ لِلْجَوَابِ وَجَلَسَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ؟

فقال له:

(١) الهداية الكبرى ص ٤٠٧.

طُغْيَانُكَ - يَا شَقِيًّا - أَخْرَجَنِي وَالزَّمَكَ الْحُجَّةَ، وَكُلَّ ضَالًّا غَوِيًّا^(١).

لم تخرُج الزَّهْرَاءُ خارجَ بيتها وقت الخطاب هذا، رغم ذلك عبَّرت بالخروج (أَخْرَجَنِي)، ولكنَّ الذي أخرجها ليس علياً عليه السلام، بل الطُّغْيَان والتجبرُّ والتجاوز على حقِّ الله وحقِّ رسوله.

ليس لهؤلاء حقٌّ في أن يحيطوا بيت عليٍّ وفاطمة، ولا أن يحرقوه ولا أن يقتحموه، فإن فعلوا ذلك ساعَ للزَّهْرَاءِ أن تدافع عن بيتها وأسرِّتها الشريفة، ولو أدى ذلك إلى شهادتها.

والذي يظهر أنَّ هذه الكلمات العظيمة واحتجاج الزَّهْرَاءِ عليهم من خلف الباب كانت سبباً لتغيير خطَّتهم، فبعدما أعرضوا عن إحراق البيت بمن فيه، صارَ هدفهم إخراج عليٍّ عليه السلام وحده، لقتله بحجة رفض البيعة.

لقد اتفقوا من قبل على قتله، وجددوا العزم على ذلك، وأفضلُ وسيلة هي إخراجُه بالقوة تحت حجة البيعة، ثم قتله وإنهاء أمره.

ههنا: حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَاطِمَةٌ عليها السلام عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ، فَضَرَبَهَا فَتَقَدُّ الْمَلْعُونُ بِالسُّوْطِ^(٢).

حتى الساعة أنقذت الزَّهْرَاءُ الأسرةَ المباركة من مجزرة الإحراق التي لا تُبقي منهم أحداً، لكنَّ علياً عليه السلام لا يزال في خَطَرٍ مُحْدِقٍ، فالقوم يريدون قتله. أخرجوه، فتبعته الزَّهْرَاءُ عليها السلام، وكان الدُّعاء سلاحها هذه المرَّة، فتقلَّعت

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٣.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٦.

حيطان المسجد من أسفلها، وكاد يُخسف بالمدينة.
 أصاب القومَ خوفٌ، فأفرجوا عن عليٍّ عليه السلام.
 ثم عادوا لاحقاً لنغمة (القتل أو البيعة) وكان ما كان مما يأتي الحديث عنه.
 وتبيّن أن الزهراء عليها السلام قد قامت بإفشال الخطتين للقوم:
 الخطة الأولى: لما أرادوا استئصال العترة الطاهرة، فوقفت خلف الباب،
 وألقت الحجّة عليهم، ولم يخرج لهم عليٌّ ولم يجبههم.

الخطة الثانية: لما أرادوا قتل عليٍّ عليه السلام، فأنقذته بخروجها عليها السلام.
 فكانت الخطة الثالثة: إما قتل عليٍّ أو البيعة الظاهرية، فكانت الثانية خيار
 عليٍّ عليه السلام لأسباب نعرض لها إن شاء الله.

لكنّ العجيبَ في الأمر هو ما رواه ابن حمزة، وهو من أئمة الزيدية (توفي
 سنة ٦١٤ هـ)، أن عبد الرحمن بن السائب الذي كان مع عمر يوم أرادوا إحراق
 البيت قال له: إن في البيت فاطمة، أفتحرقها؟

فأجاب عمر بقوله: سنلتقي أنا وفاطمة!^(١)

هي كلمةٌ غريبةٌ من ابن الخطّاب يوم الدار إن صحَّ صدورها منه، ولكن ما
 الذي يقصده الرّجل؟ هل يقصد شيئاً سوى أنّه سيلقاها ويحرقها؟
 أو أنّه سيقتلها انتقاماً من أبيها وبعلها؟! وإظهاراً للحقد والحسد الدفين
 على بني هاشم؟!!

لقد التقى ابنُ الخطّاب فعلاً بفاطمة، لقاءً لئيمه لم يكن، فأبرحها ضرباً بعدما

(١) الشافعي ج ٤ ص ٥٤٦ وفي بعض النسخ ص ١٧٣.

استخدم النَّار سلاحاً على البضعة الطاهرة.

لكنه ما تخيل يوماً أن هذا السلاح سيرتد عليه وعلى صاحبه مرتين، مرةً في الدنيا، وأخرى في الآخرة.

ولقد أخبره أمير المؤمنين بالمرتين:

أما الأولى، فحين يخرج الإمام الحجة عليه السلام، ويحرقها بالنار التي أوقداها على باب الزهراء!

فقد روي عنه عليه السلام:

وَلَكَايَ أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ أُخْرِجْتُمْ مِنْ قَبْرَيْكُمْ طَرِيَيْنِ بِصُورَتَيْكُمْ.. ثُمَّ يُوتَى
بِالنَّارِ.. وَهِيَ النَّارُ الَّتِي أَضْرَمْتُمُوهَا عَلَى بَابِ دَارِي لِتُحْرِقُونِي وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ
اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَبْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَبْنَتِي زَيْنَبَ وَأُمَّ كُلُّوْمٍ، حَتَّى تُحْرَقَا بِهَا..
وَيَصِيرُ مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ جَمِيعاً^(١).

وعن الباقر عليه السلام أن الحجة عليه السلام:

يُحْرِقُهَا بِالْحَطَبِ الَّذِي جَمَعَاهُ لِیُحْرِقَا بِهِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ
(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)؛ وَذَلِكَ الْحَطَبُ عِنْدَنَا نَتَوَارِثُهُ!^(٢).

أما الإمام الجواد عليه السلام، فقد روي عنه أنه قال: أَمَا وَاللَّهِ، لَأُخْرِجَنَّهَا ثُمَّ
لَأُحْرِقَنَّهَا، ثُمَّ لَأُذَرِّبَنَّهَا، ثُمَّ لَأَنْسِفَنَّهَا فِي الْيَمِّ نَسْفًا^(٣).

(١) الهداية الكبرى ص ١٦٣.

(٢) دلائل الإمامة ص ٤٥٥.

(٣) دلائل الإمامة ص ٤٠١.

جَمَعَ الْأَجْلَافُ الْحَطَبَ عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَالزَّهْرَاءِ، ثُمَّ أَحْرَقُوا الْبَابَ، فَاحْتَفَظَ
 آلُ مُحَمَّدٍ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْحَطَبِ، وَتَوَارَثُوهُ حَتَّى يَكُونَ وَقُوداً لِنَارٍ يُشْعَلُهَا إِمَامُ
 الْعَدَالَةِ عَلَى الْأَرْضِ، فَيَحْرِقُهَا بِنَارٍ أَوْقَدَهَا لِيَحْرِقَ بِهَا الْأَطْهَارَ!

ثُمَّ يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفُوقُ عَذَابَ إِبْلِيسَ نَفْسَهُ!

فَعَنْ سَلْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِإِبْلِيسَ مَزْمُوماً بِزِمَامٍ مِنْ
 نَارٍ، وَيُؤْتَى بِزُفَرٍ مَزْمُوماً بِزِمَامَيْنِ مِنْ نَارٍ، فَيَنْطَلِقُ إِلَيْهِ إِبْلِيسُ فَيَصْرُخُ وَيَقُولُ:
 تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، مَنْ أَنْتَ؟ أَنَا الَّذِي فَتَنْتُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَنَا مَزْمُومٌ
 بِزِمَامٍ وَاحِدٍ، وَأَنْتَ مَزْمُومٌ بِزِمَامَيْنِ؟

فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي أَمَرْتُ فَأَطَعْتُ، وَأَمَرَ اللَّهُ فَعُصِيْتُ^(١).

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ، وَمُودَتِهِ فِي الْقُرْبَى، وَتَجْلِيلِ وَصِيِّهِ، وَتَعْظِيمِ
 بَضْعَتِهِ، وَدَبَّرَ الثَّانِي مَعَ الْأَوَّلِ أَمراً خِلافَ أَمْرِ اللَّهِ، فِي أَعْظَمِ وَصِيَّةٍ إلهِيَّةٍ تَعَصُّمُ
 النَّاسِ عَنِ الزَّلَلِ، وَظَلَمًا أَفْضَلَ خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَسَّسًا لظُلَامَةٍ
 لَا تَرَالُ آثَارَهَا إِلَى الْيَوْمِ، وَسَتَبَقَى حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِإِخْمَادِهَا.

هَذَا حَالُ أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لَقَدْ تَصَوَّرَ إِبْلِيسُ أَنَّهُ أَشَقَى خَلَقَ اللَّهُ، حَتَّى قَالَ لَهُ تَعَالَى: بَلَى قَدْ خَلَقْتُ مَنْ
 هُوَ أَشَقَى مِنْكَ^(٢).

لَيْسَ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَعْدَى أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ وَظَالِمِيهِمْ، مَنْ أَمَرَ بِإِحْرَاقِ بَيْتِ

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦٠٠.

(٢) الإختصاص ص ١٠٨.

فاطمة، بل أحرقا بابها، وأسقطا جنينها.
قالها الثاني يوماً: سنلتقي أنا وفاطمة!
لكنّه لن يلتقي بها بعد، لقد صارت في دار الكرامة عند ربّها معززةً مكرّمة،
وصارَ في تابوتٍ من نار.
لقد أشعل ناراً على بابها، فأحرقته في الدنيا والآخرة.
التقى بها على باب بيتها محرّقاً له، فالتقت به النيرانُ في الدنيا والآخرة، بسّ
مشوى الظالمين.
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) ليلة الأربعاء ٢٢ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٥ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٣٢. أين علي.. يوم الدار؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

أين علي.. يوم الدار؟! سؤال يُكرَّرُ نفسه على مرَّ الأيام والعصور.
 إذا كان بابُ فاطمة قد كُشِفَ: فأين البطلُ المغوارُ عن ذلك؟! أين مُجَنِّدُ
 الأبطال، ومُبيد الكتائب، وصاحب ذي الفقار؟!
 أيُعقَلُ: أن يكون في الدار عليٌّ، وتُضرب فاطمة؟!
 لقد تعدَّدت إجاباتُ هذا السؤال، واليوم نطرحه بصيغةٍ أخرى، تكون
 أدعى وأسهل في فهم الحقيقة.

فنقول: حَقَّ للسؤال أن يكون:

أين الله.. يوم الدار؟!

بل:

أين الله كُلَّ يوم؟^(١)

ألم يُلازم الظُّلمُ بني آدم على هذه الأرض؟! فأين كان الله تعالى عن ذلك؟! هل كان ذلك خفياً عليه؟! نعوذ بالله.
 أم كان عاجزاً عن الدَّفْعِ والدَّبِّ عن المظلومين؟! إن هذا مُنكَرٌ من القول.

(١) للتوضيح: قد يقال بأن الجواب غير تام لأن الله تعالى غير مكلف بالدفاع عن أحد، فنقول: الغرض من الجواب هو التمهيد لبيان أن الإمام يمكن أن لا يتحرك بناءً لأمر الله، كما أن الله تعالى لا يتدخل دائماً، وسيأتي تفصيل ذلك.

إذا أين كان الله تعالى عندما سَوَّلت لقابيل نفسه قتل أخيه فقتله؟!
 وأين كان الإله العظيم القادرُ حينما كان قومُ نوحٍ يسخرون منه؟! وقوم
 إبراهيم يقهرونه، وقوم موسى يظلمونه ويستضعفون هارونه، بل حين كان أنبياء
 الله يُقتلون سِرّاً وجهاراً، ليلاً ونهاراً!
 قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
 سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١).
 إنَّ الله يسمع ويرى، لقد رأى قتلَ أنبيائه وكتَبَ ذلك، وكان قادراً على
 الدَّفْع عنهم، فلماذا لم يدفع عنهم؟! كما لم يدفع عن نبيِّه في بداية دعوته، مع ما وقع
 عليه من ظُلمٍ وقَهْرٍ واضطهاد؟

ما السرفي ذلك؟!

لا ريبَ أن الله تعالى قادرٌ على أن يدفع عن أوليائه، ولا يُعجزُهُ الأرجاس
 أن يعاجلهم بالعقاب: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾^(٢).
 ولا شكَّ أنه تعالى عالمٌ بما يجري: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ
 إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٣).
 ولا ريبَ أن في التأخير مزيدَ عقوبةٍ للكفار، وحكمةٌ بالغةٌ لله تعالى:
 ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا

(١) آل عمران ١٨١ .

(٢) الأنفال ٥٩ .

(٣) إبراهيم ٤٢ .

إِنَّمَا وَهَمُّ عَذَابٍ مُّهِينٍ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١﴾.

هو قانونُ السَّمَاءِ في امتحان الخلق إذا، أرادَه اللهُ تعالى أن يكون سَيِّئاً في كلِّ زمانٍ حتى مع أقرب خلقه وأحبهم إليه، فبذلك يمتازُ الخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ. وعلى هذا، يَسُوغُ في حِكْمَةِ الْحَكِيمِ أن لا يتدخلَ للذَّبِّ عن أوليائه وأحبائه، ولا يدفع عنهم كلَّ سوءٍ وخطرٍ ولو كان قادراً، عندما تقتضي المصلحة ذلك. ولا يلزم على الله تعالى أن يبيِّن لخلقِه وجه الحكمة في فعّاله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢). وقد قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (٣).

نعم إنَّ الله تعالى حكمةً بالغةً في أن يدع أنبياءه وأوليائه يُقهرُونَ عندما تنقلب الموازين عليهم، فقد ورد في الحديث الشريف أن الله تعالى تَلَطَّفًا بعباده من أن يُغالوا بأنبيائه ويتخذونهم آلهةً جعلهم في أحوالٍ شتى، متقلبة حالاتهم متغيرةً ظروفيهم، حيث:

كَانَ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ أَنْ جَعَلَ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ هَذِهِ الْقُدْرَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ فِي حَالَةِ غَالِبِينَ وَفِي أُخْرَى مَغْلُوبِينَ، وَفِي حَالِ قَاهِرِينَ وَفِي أُخْرَى مَقْهُورِينَ، وَلَوْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ غَالِبِينَ وَقَاهِرِينَ وَلَمْ

(١) آل عمران ١٧٨-١٧٩.

(٢) آل عمران ١٧٩.

(٣) الأنبياء ٢٣.

يَبْتَلِيهِمْ وَلَمْ يَمْتَحِنْتَهُمْ لَأَخَذَهُمُ النَّاسُ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١).
 هكذا يفهم المؤمن أن في صبر الكُمَّل على البلاءات رفعةً في درجاتهم،
 وتواضعاً لله تعالى وتسليماً لأمره، حين يقبلون ما أجرى الله عليهم من مصائب
 ومحن، وأن ليس في ذلك شيءٌ من النقص يردُّ عليهم، بل مزيد رفعةٍ وكمالٍ وقربٍ
 من الله تعالى.

أين عليّ.. يوم الدار؟!

بالعود إلى السؤال الأمّ..

نعم، كان عليٌّ في الدار، وكان الله معه.. بقدرته وجبروته وعظمته ومجده!
 الله تعالى يَقْدِرُ أن يدفعَ عن الزَّهراء، وعليٌّ يَقْدِرُ بإقدار الله تعالى، وبها أيدهُ
 به من (قُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيئَةٍ)^(٢)، فقالعُ باب خيبر قادرٌ بهذه القدرة
 الربانية أن يقلع أساس القوم وأركانهم.
 ولكن يا تُرى:

هل يسبقُ عليٌّ رَبَّهُ إن لم يأمره بذلك؟! هل يعصي إله السماء والأرض إن لم
 يأذن له بالقيام لحكمةٍ يعلمها؟!

ألم يكن الله تعالى قادراً أن يذُبَّ عن الحسين عليه السلام؟! ألم يكن الحسين عليه السلام
 قادراً على أن يستفيد من هذه القوة الملكوتية فيخسف الأرض بالأرجاس

(١) كمال الدين ج ٢ ص ٥٠٨.

(٢) الأماي للصدوق ص ٥١٤.

الأنجاس؟!!

ألم يقدر ملائكة الرحمان على الذبّ عن حُرْم الرسول في كربلاء؟! والمنع من أن تُضْرَبَ حرائرُ الرسالة؟!!

بلى لقد قدروا على ذلك، وامتنعوا.. فكشفَ امتناعهم أنّ ذلك كان بأمر السماء، إنفاذاً لمشيئة الرحمان، بأن تجري الأمورُ بأسبابها.

ولقد كان له في رسول الله أسوةٌ حسنة، فهذا جابرٌ يروي فيقول: أنّ رَسُولَ الله مَرَّ بِعَمَّارٍ وَأَهْلِهِ يُعَذِّبُونَ فِي الله فَقَالَ: أَبَشِّرُوا آلَ عَمَّارٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ^(١). وفي نصٍّ آخر: وَقَتَلْتُ قُرَيْشَ أَبُوَيْهِ وَرَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ^(٢).

لقد مارست قُرَيْشُ أسوأ أنواع التعذيب لهم حتى قتلتهم، ورسولُ الله ﷺ يرى ذلك بأمّ عينيه، ثم يأمرهم بالصّبر!

لقد رأى الله تعالى ذلك، ورأى رسوله ذلك، وقد عذّبوا أمامه ﷺ، لكنّه لم يُبادر إلى سيفٍ يحمله، لأنّ المصلحة ما اقتضت ذلك، وما نزل الأمرُ به من السماء.

ثم كان هذا ديدنه ﷺ لما تُنِيَّت له الوسادة وكان مبسوط اليد، يأمرُ فُيْطَاع، وقد اجتمع المنافقون في ليلةٍ مظلمةٍ وعمدوا إلى رمي ناقته ﷺ في العقبه ليقتلوه، ثم تقدّموا إلى الناقة ليدفعوها، وكان عمار وحذيفة يدفعا عن رسول

(١) إعلام الوری ص ٤٨.

(٢) رجال الكشي ص ٣٠.

الله ﷺ .

تساءل حذيفة عن الوجه في عدم قطع رسول الله ﷺ لرؤوس هؤلاء،
فإنهم قد أقدموا على مؤامرة قتل الرجل الأول في عالم الوجود، وسفير الله في
أرضه، ونبية وحجته على عباده، لكنه ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعْرِضَ عَنْهُمْ!
وَأَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: إِنَّهُ دَعَا أَنَسًا مِنْ قَوْمِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى دِينِهِ فَاسْتَجَابُوا
لَهُ، فَقَاتَلَ بِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ، ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ!
وَلَكِنْ دَعَهُمْ يَا حَذِيفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَهُم بِالْمِرْصَادِ، وَسَيَمُهِلُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْطَرُّهُمْ
إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ^(١).

وهؤلاء أنفسهم هم أصحاب الصحيفة المشؤومة، من اتفقوا على أن
يظلموا محمداً ﷺ في ذريته، وقال فيهم ﷺ: وَلَوْ لَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَنِي
بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ بِالْعُهُ لَقَدَّمْتُهُمْ فَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ^(٢).
فصار كف النبي ﷺ عن أهل النفاق والشقاق مع قدرته عليهم، امتثالاً
لأمر الله تعالى، لأنه عز وجل أراد تأخير العقوبة، ليتم ابتلاء الخلق وامتحانهم،
وهكذا كان كف أمير المؤمنين عليه السلام عنهم بأنفسهم وأعيانهم بعد شهادة النبي
ﷺ امتثالاً لأمر الله تعالى.

وإنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، ليجزيهم عذاب الهون
باستكبارهم وطغيانهم وخبثتهم.

(١) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٣٦.

وهكذا جرت في عليّ عليه السلام سنة الله في محمد صلى الله عليه، وفي خمسة من تقدم عليه من الأنبياء عليهم السلام، فقال عليه السلام:

إِنَّ لِي فِي خَمْسَةِ مِنَ النَّبِيِّينَ أُسْوَةً:

١. نُوحٍ: إِذْ قَالَ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ﴾.
٢. وَإِبْرَاهِيمَ: إِذْ قَالَ ﴿وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.
٣. وَلُوطٍ: إِذْ قَالَ ﴿لَوْ أَن لِّي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.
٤. وَمُوسَى: إِذْ قَالَ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾.
٥. وَهَارُونَ: إِذْ قَالَ ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾^(١).

إذاً لعليّ عليه السلام أسوة بمن تقدم من أنبياء الله، وهو المعصوم المطهر، وحال عليّ مع الناس حال العالم مع الجهال، لا يفقهون السرّ في عظيم فعّاله، فيلومونه على كلامه وعلى صمته! وعلى قيامه وعوده! وهو إمام قام أو قعد، وقد اشتكى عليه السلام من هذا الجهل يوماً فقال في نهجه:

فَإِنْ (أَقُلْ)، يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمَلِكِ!

وَإِنْ (أَسْكُتْ) يَقُولُوا: جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ!

هِيَ هَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهُ لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسٌ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَجَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ^(٢).

(١) إثبات الوصية ص ١٤٦.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الخامسة.

لقد باحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ببعضِ ذلك العلم، فأبانَ شيئاً مما دعاه للكفِّ عن القوم، والمؤمنُ يبحثُ في ذلك، فإن فَهَمَهُ كان من (أهل الفَهمِ والتَّسليم)، وإن عجز عن فهمه كان من (أهل التسليم)، لثبوت عصمة الإمام وحكمته، وامتناله لأمر الله تعالى في كلِّ صغيرة وكبيرة.

هكذا صارَ الشيعةُ من أهل الفَهمِ والتعقُّلِ أولاً، والتسليمِ والانتقادِ ثانياً، فزادهم الله فهماً وإدراكاً لِحَرَكَاتِ وَسَكَنَاتِ أئمتهم، وتسليماً لأمرهم، فأعرضوا عن الجاهلين، وعلوموا أئمتهم يرومون الانتقاص من عليٍّ وفاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وتحميل المجنبيِّ عليه جريمة الجاني!

علموا أنَّ المخالف إن كان يسأل ليعلم ففي قليل الحقِّ الكفاية، وإن كان يسأل ليطعن فهو أولى بالإعراض ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(١).
والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الأنعام ٩١.

(٢) الأربعاء ٢٢ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٦ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٣٣. يوم لم يؤذن لعليٍّ.. بحصد الرؤوس!

بسم الله الرحمن الرحيم

اتَّفَقَت كَلِمَةُ الشَّيْعَةِ عَلَى وَقُوعِ الظُّلْمِ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَسُلِبَ حَقُّهُ،
وَأَنْتَهَكَتْ دَارُهُ، وَظَلِمَتْ وَضَرِبَتْ حَلِيلَتَهُ، حَتَّى رَحَلَتْ شَهِيدَةً مَقْتُولَةً!
ثُمَّ نُسِبَ لَهُمْ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ (مَوْصِيًّا) وَ(مَقِيدًا)، فَلَمْ يَدْفَعْ
عَنْ نَفْسِهِ وَأَسْرَتِهِ، وَلَمْ يَطْلُبْ حَقَّهُ بِالسَّيْفِ بِسَبَبِ الوَصِيَّةِ.

فَهَلْ يُعْقَلُ ذَلِكَ!؟

إِنَّ قِيَامَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالسَّيْفِ دَفَاعًا عَنْ نَفْسِهِ وَأَسْرَتِهِ وَحَقُّوقِهِ لَا يَخْلُو مِنْ

صورتين:

الأولى: حَمَلُ السَّيْفِ بِالْأَسْبَابِ

الثانية: حَمَلُ السَّيْفِ بِالإِعْجَازِ

فَمَا حَالُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ هَذَيْنِ الإِحْتِمَالَيْنِ؟

الصورة الأولى: حَمَلُ السَّيْفِ بِالْأَسْبَابِ

وَنُرِيدُ مِنْهَا الإِقْدَامَ عَلَى الْعَمَلِ الْمَسْلُوحِ وَفَقِ الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ، بَعِيدًا عَنْ

الْمَدَدِ الْغَيْبِيِّ، وَالْإِعْجَازِ الإِلَهِيِّ.

فَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ أَشْجَعَ مَنْ عَلَيْهَا، لَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَلْحَقُ بِهِ لَاحِقٌ،

إِلَّا أَنَّهُ بَشَرٌ كَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجْرِي عَلَيْهِ قَوَانِينُ السَّمَاءِ، فَفِي أَحَدٍ: شُجَّ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ^(١)، وكان في معرض الموت والقتل .

والله تعالى ما أمر عباده بمخالفة السنن الكونية، بل حثهم على الإعداد لكل شيء قبل الخوض فيه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣).

ولقد كان لعليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أسبابٌ جَمَّةٌ مَنَعَتْهُ عن حَمَلِ السَّيْفِ منها:

١. حفظ الأسرة الطاهرة

لقد تقدَّم أن القوم أرادوا إحراق عليٍّ وفاطمة والحسين وسائر ذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أرادوا قتل الأسرة المباركة، وكانوا يتحينون الفرصة لذلك، وخيرُ فرصةٍ هي حملُ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ للسلح، ففوت عليهم الإمام ذلك، وأفشلت الزهراء خطتهم بأن وقفت من خلف الباب تُجيبهم، وتُخرِّج عليهم أن يدخلوا بابها، فانتقلوا إلى

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٨٩، والرَّباعية: هي السنن الذي يقع بين الثنية والناب من كل جانب، وقد ورد في جملة من الروايات والمصادر الأخرى أيضاً أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، كتفسير العياشي وشرح الأخبار وعيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ والأُمالي للصدوق وغيرها، ولكن يُقابَلُها ما ينفي أن تكون رباعيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كسرت، منها حديث زارة مع الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَرَوِيَ لَنَا أَنَّهُ كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، فَقَالَ: لَا، فَبَضَّهُ اللَّهُ سَلِيمًا، وَلَكِنَّهُ شُجَّ فِي وَجْهِهِ (معاني الأخبار ص ٤٠٦)، وَقَدْ يُجْمَعُ بينهما بنفي الكسر الذي يعني التهشيم والهضم والشدخ، وإثبات ما يؤدي إلى الكسر عادةً وإن لم يؤدي فعلاً، بأن يقال أَنَّهُ ضُرِبَ ضَرْبَةً تُوْدِي إِلَى ذَلِكَ وَلَوْ لَمْ تُكْسَرْ رَبَاعِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلاً، أي أَنَّهُ أَطْلِقَ الكسر وأريدَ به مقدّمته وهي الضرب، كما قد تشير إليه إحدى الروايات المتقدمة حيث عبرت بـ (ضُرِبَتْ رَبَاعِيَّتُهُ) في الغيبة للنعمان ص ٢٤٣.

(٢) الأنفال ٦٠.

(٣) البقرة ١٩٥.

خَطَّةٍ بَدِيلَةٍ أَحْرَقُوا بِهَا الْبَابَ وَفَعَلُوا مَا فَعَلُوا.

وقد صرَّحَ أميرُ المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ تَجَنَّبَ حَمْلَ السِّيفِ حِفْظًا لِلْأَسْرَةِ الطَّاهِرَةِ،
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:

وَلَوْ لَا اتَّقَاتِي عَلَى الثَّقَلِ الْأَصْغَرِ أَنْ يَبِيدَ، فَيَنْقَطَعَ شَجَرَةُ الْعِلْمِ وَزَهْرَةُ الدُّنْيَا
وَحَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَحِصْنُهُ الْأَمِينُ، وَلَدُ رَسُولِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَكَانَ طَلَبُ الْمَوْتِ
وَالْخُرُوجُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَدَّ عِنْدِي مِنْ شُرْبَةِ ظَمْآنٍ، وَنَوْمٍ وَسَنَانٍ^(١).

وقال في موردٍ آخر: فَإِذَا لَيْسَ مَعِيَ رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي،
فَضَيَّنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَلَائِكِ^(٢).

فَإِنَّ الْقِيَامَ إِنَّمَا يُرَادُ مِنْهُ الذَّبُّ عَنِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَأَسْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ، وَسَيَتَّبِعُ
عَنْ ذَلِكَ هَلَاكُهُ وَهَلَاكُ الثَّقَلِ الْأَصْغَرِ، فَيَكُونُ فِي قِيَامِهِ تَفْوِيتٌ لِلْغَرَضِ وَنَقْضٌ
لَهُ، وَخِلَافٌ الْمَصْلُحَةِ فِي الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَإِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ يَحْسِبُ الْعَوَاقِبَ، فَإِنْ وَجَدَ فِي الصَّبْرِ ثَمَارًا أَعْظَمَ مِنْ
سَلِّ السِّيفِ كَانَ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَهَذَا حَالُ عَلِيِّ عليه السلام.

٢. انتفاء القدرة الظاهرة

لَمْ يَكُنْ لِعَلِيِّ عليه السلام مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُ مِمَّنْ تَقُومُ بِهِ الْكِفَايَةُ، فَإِنَّ الْعَمَلَ الْمَسْلُوحَ
يَحْتَاجُ إِلَى أَعْوَانٍ وَأَنْصَارٍ وَيَدٍ مَبْسُوطَةٍ وَعَدَّةٍ وَعَدَدٍ.

وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَ عَلِيِّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَكَلِمَاتُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ أَنْ

(١) البقيين ص ٣٢٥.

(٢) الغارات ج ١ ص ٢٠٥.

تُحصى، منها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ لِي عِدَّةٌ أَصْحَابِ طَالُوتَ أَوْ عِدَّةٌ أَهْلِ بَدْرٍ وَهُمْ أَعْدَاؤُكُمْ
لَضَرَبْتُكُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَتَوَلَّوْا إِلَى الْحَقِّ، وَتُنَيَّبُوا لِلصِّدْقِ، فَكَانَ أَرْتَقَ لِلْفَتْحِ وَأَخَذَ
بِالرَّفْقِ^(١).

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِدَّةٌ يِقَاتِلُ بِهَا كَانَتْ يَدُهُ مَقْطُوعَةً جَذَاءً، وَقَدْ قَالَ فِي
شَقَشَقِيَّتِهِ الشَّهِيرَةِ: وَطَفِقْتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَاءً أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَّةٍ
عَمِيَاءَ^(٢).

وهو القائل: وَلَوْ كُنْتُ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا لَفَرَّقْتُ جَمَاعَتَكُمْ^(٣).

هذا هو معنى الوصية التي يتحدث عنها الشيعة، فليست الوصية شيئاً
خلاف موازين العقل والشرع، بل هي موافقة له بلا شك وريب، بل جزء منه.
وقد أوصاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراراً، حين أمره بالصبر لعلمه بعدم وجود
الناصر، وعلّق الأمر بالقيام على الأنصار، وهو العالم بانتفائهم.

وقد روت الأمة كلمات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن السنة روى المناوي في كتاب
كنوز الدقائق قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عَلِيُّ إِنَّكَ سَتُبْتَلَى بَعْدِي، فَلَا
تَقَاتِلَنَّ!^(٤)

وروى الشيعة أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالصبر لما يجري عليه وعلى البضعة

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الثالثة (الشقشقية).

(٣) الإحتجاج ج ١ ص ٨٣.

(٤) كنوز الدقائق ص ١٠٤ من النسخة المخطوطة - مكتبة الملك سعود رقم ٧٦٢٤.

الطاهرة ﷺ: وَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَنْزِلُ بِكَ وَبِهَا حَتَّى تَقْدُمُوا عَلَيَّ^(١).

كَلَّ هَذَا لَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ النَّاصِرِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ ﷺ:

يَا عَلِيُّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ حَتَّى يَنْزِلَ الْأَمْرُ.. فَإِذَا أَمَكْنَا الْأَمْرُ فَالسَّيْفَ السَّيْفَ،
الْقَتْلَ الْقَتْلَ، حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ^(٢).

وقد علَّل له النبي ﷺ ذلك، وبيَّن له أن في قيامه دون أعوانٍ إلقاءً للنفس في التهلكة، ولا يجوز ذلك، بل يجب حقن الدماء، لذا قال له ﷺ تارة: وَإِنْ [أَنْتَ] لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا فَبَايِعْ وَاحِقِنْ دَمَكَ^(٣).

وتارة أخرى: وَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا فَكُفِّ يَدَكَ وَاحِقِنْ دَمَكَ^(٤).

وقال له ثالثة: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا فَاصْبِرْ، وَكُفَّ يَدَكَ، وَلَا تُلْقِ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ^(٥).

وإن في قتله ﷺ إطفاءً لنور الله، فلا سبيل لثبات الحق على وجه البسيطة إلا بعليٍّ ﷺ، ولو قُتِلَ لم يبق لعبادة الله بعده على الأرض أثرٌ ولا عينٌ، فينتقض الغرض من بعثة الأنبياء وخلقة الخلق، وقد قال له ﷺ ما يدلُّ على هذا المعنى: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ إِنْ نَاهَضَتِ الْقَوْمَ وَنَابَذْتَهُمْ وَجَاهَدْتَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ

(١) طرف من الأنبياء والمناقب ص ١٦٢.

(٢) الإحتجاج ج ١ ص ١٩٧.

(٣) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٩١.

(٤) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦٦٤.

(٥) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٦٨.

مَعَكَ فِتْنَةٌ [أَعْوَانٌ] تَقْوَى بِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ [فَيُطْفَأَ نُورُ اللَّهِ وَلَا يُعْبَدَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ] (١).
وقال له ﷺ: أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَالْجُحُودِ
بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ (٢).

٣. المصلحة العامة

إنَّ للأنبياء والأوصياء دوراً عظيماً في صلاح الأمة، وعندما يدور الأمر بين
وقوع الجور والظلم عليهم خاصة، أو فساد الأمة بأسرها، يُقدّمون النفع
والصلاح العام، وإن كان فيه أذية لأشخاصهم.

ولقد علم الإمام عليّ عليه السلام أن القوم إنما ظلّوا على ظاهر الإسلام لأنهم وجدوا
أنها الطريقة الوحيدة لنيل الملك والسلطان، فلو منعهم إياه بقوة السيف لارتدوا
عن دين الله تعالى، ولذهبت جهود النبي ﷺ سدى، ولمنعوا الأمم الآتية
والأجيال القادمة من التعرف على الحق بنقضهم اليهود في الظاهر والباطن معاً.
ولذا قال عليّ عليه السلام: ولو لا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرئاسة، وسلموا إلى
العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً! (٣).

وهو ما يفسّر رجوع الناس كفاراً وارتدادهم عن الإسلام لو قام فيهم
بالسيف، وقد قال: وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفَّاراً (٤).

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٦٨.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٧٠.

(٣) شرح النهج ج ٢٠ ص ٢٩٩.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٨٧.

وعنه عليه السلام: وَإِيمَ اللَّهِ لَوْ لَا خَافَةُ الْفُرْقَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَعُودُوا إِلَى الْكُفْرِ، وَيُعَوَّرَ الدِّينُ، لَكُنَّا قَدْ غَيَّرْنَا ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْنَا^(١).

وعن الباقر عليه السلام: لَمْ يُمْنَعْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا نَظَرًا لِلنَّاسِ، وَتَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَيَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ، وَلَا يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه، وَكَانَ الْأَحَبَّ إِلَيْهِ أَنْ يُقَرَّهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ جَمِيعِ الْإِسْلَامِ^(٢).

ألا يجب الدفاع عن النفس؟

فإن قيل: هذا يُفَسِّرُ قعوده عن المطالبة بحقه، ولا يفَسِّرُ قعوده في الدفاع عن نفسه، والدِّفاعُ عن النفس واجبٌ لا يحتاجُ إلى أنصار.

قلنا: لا بد من التمييز بين صورتين:

الصورة الأولى: أن يُفْرَضَ القتال على الولي المعصوم، فلا بدَّ من أن يقاتل ولو لم يكن معه أحدٌ من الأنصار.

الصورة الثانية: أن لا يُفْرَضَ عليه القتال إلا تخييراً، أي أن يُخَيَّرَ بين القتال وبين شيءٍ آخر، فإذا وجد المصلحة في ترك القتال تركه وأتى بالخيار الآخر.

وهو حالُ أمير المؤمنين عليه السلام، فقد بيَّنَ حالهم بعدما فشلت خطتهم الأولى بالقضاء على الأسرة المباركة، فقال عليه السلام:

إِنَّ الْقَوْمَ حِينَ فَهَرُونِي وَاسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي، لَوْ قَالُوا لِي: (نَقْتُلُكَ

(١) الأماي للمفيد ص ١٥٥.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٢٩٦.

الْبَتَّة) لَمْ تَنْتَعْتُ مِنْ قَتْلِهِمْ إِيَّايَ وَلَوْ لَمْ أَجِدْ غَيْرَ نَفْسِي وَحْدِي.
 وَلَكِنْ قَالُوا: إِنَّ بَايَعْتَ كَفَفْنَا عَنْكَ وَأَكْرَمْنَاكَ وَقَرَّبْنَاكَ وَفَضَّلْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ
 تَفْعَلْ قَتَلْنَاكَ، فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ أَحَدًا بَايَعْتُهُمْ، وَبَيَّعْتِي إِيَّاهُمْ لَا يُحِقُّ هُمْ بَاطِلًا، وَلَا
 يُوجِبُ هُمْ حَقًّا^(١).
 فلم يكن حمل السيف واجباً لأن هناك طريقاً للتخلص من القتل ولو
 بالبيعة الظاهرة.

ألا يجب الدفاع عن الأسرة؟!

فإن قيل: هذا يبرر عدم دفاعه عن نفسه، ولكن هل يشمل عدم دفاعه عن
 زوجته وأولاده؟

قلنا: لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مُحَيَّرًا بين أن يحمل السيف فيقتلون جميعاً،
 وبين أن يضع السيف وتتصدى الزهراء عليها السلام فتكون الدائرة عليها خاصةً، ويُحفظ
 الإمامة، وبقية الأسرة الطاهرة، وهو ما يبرر دفاع الزهراء عليها السلام عنه، وقد حالت
 بينهم وبينه عليه السلام لأجل ذلك.

وقد علم اللُعاء أنها ستفعل ذلك من قبل، ذلك أن حفظ الإمام أوجب
 من كل شيء، وقد أرسل عُمَرُ لِقَنْفَذَ يَلْفُتُهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى قَبْلَ حَدُوثِهِ فَقَالَ لَهُ:
 إِنَّ حَالَتِ بَيْتُكَ وَبَيْنَهُ فَاطِمَةُ فَاضْرِبْهَا!^(٢).

وهو ما جرى فعلاً: وَحَالَتِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ فَاطِمَةُ عليها السلام عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ فَضْرَبَهَا

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦٦٦.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٨.

قُنْفُذُ الْمَلْعُونِ بِالسَّوْطِ^(١).

وقد روي هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام، متحدثاً عن قنفذ: هُوَ الَّذِي ضَرَبَ فَاطِمَةَ عليها السلام بِالسَّوْطِ حِينَ جَاءَتْ لِتَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَمَاتَتْ عليها السلام^(٢).

الصورة الثانية: حملُ السيفِ بالإعجاز

إذا كان عليٌّ عليه السلام لم يحمل السيفَ لأنَّ الموازين والأسباب لم تكن لصالحه ولا لصالح أسرته ولا لصالح الإسلام، فلماذا لم يحمل السيف ويستعين بالقدرات الغيبية التي أعطاها الله تعالى؟! ألم يكن عليٌّ قادراً على ذلك؟! بل.. كان عليه السلام قادراً على الاستعانة بالقوَّة الملكوتية والمدد الغيبي، ولو فعل ذلك لأفناهم عن بكرة أبيهم.

ولكنَّ هذه الاستعانة تخضع للمصلحة والحكمة والأمر الإلهي، ولم يكن من الحكمة أن يقوم عليه السلام بذلك فيُفني أمة الإسلام، ولا يبقى له بعد ذلك من باقية! وقد أشار عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله:

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَدْنَى لِي بِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ لَحَصَدْتُ رُءُوسَكُمْ عَنْ أَجْسَادِكُمْ كَحَبِّ الْحَصِيدِ، بِقَوَاضِبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَلَقَلَّعْتُ مِنْ جَهَا جِمِ شُجْعَانِكُمْ مَا أَقْرَحُ بِهِ أَمَاقَكُمْ، وَأَوْحِشُ بِهِ مَحَالِّكُمْ، فَإِنِّي مُدْعِرْفُتُ مُرْدِي الْعَسَاكِرِ، وَمُفْنِي الْجَحَافِلِ، وَمُيِيدَ خَضْرَائِكُمْ، وَمُحَمَّدَ صَوَّضَائِكُمْ^(٣).

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨٦.

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) الإحتجاج ج ١ ص ٩٥.

لن يعجزَ عليٌّ عليه السلام عن حصد الرؤوس، بالإعجاز أو بغيره، لكنَّ في ذلك خلاف الحكمة والمصلحة، فإنَّ الواقعة لا تخلو من إحدى حالتين:

١. إما أن يغلبوه ويقهروه عليه السلام، ثم يقتلوه وأهل بيته، فينقطع نور الله في الأرض.

٢. وإما أن يغلبهم ويفلج عليهم، فيفنيهم عن بكرة أبيهم، ولا يُبقي على الأرض من المسلمين دياراً.

وكلتاها نتيجتان لا يرتضيها الله تعالى، ولا رسوله، ولا وليه المعصوم، لذا رأى عليه السلام أن: الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى ^(١).. فَصَبَرَ.

ولذا لم يورد (المُخَالَفِينَ خَلِيَجَ الْمَنِيَّةِ)!

ولم يرسل عليهم: (شَأْيِبَ صَوَاعِقِ الْمَوْتِ) ^(٢).

والقوم يعرفون ذلك، وقد قال أَوْهَمُ لثَانِيهِمْ: فَوَ اللهُ، لَوْ هَمَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ بِقَتْلِي وَقَتْلِكَ لَقَتَلْنَا بِشِمَالِهِ دُونَ يَمِينِهِ! ^(٣).

وقد فرَّ الثاني لما ضرب سيدة النساء من ظاهر الخمار سريعاً إلى خارج الدار ثم قال لأصحابه:

قَدْ جَنَيْتُ جِنَايَةً عَظِيمَةً لَا أَمْنُ عَلَيَّ نَفْسِي. وَهَذَا عَلِيٌّ قَدْ بَرَزَ مِنَ الْبَيْتِ وَمَا لِي وَلَكُمْ جَمِيعاً بِهِ طَاقَةٌ. فَخَرَجَ عَلِيٌّ وَقَدْ ضَرَبَتْ يَدَيْهَا إِلَى نَاصِيَتَيْهَا لِتَكْشِفَ عَنْهَا

(١) معاني الأخبار ص ٣٦١.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٢.

(٣) الاحتجاج ج ١ ص ٩٦.

وَتَسْتَعِيثُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مَا نَزَلَ بِهَا، فَاسْتَبَلَّ عَلِيٌّ عَلَيْهَا مُلَاءَتَهَا وَقَالَ لَهَا:
يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ أَبَاكَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنِّي
نَاصِيَتِكَ سَائِلَةً إِلَى رَبِّكَ لِيُهْلِكَ هَذَا الْخَلْقَ لِأَجَابِكَ حَتَّى لَا يُبْقِيَ عَلَى الْأَرْضِ
مِنْهُمْ بَشَرًا.

.. فَكُونِي يَا سَيِّدَةَ النَّسَاءِ رَحْمَةً عَلَى هَذَا الْخَلْقِ الْمُنْكَوسِ وَلَا تَكُونِي عَذَابًا^(١).

لقد علم القوم أنهم لو اجتمعوا جميعاً، بل لو اجتمع من في الأرض جميعاً
على قهر عليٍّ ما قهروه يقيناً، وصرّحوا بذلك، فإن من يعتصم بالله تعالى لو كادته
السموات والأرض لجعل الله له من بينهنّ مخرجاً.

وهذا عليٌّ إمام المعتصمين بالله، وسيدهم وأفضلهم بعد رسول الله ﷺ.

ولكن لم يكن لعليٍّ أن يفعل غير ما فعل، كما لم يكن للزهراء أن تفعل غير
ما فعلت.

لقد بعث الله تعالى حبيبهُ ﷺ رحمةً، فلم يكن لعليٍّ ولا لفاطمة عليها السلام أن
ينزلا العذاب على هذا الخلق المنكوس، بل كانا رحمةً كما كان رسول الله ﷺ.

لهذا ما كَشَفَت الزَّهْرَاءُ شَعْرَهَا وَلَا دَعَتِ عَلَى الْقَوْمِ، وَمَا أوردَهُمْ عَلِيٌّ
خَلِيَجَ الْمَنِيَّةِ، وَلَا حَصَدَ رُؤُوسَهُمْ.. إِمْتِثَالاً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِكْمَالاً لِلَامْتِحَانِ
الْإِلَهِيِّ: ﴿حَتَّى يَمِيَزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٤.

(٢) الخميس ٢٣ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٧ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٣٤. ليس عليّ (ع) .. ك محمد (ص)!

بسم الله الرحمن الرحيم

يذهبُ الشيعة الكرام إلى أن علياً عليه السلام هو (نفسُ محمدٍ صلى الله عليه)، ويستدلُّون على ذلك بأية المباهلة، وقوله صلى الله عليه ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، ولم يكن من الأنفس حينها إلا هو وعليٌّ عليهما وآلهما السلام.

فصارَ عليٌّ في حقيقته وجوهره و صفاته وخصاله نفسَ محمدٍ صلى الله عليه.

لكنهم لما تأملوا فيما جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه، وعدم قيام أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف لفقدان الناصر، مقابل تكليف النبي صلى الله عليه بالدعوة ولو مُنفرِداً، لزم عليهم أن يُبينوا حقيقة الموقفين.

ثم أوقفهم قول النبي صلى الله عليه لعليّ عليه السلام كما يرويه سليم في كتابه: يَا أَخِي إِنَّكَ لَسْتَ كَمِثْلِي!

فتأملوا في دلالة النصين، ليجيبوا على السؤال: هل من فرقٍ بين النبيّ

والإمام؟

أولاً: التقيّة بين النبيّ والإمام

لقد استدللّ الشيعة على جواز التقيّة بأدلة قرآنية مباركة، ونصوصٍ شريفةٍ كثيرة، والمهمُّ هو اتّفاق كلمتهم أعزّهم الله على أن التقيّة لا تصحُّ على الأنبياء فيما لا يُعرف إلا منهم، فلو اتقى الأنبياء وأخفوا شيئاً من معالم الدّين لامتنع على الأمة أن تُحيط به علماً.

وكذا لو انحصرت معرفة أمرٍ من أمور الشريعة بالإمام المعصوم عليه السلام، فإنَّ التقية لا تسوغ له، إلا أن يُعرَفَ ذلك الأمر من طريقٍ آخر، ولو منه عليه السلام في وقت وظرفٍ آخر، أو من إمامٍ آخر.

ولكن لما كان النبي هو المبتدئ بالشرع، كان بيانُ جُلِّ الأحكام منحصرًا به، فما ساغت التقية بحقه غالبًا.

وكان حكم الإمام كالنبي فيما انحصر بيانه به، مفارقاً له فيما كان معلوماً من جهةٍ أخرى، لأنَّ تكليف الإمام حينها إجراء الأحكام لا بيانها بعد بيان النبي لها. وقد بيّن السيد المرتضى رحمه الله هذه المعاني ببيانٍ واضحٍ جليٍّ فقال رحمه الله:

إن الإمام لا يجوز أن يتقي فيما لا يُعلم إلا من جهته، ولا طريق إليه إلا من ناحية قوله، وإنما يجوز التقية عليه فيما قد بان بالحجج والبيّنات، ونصبت عليه الدلالات.. ثم لا يتقي في شيءٍ إلا ويدل على خروجه منه مخرج التقية.. ثم إن التقية إنما تكون من العدو دون الولي، ومن المتهم دون الموثوق به^(١).

ثانياً: اختلاف الظرف بين النبي والإمام

إذاً ليس الاختلاف بين النبي والإمام من جهة التقية في أصلها، بل في حيثيتها وظرفها، فإذا انحصرت معرفة الحق بالنبي أو الإمام حرمت التقية عليهما معاً، وإذا عُرِفَ الحق من طريقٍ آخر، جازت لهما معاً.

(١) الشافي ج ٤ ص ١٠٧.

لكن ظرف النبي من حيث كونه مؤسساً، وظرف الإمام من حيث كونه مُكَمِّلاً، يجعل التقيّة غير سائغة غالباً في حق النبي، وإن ساءت في جملة من الموارد في حق الإمام، وقد أشار إلى هذا المعنى نبينا ﷺ، حينما قال لعليّ عليه السلام:

يَا أَخِي إِنَّكَ لَسْتَ كَمِثْلِي!

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَعِصُمُنِي مِنَ النَّاسِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَجَاهِدَ وَلَوْ بِنَفْسِي، فَقَالَ: ﴿جَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾.. وَقَدْ مَكَثْتُ بِمَكَّةَ مَا مَكَثْتُ لَمْ أُوْمَرْ بِقِتَالٍ، ثُمَّ أَمَرَنِي اللَّهُ بِالْقِتَالِ لِأَنَّهُ لَا يُعْرِفُ الدِّينَ إِلَّا بِئِي، وَلَا الشَّرَائِعَ وَلَا السُّنَنَ وَالْأَحْكَامَ وَالْحُدُودَ وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ^(١).

لقد بيّن ﷺ في هذا النصّ أن الله تعالى لم يأمره في أوّل أمره بالقتال، وفي هذا إشارة إلى أن القتال ليس شرطاً في النبوة ولا في الإمامة، بل إن الدين لا يؤخذ القتال فيه شرطاً دائماً، إنما يوكل ذلك إلى الظرف بحيث قد يجب عندما تتوقّف إزالة الموانع أمام انتشار الدين على القتال.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأمرين مختلفين في ظرفين مختلفين:

١. فتارة أمره ﷺ بالسّتر والكتمان، ولم يؤمر فيها بالقتال وحمل السلاح، وقد تشابه حاله فيها مع بعض حالات الإمام عليه السلام.

٢. وأخرى أمره تعالى بالبلاغ والقتال ولو كان منفرداً، ولكن مع العصمة والضمان منه تعالى.

ولم يكن قتاله ﷺ موقوفاً على وجود الناصر، لأن معرفة الدين كانت

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٦٧.

موقوفةً على قتاله في ظرفٍ، وهو ما لا بدَّ منه.

ولكن، بعد أن انتشر الدين وعمَّ، وعُرِفَت الشريعة وظهرت أركانها، وبلغَ النبيُّ أمرَ الولاية، ثم انتقل إلى ربِّه.. فما هو حال الإمام؟

هل يجبُ على الإمام القتال كما وجبَ على النبي ﷺ عندما أمر؟

أم أن اختلاف الظرف يوجب سقوط القتال عن الإمام؟

لقد بيَّن النبي ﷺ الفرق بين الأمرين، فقال لعليٍّ عليه السلام:

وَإِنَّ النَّاسَ يَدْعُونَ بَعْدِي مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَمَرْتَهُمْ فِيكَ مِنْ وَلَايَتِكَ..
مُتَعَمِّدِينَ غَيْرَ جَاهِلِينَ.. فَإِنْ وَجَدْتَ أَعْوَانًا عَلَيْهِمْ فَجَاهِدْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا
فَاكْضِفْ يَدَكَ وَاحْقِنْ دَمَكَ^(١).

وقال ﷺ: إِنَّكَ يَا أَخِي لَسْتَ مِثْلِي، إِنِّي قَدْ أَقَمْتُ حُجَّتَكَ، وَأَظْهَرْتُ لَهُمْ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ.. وَقُمْتُ بِأَمْرِكَ، فَإِنْ سَكَتَ عَنْهُمْ لَمْ تَأْتُمْ.. وَالتَّقِيَّةُ مِنْ دِينِ اللَّهِ
وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ^(٢).

لقد صارَ أمرُ الإمامة أوضح من الشَّمس في رابعة النَّهار، ولم يعد
الإستدلالُ عليها وبيائها لازماً على الإمام، لأنَّ النبي ﷺ قد أبانها وجلاها،
وأظهرها وحثَّ عليها، وأخذ البيعة لعليٍّ بها.

فلا يجب على الوليِّ بعد ذلك أن يُقاتلَ الأُمَّة إن خالفت أمر النبي في ذلك،
لأنَّ معرفة أمر النبي ﷺ لا توقف على قتاله عليه السلام، بل يَعْلَمُ ذلك كلُّ الأُمَّة.

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٦٧.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٦٨.

وإن لزم على الإمام البيان، اكتفى باللسان، فصار حال الإمام حينها كحال النبي ﷺ في أول الدعوة لا آخرها.

هكذا، لم يكن عليٌّ ع عليه السلام كمحمد ﷺ في مسألة تبليغ الإمامة، فالنبي ﷺ قد أمر بتبليغها مهما حصل، ولم يكن له أن يتقي في ذلك لانحصار بيانها به ﷺ، ولذا عصمه الله تعالى من كيد الكائدين كي يصدق بذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

لقد روي عن الصادق ع عليه السلام: وَاللَّهِ مَا بَايَعَ عَلِيًّا حَتَّى رَأَى الدُّخَانَ قَدْ دَخَلَ بَيْتَهُ^(٢).

إنها التقية، نعم.. ومثل علي يتقي، مع بطولته وبأسه، فالتقية (من دين الله)، والبطولة إنما تكون بطاعة الله تعالى، لا بمخالفة أمره.

وقد ورد في الحديث: إِنَّهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ تَقِيَّةٌ رَفَعَهُ اللَّهُ^(٣).

لقد رفع الله أمر علي ع عليه السلام لما أطاعه وأطاع رسوله، وسيأتي عليه السلام ربه عز وجل يوم القيامة مظلوماً لا ظالماً، فيكون الله تعالى هو المنتقم له.

عليٌّ إذاً.. نفس محمد.. في كل كمالٍ ورفعةٍ وشرفٍ.

لكن ظرف علي ع عليه السلام ليس كظرف الرسول ﷺ، وكلما تغير الظرف تبعه

(١) المائدة ٦٧.

(٢) تلخيص الشافي ج ٣ ص ٧٦.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢١٧.

الحُكْم، لذا كان ما كان من رسول الله ﷺ، وصدر ما صدر من عليّ ؑ، وكلاهما في ذروة المجد والشرف الأصيل، أئمة وسادة وقادة، أنوار الله في سمائه، وحججه وخلفاءه في أرضه.

ثَبَّتْنَا اللهُ عَلَى وَلَايَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَحَشَرْنَا مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) السبت ٢٥ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٩ - ١ - ٢٠٢٢ م.

٣٥. ابن السوداء.. يُخرجُ الزَّهراء!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان لأنبياء الله ورسله وأوليائه وملائكته أساليب في تعليم الخلق، ومنها طرح السؤال مع علمهم بجوابه، تعليماً للجاهل، وإرشاداً للغافل. ومن ذلك أن جبرائيل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ في صورة آدمي، وصار يسأله عن حقيقة الإسلام والإيمان، والرسول ﷺ يجيبه، ولما خرج عليه السلام قال: هَذَا جَبْرَائِيلُ جَاءَكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ! (١).

وكان هذا ديدن الكمال حيث يسعون لنشر العلوم والمعارف والحقائق والعقائد والأحكام بأنجع السبل، وهو ما يُفسر كثيراً من الأسئلة التي كان يطرحها الإمام عليه السلام على النبي ﷺ وهو عالمٌ بها، أو الأحداث التي تقع بين أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام.

ومن ذلك ما يُروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه:

تَقَاضَى عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخِدْمَةِ: أَي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّهْرَاءَ عَلَيْهِمَا رَفَعَا أَمْرَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْ يُجَدِّدَ تَكْلِيفَ كُلِّ مِنْهُمَا. فَقَضَى عَلَى فَاطِمَةَ بِخِدْمَةِ مَا دُونَ الْبَابِ، وَقَضَى عَلَى عَلِيٍّ مَا خَلْفَهُ: فَمَا كَانَ دَاخِلَ الدَّارِ كَانَ مِنْ نَصِيبِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِمَا، وَمَا كَانَ خَارِجَهُ كَانَ مِنْ نَصِيبِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا.

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦١٤.

فبابُ فاطمة عليها السلام هو الحدُّ الفاصل بين ما أوجبه الله تعالى عليها وما أسقطه عنها، وكذا بابُ كلِّ بيتٍ في هذه الأيام، حيثُ حكمت الشريعةُ على الرَّجُل أن يقوم بكلِّ ما تحتاجه المرأةُ خلفَ الباب، لتتمكن من البقاء دونه مُعززةً مُكرَّمةً، إلا أن توجهها الظروفُ للخروج، فتخرجُ ملازمةً للعفةِ والحياء.

قَالَ: فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: فَلَا يَعْلَمُ مَا دَاخَلَنِي مِنَ السُّرُورِ إِلَّا اللَّهُ بِإِكْفَائِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْمُلُ رِقَابَ الرَّجَالِ (١).

عبارةٌ في غاية العظمة، لقد دخلَ سرورٌ على الزَّهراء لا يمكن لنا تصوُّره من مثل هذا الحُكم، بحيثُ كفاها الرسولُ بأمرِ السَّماءِ الخروجَ بين الرَّجال، والاختلاط بهم، والقيام بأعمالهم.

شَتَانٌ بَيْنَ مَوْقِفِ تَرَاهُ بَعْضَ النِّسَاءِ نِعْمَةً وَحُبُوةً إلهيةً عَظِيمَةً تُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى الْقَلْبِ، وَتَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ لِلَّهِ تَعَالَى.

وترى فيه أُخْرِيَاتٌ فِي عَصْرِ نَا كَبْتًا وَقَهْرًا لِلْمَرْأَةِ وَظُلْمًا لَهَا وَسَلْبًا لِحَقِّهَا! الرُّوْيَةُ الْأَوَّلَى تَوَافِقُ طَبِيعَةَ الْمَرْأَةِ، وَتُرَاعِي ضَعْفَهَا وَرِقَّتَهَا، لِتَوْمِنَ لَهَا حَيَاةً كَرِيمَةً تَكُونُ فِيهَا مُصَانَةً عَنِ تَحْمُلِ رِقَابِ الرَّجَالِ، وَتَوْجِبُ عَلَى مَنْ لَا يُرِيدُ غَيْرَ صِلَاحِهَا، وَمَنْ لَا مَطْمَعَ لَهُ فِيهَا أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهَا وَشَأْنِهَا.

وَالرُّوْيَةُ الثَّانِيَةُ تَوَافِقُ أَهْوَاءَ وَمَطَامِعَ الرَّجَالِ الْفَاسِدِينَ، وَالنِّسَاءِ الْجَاهِلَاتِ، فَتُسْتَغَلُّ الْمَرْأَةُ فِيهِ أَبْشَعَ اسْتِغْلَالٍ، مَا لَمْ تُحَافِظْ عَلَى حِسْمَتِهَا وَحَيَاتِهَا وَعَفَّتْهَا وَطَهَارَتِهَا.

(١) قرب الإسناد ص ٥٢.

ولكن، ما طَالَ سُروُرُ الزَّهراءِ كَثيراً، فَسُرْعانَ ما تَبَدَّلَ الأمرُ الَّذي أَدخَلَ
عليها عَظِيمَ السُّرورِ وتَغَيَّرَ!

رَسولُ اللَّهِ يَكفيها ما خَلَفَ البابَ، لكن.. في أُمَّتِهِ مَن لا يَقرُّ له قَرارٌ بِذلك!
فيجَمعُ الحَظَبَ على بابها!

الباب الَّذي لا يَنبغي لأحدٍ أن يَقتَربَ مِنه دون إِذنِ اللَّهِ ورِسالِهِ وأهل
بيته.. يَقتَربون مِنه الآنَ بِالْحَظَبِ!

يروي الشَّيخُ ابنُ شَهرِ آشوبَ عَن ابنِ عَباسٍ، وَعَن الزَّهريِّ، وَعَن ابنِ
العلاءِ، وَعَن زائِدَةَ بنِ قَدامَةَ أَنَّهُ:

(خَرَجَ عَمْرُ في نَحوٍ مِن سِتِّينَ رِجالاً، فَاسْتَأذَنَ الدَّخولَ عَلَيهِم، فلم يَؤذَن
لَهُ، فَشَغِبَ وَأَجْلَبَ): لم يَعدُ في هَذا البابِ سِتْرٌ لِلزَّهراءِ، لم تَأذَنَ لَهُ بالدَّخولِ فَأثارَ
الجَلْبَةَ خارِجَ البابِ.

(وَعادَ إلى البابِ واسْتَأذَنَ، فَقالَتِ فَاطِمَةُ ؑ: عَلَيكَ بِاللَّهِ إن كُنْتَ تَؤمِنُ
بِاللَّهِ أن تَدخَلَ عَلَيَّ بَيتي فَإني حاسِرةٌ، فلم يَلتَفِتْ إلى مَقالِها وَهَجَمَ.

فصاحت: يا أبة، ما لقينا بعدك من أبي بكر وعمر، وتبعه أعوانه).

لقد أرادوا علياً ؑ، وفعلاً خرج علي ؑ، تقول الرواية:

(وَخَرَجَتِ الطاهِرةُ في أثرِهِ، وَهي تقول لَزفر: يا بنِ السَّوداءِ! لِأَسرَعِ ما
أَدخَلتِ الدُّلَّ على بيتِ رَسولِ اللَّهِ!)

الآن صارَ لا بدَّ لِلزَّهراءِ مِن أن تَخرُجَ، اللَّهُ تَعالي يَكفيها أمرَ الخَروجِ، لكن
يَضطَرُّها الأرجاسُ لِذلك، باعْتدائِهِم على دارِها وإِحراقِهِم بابها، وَضربها

بالسياط والسيوف، وعصرها خلف الباب، ثم بِقَوْدِهِمْ بعلمها للقتل!
 (فلما رآها أبو بكر مقبلةً هاب ذلك، فقام قائماً وقال: ما أخرجك يا بنت
 رسول الله؟)

عجيبٌ أمرٌ هؤلاء القوم، يرتكبون أفظَعَ الجرائم ثم يتساءلون عن الجاني!
 ما هابَ اللَّعِينُ قَدُومَ الرَّهْرَاءِ إلا لعلمه بأنَّ في قدومها إفشالاً لخطَّتهم بقتل عليٍّ
 ؑ، ذاك حيثُ ارتفعت حيطان المسجد وكادت المدينة أن تמיד بأهلها.
 ما تركت الرَّهْرَاءُ كلامه دون جواب فقالت ؑ:

(أخرجتني أنت وهذا ابن السوداء معك)!

الأميرُ والمخطَّطُ والمنقذُ كلُّهم في شرع الله مجرِّمون مُعتَدون على بيت
 الرَّسول.. وكلُّ منهم يحشدُ لصاحبه ويدافع عنه!
 لقد قال الأول لها: (يا بنت رسول الله، لا تقولي هذا، فإنه كان لأبيك حبيباً!
 قالت: لو كان حبيباً ما أدخل الذلَّ بيته)^(١).

إنَّها أساليبُ أهل النَّفاق، يهجمون على بيت الرَّسول، ويعتدون على بضعته
 وصهره وأحب الناس إليه ثم يزعمون محبته!

ابن السوداء الثاني هذا، هو نفسه الذي اغتاز لما أجابته الرَّهْرَاءُ من خلف
 الباب! أُلجأها إلى أن تخاطبه بدلاً من عليٍّ لتمنعهم من إحراق الدار بمن فيه،
 فامتلاً حنقاً وغضباً من خارج الباب وقال لها:

مَا بَالُ ابْنِ عَمِّكَ قَدْ أوردَكَ لِلجَوَابِ وَجَلَسَ مِنْ ورائِ الحِجَابِ؟

(١) مثالب النواصب ج ١ ص ٢٢٨-٢٣١ والرسائل الاعتقادية ص ٥٣٢.

فقال له:

طُغْيَانُكَ يَا شَقِيًّا أَخْرَجَنِي وَالزَّمَكَ الْحُبَّةَ، وَكُلَّ ضَالًّا غَوِيًّا!^(١)
طُغْيَانٌ وَتَجَبُّرٌ وَظُلْمٌ وَبَغْضٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِآلِهِ الْأَطْهَارِ، غَيْرَ الْمَوَازِينِ،
فَتَبَدَّلَ سُرُورَ الزَّهْرَاءِ حُزْنَ.

حُزْنُهَا عَلَى رَحِيلِ أَبِيهَا مَا كَانَ يُفَارِقُهَا، إِذْ كَانَتْ تَبْكِيهِ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا، وَحَقَّ
لِئِذَاهَا عَلَيْهِ أَنْ تَبْكِي مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّ الْحُزْنَ وَالْبَكَاءَ تَضَاعَفَ، حِينَ اضْطَرَّهَا ابْنُ
السُّودَاءِ وَصَاحِبُهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الدَّارِ دَفَاعًا عَنْ بَعْلِهَا وَإِمَامِهَا وَأَحَبِّ النَّاسِ
إِلَيْهَا وَإِلَى أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يُوَالِي عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ حُرْمَةً عَظِيمَةً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى خَصَّ
تَعَالَى لِمَنْ آذَى وَلِيَّ عَلِيٍّ عَذَابًا عَظِيمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَاكَ حَيْثُ:
يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ سَكَكِينَ النَّارِ وَسُيُوفَهَا، يُبَعِّجُ بِهَا بَطْنَهُ، وَيُحْشِي
نَارًا، ثُمَّ يُعَادُ خَلْقًا جَدِيدًا أَبَدَ الْأَبْدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ^(٢).

هَذَا جِزَاءٌ مِنْ آذَى وَلِيِّ عَلِيٍّ! فَمَا حَالُ مَنْ آذَى أَعْظَمَ وَلِيٍّ لِعَلِيِّ وَهِيَ الزَّهْرَاءُ
عَلَيْهَا؟! وَأَذَاهَا أذى الرَّسُولِ وَأذى اللَّهِ جَلَّ جلاله! وَمَا عِقَابُ مَنْ آذَى عَلِيًّا عَلَيْهِ
نَفْسُهُ؟! هَلْ سَتَقَلْبُ النَّارِ الَّتِي أوروها عَلَى بَابِ فَاطِمَةَ نَارًا أُخْرَى تُحْشِي بِهَا
بَطُونَهُمْ؟! أَمْ أَنْ هُمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَدْهَى!؟

(١) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٩٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ص ٨٤.

هذا ما ينتظره المؤمنون، إنهم يرتقبون ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾^(١)،
إنهم ينتظرون بطش الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾^(٢).
والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) الدخان ١٠.

(٢) الدخان ١٦.

(٣) الأحد ٢٦ جمادى الثانية ١٤٤٣ هـ الموافق ٣٠ - ١ - ٢٠٢٢ م.

الفصل الرابع: مكانتها يوم القيامة

٣٦. أوّل حاكمٍ يومِ القيامة.. المحسنُ بنُ عليٍّ!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً﴾^(١).

ينقل القرآن الكريم بعض أحداث يوم القيامة، والحديث الشريف بعضاً آخر، فهو يومُ الندامة، يوم يعصّ الظالم على يديه.

يُخَبِّرُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَبِيبَهُ ﷺ، وخليفته في أرضه وسائه، عندما أسرى به إلى السماء، يُخَبِّرُهُ عن محكمة العدل الإلهية في ذلك اليوم المهول، فيخاطب الله تعالى نبيه ﷺ فيما روي عن الصادق عليه السلام:

وَأَمَّا ابْنُكَ، فَإِنِّي أَوْقَفْتُهَا عِنْدَ عَرْشِي، فَيَقَالُ لَهَا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَكَ فِي خَلْقِهِ، فَمَنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمَ وَلَدَكَ فَاحْكُمِي فِيهِ بِمَا أَحْبَبْتِ، فَإِنِّي أُجِيزُ حُكُومَتَكَ فِيهِمْ^(٢).

يوقف الله تعالى الخلائق ويعرضهم على الحساب يوم القيامة، وهو اليوم الذي وُصِفَ في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى

(١) الفرقان ٢٧-٢٨.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٣٤.

مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١﴾.

الله تعالى القادرُ الممسِكُ للعرش، الحافظُ للملائكة، يوقف الزهراء عليها السلام عند العرش، وهو من أكبر أبواب الغيوب، ويقال لها: إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَكَ فِي خَلْقِهِ. يعطي الله تعالى الحُكْم للزهراء في (خلقه)، وهو البارئ لهم والخالق والمالك، فأَيُّ عظمةٍ للزهراء عليها السلام حتى حَكَّمَهَا اللهُ في خلقه يوم العرض؟! يتفرع عن هذه الحكومة قول الله تعالى في الحديث: فَمَنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمَ وَوَلَدَكَ فَأَحْكُمِي فِيهِ بِمَا أَحْبَبْتِ، فَإِنِّي أُجِيزُ حُكُومَتَكَ فِيهِمْ.. ما أَحَبَّتِ الزهراء من حكمٍ صارَ نافذاً! أيّاً كان هذا الحُكْم، عطاءً لا حدَّ له من الله تعالى.

فَتَشْهَدُ الْعَرْصَةَ (البقعة)، فَإِذَا وَقَفَ مَنْ ظَلَمَهَا أَمَرَتْ بِهِ إِلَى النَّارِ. فَيَقُولُ الظَّالِمُ: وَآ حَسْرَتَاهُ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَيَتَمَنَّى الْكَرَّةَ، وَ﴿يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ وَ﴿يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾ وَقَالَ ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾. ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

ههنا يُدركُ الظالم أن ساعة الحسرة قد حانت، وأن الرجوع إلى هذه الدنيا أمَلٌ زائف، ويتلمَّس أن لا نجاة له في هذه المحكمة، ويخشى من العذاب، فينبري ليُخادِعَ رَبَّهُ، مُحْتَجاً أن الله هو الحاكم بين عباده، فكيف يصير الحكم لغيره تعالى؟!!

وكانَّ حَكَمَ الزهراء كان عن غير أمر الله تعالى، أو كأنه يريد أن يفِرَّ من حكم الزهراء عليها السلام إلى حكم الله تعالى، لما يسمع عن سَعَةِ رحمته تعالى.

وكانَّ ما وَقَعَ عليها من ظلم قد يمرُّ بلا عقاب!

يقول الحديث: فَيَقُولُ الظَّالِمُ: أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَحْتَلِفُونَ؟
أَوِ الْحُكْمُ لغيرِكَ؟

هؤلاء لا يندعون إلا أنفسهم، فيقال لهم: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.

ههنا ما يثير الدهشة، فإنَّ الله تعالى قد جعل الزهراء حَكَمًا، لكن الحُكْمَ أَوَّلَ ما يصدرُ لا يكون عن لسانها عليها السلام، بل عن لسان ولدها السقط محسن بن علي عليه السلام!

تقول الرواية: وَأَوَّلُ مَنْ يَحْكُمُ فِيهِمْ مُحَسِّنُ بْنُ عَلِيِّ عليه السلام، وَفِي قَاتِلِهِ، ثُمَّ فِي قُنُذٍ، فَيُؤْتِيَانِ هُوَ وَصَاحِبُهُ فَيُضْرَبَانِ بِسِيَّاطٍ مِنْ نَارٍ لَوْ وَقَعَ سَوَاطُ مِنْهَا عَلَى الْبِحَارِ لَغَلَّتْ مِنْ مَشْرِقِهَا إِلَى مَغْرِبِهَا، وَلَوْ وُضِعَتْ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا لَدَابَّتْ حَتَّى تَصِيرَ رَمَادًا فَيُضْرَبَانِ بِهَا^(١).

فصارَ المحسن بن عليٍّ أولَ من يحكم فيمن ظلم أمه الزهراء وظلم ولدها عليه السلام، فهل صدور الحكم من محسنٍ كان على قاعدة ما ورد في الحديث الشريف: إِنَّ قُلْنَا لَكُمْ فِي الرَّجُلِ مِنَّا قَوْلًا فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ، كَانَ فِي وَلَدِهِ أَوْ وَلَدِ وَلَدِهِ،

فَلَا تُنْكِرُوا ذَلِكَ^(١).

كما أوحى الله لعمران أني واهبٌ لك ذكراً مباركاً، لكنّ زوجته حتى وضعت أنثى ولم تضع ذكراً، وجاء عيسى عليه السلام هبةً من الله لابنتها مريم، وصدق الله تعالى لما أوحى لعمران ما أوحى، فصار إعطاؤه لمريم عليها السلام إعطاءً لعمران. أم أنّ محسناً نزل منزلة الزهراء عليها السلام نفسها فما صدر منه فكأنه صدر منها؟! أم أنّ لها حكماً آخر يصدر بعد حكم المحسن، وإن كان حكمه متفرعاً عن حكمها؟!!

كل هذا لا يغير في عظمتهم.

السلام عليكم يا آل بيت النبوة، السقط منكم يُصبح حاكماً يوم القيامة! بل أوّل حاكمٍ على ظالمكم! فأبيّ جزاءٍ عظيم هذا!

ولكن ماذا تحمّلتُم وصبرتم حتى أعطاكم الله تعالى ما أعطاكم؟

عن الصادق عليه السلام عن ربّ السماء لنبية صلى الله عليها وآلها في ليلة المعراج:

وَأَمَّا ابْنَتُكَ فَتُظْلَمُ وَتُحْرَمُ، وَيُؤْخَذُ حَقُّهَا غَضَباً الَّذِي مَجَّعَلُهُ لَهَا، وَتُضْرَبُ وَهِيَ حَامِلٌ، وَيُدْخَلُ عَلَيْهَا وَعَلَى حَرِيمِهَا وَمَنْزِلُهَا بغيرِ إِذْنٍ، ثُمَّ يَمَسُّهَا هَوَانٌ وَذُلٌّ، ثُمَّ لَا تَجِدُ مَانِعاً، وَتَطْرَحُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الضَّرْبِ، وَتَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ^(٢).

لقد صبرَ النبي صلى الله عليه وآله على ما ينزل ببضعته من مُصاب، وصبرَ عليّ عليه السلام وهو يرى ما يُقتتُ الفؤاد، وصبرَت الزهراء عليها السلام وهي لا تجد مانعاً يمنع القوم

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٠١.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٣٢.

عنها، فكان الله وليها فحكّمها في خلقه يوم القيامة!
 ما طال حُزنها بعد شهادة أبيها ﷺ! إذ كيف يطول حزنٌ من قَصْر
 الصُربِ عمرَها؟!!

لكنّ حزن الشيعة طال عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.
 انقضى شهرُ المحرم، وتبعهُ صفر، لكنّ حُزن الشيعة طال وما انتهى.
 هي أيامٌ ظلّمت فيها الزهراء ﷺ، وأسقطت محسنها، ولكن.. أيّ منزلةٍ
 للمحسن ﷺ؟! لقد نال منصبَ الحكم في محكمة العدل المطلقة، فكان الحكمَ
 الأول.. فمن هو الذي يليق بهذا المنصب؟!!

لقد روي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ قوله: اتَّقُوا الحُكُومَةَ، فَإِنَّ الحُكُومَةَ
 إِنَّمَا هِيَ لِلْإِمَامِ الْعَالِمِ بِالْقَضَاءِ الْعَادِلِ فِي الْمُسْلِمِينَ، لِنَبِيِّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيِّ^(١).
 منصبُ الحكومة في هذه الدنيا مُختصٌّ بالنبيّ أو وصيّهِ الإمام المعصوم،
 والمحسن ليس نبيّاً ولا إماماً، فكيف أعطاه الله تعالى منصب الحكم لا في الدنيا
 بل في يوم العدل الإلهي؟!!

أيّ عظمةٍ بلغها محسنُ السقط حتى أعطاه الله ما أعطاه؟! والحكمُ يوم
 الحساب لا يصدرُ إلا بعد الإطلاع على سرائر النفوس وبواطنها وخفايا الأعمال
 وحقائقها ونوايا العباد وأفعالهم.. فكم عَرَّفَكَ اللهُ يا محسن وماذا أعطاك وكم
 أنعم عليك قبل ان يجعلك أول حَكَمٍ فيمن ظلمكم؟!
 وإذا كان هذا حال صغيرهم، فكيف بهم ﷺ؟!!

(١) الكافي ج ٧ ص ٤٠٦.

اللهم إنا سلّمنا أنا لا نحيط بهم علماً، ولا نحيط بك علماً، وأنهم عبادك
المربوبون المطيعون لك، وأنهم بابك وطريقك، فوقتنا لاتباعهم، واحشرنا معهم،
إنك نعم المولى ونعم النصير.

وعظم الله أجورنا وأجوركم^(١).

(١) ثاني ربيع الأول ١٤٤٢ للهجرة الموافق ١٩ - ١٠ - ٢٠٢٠ م.

٣٧. نساء خلف الزهراء.. في يوم الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ عن بضعته الطاهرة فاطمة عليها السلام: لَوْ لَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام تَزَوَّجَهَا، لَمَا كَانَ لَهَا كُفُوٌ عَلَيَّ وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَدَمٌ فَمَنْ دُونَهُ (١).
فَهُنَّ الشَّيْخَةُ هَذَا الْمَعْنَى، وَاعْتَقَدُوا بِهِ، وَشَرِبُواهُ مَعَ حَلِيبِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَصَارَ دِينًا يَدِينُونَ اللَّهُ بِهِ.

لكن.. لماذا قال ﷺ (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)؟! ونحن نعلم أن مفهوم الكفاءة هذا مختصٌ بالدنيا. فهل يستمرُّ بين عليٍّ والزهراء.. حتى يوم الجزاء؟! وكيف يُعقل ذلك؟ وهل من مكانةٍ ومرتبةٍ تظهرُ فيها الكفاءة في يوم القيامة بينهما؟ سلام الله عليهما..

عن رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: يَا عَلِيُّ أَنْتَ إِمَامٌ أُمَّتِي، وَخَلِيفَتِي عَلَيْهَا بَعْدِي، وَأَنْتَ قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ (٢).

ثلاثُ خصالٍ لعليٍّ عليه السلام: ما كان في الدنيا منها فهو إمامة الأمة وخلافة النبي ﷺ، وما أعظم هذه المرتبة.. ولما كان عليٌّ إماماً وخليفةً لسيد الكائنات، لم يكن لفاطمة كفوٌ سواه.

وحينما ذُكرت الخصلة الثالثة، في يوم القيامة: وَأَنْتَ قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ..

(١) الأماي للصدوق ص ٥٩٢.

(٢) الأماي للصدوق ص ٤٨٦.

لم يكن غيره أيضاً كفواً لفاطمة! كيف ذلك؟

عن رسول الله ﷺ:

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ابْنَتِي فَاطِمَةَ، قَدْ أَقْبَلَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَجِيبٍ مِنْ نُورٍ:

١. عَنْ يَمِينِهَا سَبْعُونَ فَمَلِكٍ.

٢. وَعَنْ يَسَارِهَا سَبْعُونَ فَمَلِكٍ.

٣. وَبَيْنَ يَدَيْهَا سَبْعُونَ فَمَلِكٍ.

٤. وَخَلَفَهَا سَبْعُونَ فَمَلِكٍ.

تَقُودُ مُؤْمِنَاتٍ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ!

عليٌّ إِذَا: قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ.

وفاطمة: تَقُودُ مُؤْمِنَاتٍ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ.

الجنة حرامٌ إذاً على من لم يدخله إليها هذا الزوج المبارك، فبينهما كفاءة في الدنيا وكفاءة يوم القيامة! حيث يشتركان في قيادة المؤمنين والمؤمنات إلى جنة الله تعالى، فيخصُّ عليٌّ رجال الأمة، وتخصُّ الزهراء نساءها، فيرحمهنَّ الله تعالى لضعفهنَّ، بشفاعة الزهراء عليهنَّ السلام.

يكمل ﷺ فيقول: أَيُّهَا امْرَأَةٌ:

١. صَلَّتْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ.

٢. وَصَامَتْ شَهْرَ رَمَضَانَ.

٣. وَحَجَّتْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ.

٤. وَزَكَّتْ مَالَهَا.

٥. وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا.

٦. وَوَالَّتْ عَلِيًّا بَعْدِي.

دَخَلَتْ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ^(١)..

سلامُ الله عليك يا زهراء.. توالي المرأةُ بعلَكَ علياً وتأتي بتلك الواجبات، فتستحقُّ أن تكون في ركبك وتحت قيادتك إلى الجنة، فتشفعين لها في ما سوى ذلك.

ولا تنتهي كرامات الزهراء هنا، فهذا حالها مع الجنة.. أما مع النار!

عن الباقر عليه السلام: لِفَاطِمَةَ عليها السلام وَقَفَّةٌ عَلَى بَابِ جَهَنَّمَ..

آه يا باب جهنم، تقف الزهراء عليك لكن لا ضارب لها ذلك اليوم.. إن في جهنم ناراً كما كان على باب فاطمة ناراً، لكن باب جهنم لا يعصر الزهراء!

إنَّ هَبَّهَا الَّذِي يُحْرِقُ يَسِيرُهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، يَكُونُ طَوْعَ أَمْرِ فَاطِمَةَ! فليست

تلك النيران كنيان أبالسة الدنيا.. ولا حطبها كالحطب الذي جُمِعَ على بابها!

سلام الله عليك يا زهراء، أُحْرِقَ بِأُبُكٍ فِي الدُّنْيَا بِالنَّارِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاكَ

كرامةً ما بعدها كرامة على باب تلك النيران.

يقول عليه السلام: لِفَاطِمَةَ عليها السلام وَقَفَّةٌ عَلَى بَابِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُتِبَ

(١) الأمايلي للصدوق ص ٤٨٦.

بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ، فَيُؤَمَّرُ بِمُحِبِّ قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ إِلَى النَّارِ.
هكذا تفعل الذنوب بالمؤمن المحب، حيث قد يستحق دخول النار لكثرة ما يرتكب من معاصي، لكن هناك عقبة أمام دخوله النار.

يقول عليه السلام: فَتَقْرَأُ فَاطِمَةُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُحِبًّا، فَتَقُولُ: إِلَهِي وَسَيِّدِي، سَمَّيْتَنِي فَاطِمَةَ، وَفَطَمْتَ بِي مَنْ تَوَلَّانِي وَتَوَلَّى ذُرِّيَّتِي مِنَ النَّارِ، وَوَعَدَكَ الْحَقُّ، وَأَنْتَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقْتَ يَا فَاطِمَةُ، إِنِّي سَمَّيْتُكَ فَاطِمَةَ، وَفَطَمْتُ بِكَ مَنْ أَحَبَّكَ وَتَوَلَّاهُ، وَأَحَبَّ ذُرِّيَّتِكَ وَتَوَلَّاهُمْ مِنَ النَّارِ، وَوَعَدِي الْحَقُّ، وَأَنَا لَا أُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنَّمَا أَمَرْتُ بِعَبْدِي هَذَا إِلَى النَّارِ لِتَشْفَعِي فِيهِ فَأُشْفَعَكَ.

الكلام لله الواحد الأحد: إِنَّمَا أَمَرْتُ.. وإنما يستفاد منها الحصر، فغاية الأمر وسببه هو أن تشفع له فاطمة عليها السلام، لماذا كلُّ هذا؟ لإبراز مكانتها وعظمتها عند الله تعالى.

وَلَيْتَبَيِّنَ لِلْمَلَائِكَةِ وَأَنْبِيَائِي وَرُسُلِي وَأَهْلِ الْمَوْقِفِ مَوْقِفِكَ مِنِّي، وَمَكَانَتِكَ عِنْدِي، فَمَنْ قَرَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنًا فَخُذِي بِيَدِهِ وَأَدْخِلِيهِ الْجَنَّةَ^(١).

إنها ظلمات الجهل نعيشها اليوم، حيث نجهل قدر فاطمة!

من أنت يا فاطمة، وقد فطم المحبون والموالون بك عن النار!

من عرف قدرك؟ ونورك من نور الله، ومكانتك يعجب لها أهل الموقف

العظيم، وفيهم جميع الأولين والآخرين، ومعهم الملائكة المقربون.

(١) علل الشرائع ج ١ ص ١٧٩.

نساؤنا كرجالنا يا زهراءؑ، يطمعون بشفاعتك وشفاعة أبيك وبعلك
وبنيك.

صلوات الله عليكم من آل بيتٍ طُهرتُم من كلِّ دَنَسٍ، طَبتم وطابت
الأرض التي فيها دُفتم.

حشرنا الله معكم، وفي زمرتكم، ورحم موتانا وموتى المؤمنين بشفاعتكم،
إنه سميعٌ مجيبٌ.

والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الخميس ٢١ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ الموافق ٤ - ٢ - ٢٠٢١ م.

٢٨. يوم يُعرفُ قدرُ فاطمة!

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، أن جابراً طَلَبَ من الإمام الباقر عليه السلام أن يحدثه حديثاً في فضل جدته الزهراء عليها السلام، لكن جابراً لا يريدُ أيَّ حديث، يريدُ حديثاً إذا حدَّث به الشيعة (فَرِحُوا بِذَلِكَ)!

الأحاديث حول الزَّهراء عليها السلام عظيمةٌ، فمنها ما يُدخل السُّرور على قلب المؤمن، ومنها ما يُدخل العَمَّ لعِظَم ما جرى عليها.

يستجيب الإمام الباقر عليه السلام، فينقل حديثاً عن أبيه عن جدته عن النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُصِبَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ، فَيَكُونُ مَنَابِرِي أَعْلَى مَنَابِرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: يَا مُحَمَّدُ اخْطُبْ.

فَأَخْطُبُ بِخُطْبَةٍ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ بِمِثْلِهَا^(١).

يُظهِرُ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ وَعِظَمَةَ حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وآله في ذلك الموقف المهيب، حيثُ يرتفعُ منبره على كل المنابر، ويخطبُ بها لم يسمع به أحدٌ من الأنبياء والرُّسل، ثم يُنصبُ لعلِّي عليه السلام منبرٌ أعلى من منابر الأوصياء، ويخطبُ بها لم يسمع به أحدٌ من الأوصياء، ثم للحسنين عليهما السلام، ويظهر منها ما ظهر من أبيهما وجدَّهما من الفضل.

ثُمَّ يَنَادِي الْمُنَادِي وَهُوَ جَبْرَائِيلُ عليه السلام: أَيْنَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ؟

(١) تفسير فرات ص ٢٩٨.

أَوَّلُ سَيِّدَةٍ يُؤْتَى عَلَى ذِكْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَةُ، سَيِّدَةُ النِّسَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، يُنَادَى بَعْدَهَا بِاسْمِ أُمِّهَا الْجَلِيلَةِ الْمَكْرَمَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْدٍ، وَالسَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَغَيْرُهُنَّ مِنَ الْكُمَّلِ.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا أَهْلَ الْجَمْعِ، لِمَنِ الْكَرَمُ الْيَوْمَ؟

سؤالٌ في يومِ القيامةِ، يعقبُ زلزلةَ الساعةِ التي قالَ عنها تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾^(١)، فَمَنْ سَيَجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ؟! مَنْ يَتَجَرَّأُ عَلَى الْخُطَابِ فِي حَضْرَةِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى؟!

إِنَّهُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ، الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ، وَهُمْ أَهْلُ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٢).

فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ [وَفَاطِمَةُ]: اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

الْكَرَمُ كَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْيَوْمُ يَوْمُ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُوقِفُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ فِيهِ لِلْحِسَابِ، فَلَا يَنْطِقُ مِنْ كُلِّ الْخَلَائِقِ فِي الْجَوَابِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ!

فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: يَا أَهْلَ الْجَمْعِ، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ الْكَرَمَ لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ!

ماذا تعني هذه العبارة العجيبة؟ الله تعالى هو ذو الجلال والإكرام ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٣)، فالكَرَمُ لله تعالى، ثم يُعْطَى هَذَا الْكَرَمَ مَنْ

(١) الحج ٢.

(٢) النبأ ٣٨.

(٣) الرحمن ٢٧.

يشاء، ولكنّه لا يُعطي إلا وفق ميزان التقوى، أسمى وأرفع ميزان ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١).

هؤلاء أعرف خلق الله تعالى به، وأطوعهم لأمره، وأتقاهم له، وقد استحقوا في ذلك اليوم أن يجعل سبحانه وتعالى (الكرم) المختصّ به لهم! فكلُّ عطاءٍ من الله تعالى في ذلك اليوم يكون بهم! وكلُّ مظاهر الجود الإلهي تظهر على يديهم! لا يُنافسهم فيه منافس، فالكريمُ الجوادُ قد (جعلَ الكرم لهم)! ثم يقول الله تعالى: يَا أَهْلَ الْجَمْعِ طَاطَبُوا الرُّءُوسَ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّ هَذِهِ فَاطِمَةُ تُسِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ!

في الجمع أنبياء الله ورسله، وفيهم المؤمنون الكُمَّل والصدّيقون والشهداء والعلماء، كلُّ هؤلاء يطاطبون رؤوسهم! إنّها فاطمة.. أوّل من يسيرُ إلى الجنة. لا تسيرُ الزّهراءُ على قدَميها، كما سارت إلى باب بيتها عندما لاذت وراءه! ليست خطواتها اليوم كخطواتها إلى المسجد لما قادوا عليها.. فاليوم يوم الكرامة الإلهية.

ليس اليوم كالأمس، تلك أيامٌ تجرّأ فيها الطغاة على إحراق بابها، واقتحام دارها، وعصرها بين الحائط والباب.

وهذا يومٌ لا تسيرُ فيه على قدَميها، بل يأتي لها جبرائيل بناقةٍ من نوق الجنة (فَتُنَاحُ بَيْنَ يَدَيْهَا فَتَرَكَبُهَا)، ويبعث الله إليها مائة ألف ملك على يمينها ومثلهم على يسارها، يحملونها على أجنحتهم حتى يُصيروها عند باب الجنة.

إِنَّ بَابَ الْجَنَّةِ أَمَلُ الْبَشَرِيَّةِ، وَالْكُمَّلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى هَذَا الْبَابِ، وَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ سَارَعَ فِي الدُّخُولِ إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَلَيْسَ سَعْيِي كُلِّ مُؤْمِنٍ هُوَ لِلْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْبَابِ وَوُلُوجِهِ؟!

لَكِنَّ الزَّهْرَاءَ لَيْسَتْ كَسَائِرِ الْخَلْقِ:

فَإِذَا صَارَتْ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ تَلْتَفَتُ!

فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا بِنْتَ حَبِيبِي، مَا التَّفَاتُكَ؟ وَقَدْ أَمَرْتُ بِكَ إِلَى جَنَّتِي؟

اللَّهُ تَعَالَى الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَسْأَلُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَكِي تُفْصِحَ عَنْ سِرِّ هَذِهِ الْإِلْتِفَاتَةِ، فَلَا يَصْدُرُ عَنْ هَوْلَاءِ الْعُظَمَاءِ فِعْلٌ بِلَا سَبَبٍ.

لَقَدْ وَصَلَتْ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ لَكِنَّهَا تَلْتَفَتُ رَاغِبَةً بِشَيْءٍ آخَرَ، لَيْسَ هُوَ الْجَنَّةُ.

فِي النَّفْسِ شَيْءٌ تُظْهِرُهُ الزَّهْرَاءُ جَوَاباً لِسُؤَالِ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ.

فَتَقُولُ: يَا رَبِّ، أَحَبَّبْتُ أَنْ يُعْرِفَ قَدْرِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ!

اللَّهُ أَكْبَرُ، مَا أَعْظَمَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَأَخْطَرَهَا، أَحَبَّبْتُ الزَّهْرَاءَ أَنْ يُعْرِفَ قَدْرَهَا، لَا حَقِيقَتَهَا، فَتِلْكَ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا خَالِقُهَا وَوَالِدُهَا وَبَعْلُهَا وَالْأُمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهَا.

وَلَكِنْ.. أَلَمْ يُعْرِفَ قَدْرَهَا بَعْدَ كُلِّ مَا جَرَى؟!

فَفِي الدُّنْيَا أَظْهَرَ النَّبِيُّ لَهَا مِنَ الْفَضْلِ مَا طَبَّقَ الْخَافِقِينَ شَهْرَةً، وَفِي الْآخِرَةِ غَضَّ الْخَلَائِقُ أَبْصَارَهُمْ تَعْظِيماً لَهَا، وَتَقَدَّمَتِ الْخَلَائِقُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، لَكِنَّهَا تُرِيدُ

أَنْ يَظْهَرَ شَيْءٌ آخَرَ مِنْ قَدْرِهَا! هَلِ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا جَرَى عَلَيْهَا؟!

هَلِ الظَّلَامَاتُ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَيْهَا هِيَ السِّرُّ فِي أَنْ تَحِينُ مِنْهَا هَذِهِ الْإِلْتِفَاتَةُ؟!

أَيَعْقَلُ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا (كَرَمَهُ) دُونَ أَنْ يَظْهَرَ هَذَا الْكَرَمُ

العظيم؟!!

فَيَقُولُ اللهُ: يَا بِنْتَ حَبِيبِي، ارْجِعِي فَاَنْظُرِي مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ لَكَ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، خُذِي بِيَدِهِ فَأَدْخِلِيهِ الْجَنَّةَ!

تستدير الزهراء بناءً لأمر الله تعالى، باب الجنة ينتظرها، والجنان تتزين لاستقبالها، ويتشرف خدامها بها، لكنها كما يقول الباقر عليه السلام:

وَالله يَا جَابِرُ إِنَّمَا ذَلِكَ الْيَوْمَ لَتَلْتَقِطُ شِيعَتَهَا وَمُحِبِّهَا كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ الْجَيِّدَ مِنَ الْحَبِّ الرَّدِيِّ!

شيعتها خلقوا من فاضل طينتها، شيعتها أحيوا أمرها في الدنيا فأخذت بيدهم إلى باب الجنة، شيعتها تبرؤوا من أعدائها فنظرت إليهم في تلك الساعة المهيبة.

فَإِذَا صَارَ شِيعَتُهَا مَعَهَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ يُلْقِي اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ أَنْ يَلْتَفِتُوا!

ليست التفاتة فاطمة إلا بإيجاز من الله تعالى، كما هي التفاتة شيعتها، فالله تعالى أراد أن يظهر قدرها، فأوحى لها بذلك، وإن لم ينص الخبر على ذلك، فإنها لا تصدر إلا عن أمره تعالى، فقالت ما قالت، وأظهر عز وجل قدرها، والآن حان وقت ظهور فضل شيعتها:

فَإِذَا التَّفَتُوا يَقُولُ اللهُ: يَا أَحِبَّائِي مَا الْتَفَاتُكُمْ وَقَدْ شَفَعْتُ فِيكُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ

حَبِيبِي؟

هؤلاء أحباب الله، شيعه الزهراء، أي منزلة عظيمة هذه؟ لقد نال هؤلاء قبساً من نور فاطمة، فبفضلها بلغوا ما بلغوا، فأرادوا أن يظهر فضلهم أيضاً:

فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ أَحْبَبْنَا أَنْ يُعْرَفَ قَدْرُنَا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ!

فَيَقُولُ اللَّهُ: يَا أَحِبَّائِي ارْجِعُوا:

١. وَاَنْظُرُوا مَنْ أَحَبَّكُمْ لِحُبِّ فَاطِمَةَ.

٢. انظُرُوا مَنْ أَطْعَمَكُمْ حُبِّ فَاطِمَةَ.

٣. انظُرُوا مَنْ كَسَاكُمْ لِحُبِّ فَاطِمَةَ.

٤. انظُرُوا مَنْ سَقَاكُمْ شَرْبَةً فِي حُبِّ فَاطِمَةَ.

٥. انظُرُوا مَنْ رَدَّ عَنْكُمْ غِيْبَةً فِي حُبِّ فَاطِمَةَ.

خُذُوا بِيَدِهِ وَأَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ!

هكذا يظهر قدرُ فاطمة، وقدرُ شيعتها، حيثُ يصيرُ أحدهم شفيعاً لمن أحبه وأحسن إليه، لحبِّ فاطمة، فحبُّها واتباعُها هو الميزان.

هنيئاً لمن ثقلت موازينه بحبِّ فاطمة عليها السلام.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَاللَّهِ لَا يَبْقَى فِي النَّاسِ إِلَّا شَاكٌ أَوْ كَافِرٌ أَوْ مُنَافِقٌ! ^(١).

تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِفَاطِمَةَ عليها السلام وشيعتها ومحبيها والمحسنين إليهم على حبِّها، فما أعظم هذه المحبة التي تُكسبُ رضا الرحمن، وما أشدَّ العذاب الذي سينال مُبغضيهها وظالميهها وسالبي حقِّها.

ههنا تجلَّت الرحمة الإلهية، وكرَّم الإله، وعلى أولئك يظهر غضبُ الله وشديد عقابه، أعاذنا الله من ذلك. والحمد لله رب العالمين ^(٢).

(١) تفسير فرات ص ٢٩٨.

(٢) الخميس ١٨ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٣ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٣٩. يومَ يَودُّ الخَلقُ.. لو كانوا فاطميين!

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي.. إذا جئتُكَ:

١. عُرَاة! حُفَاة! مُغْبَرَّةٌ مِنْ ثَرَى الْأَجْدَاثِ رُءُوسَنَا!

٢. وَشَاحِبَةٌ مِنْ تُرَابِ الْمَلَا حِيدٍ وَجُوهُنَا!

٣. وَخَاشِعَةٌ مِنْ أَفْزَاعِ الْقِيَامَةِ أَبْصَارُنَا!

٤. وَذَابِلَةٌ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ شِفَاهُنَا!

٥. وَجَائِعَةٌ لِطُولِ الْمَقَامِ بَطُونُنَا!

٦. وَبَادِيَةٌ هُنَالِكَ لِلْعُيُونِ سَوْءَاتُنَا! ...

فَلَا تُضَعِّفِ الْمَصَائِبَ عَلَيْنَا بِإِعْرَاضِ وَجْهِكَ عَنَّا! (١).

هذه فقرات تُنقل عن أمير المؤمنين عليه السلام، يُعطي فيها دروساً للعصاة، الذين قابلوا نِعَمَ الله تعالى بالكفران، وإحسانه بالإساءة، وإقباله بالإدبار.

يصفُ فيها عليه السلام حالَ العباد يومَ القيامة.. وفي كلِّ كلمةٍ منها ما تقشعُرُ له الأبدان.. ويستدعي التأملَ ملياً، سيّما من أهل التمرد والعصيان على الله تعالى.

نقفُ هنا عند كلمةٍ واحدة.. وهي أوَّلُ كلماته عليه السلام، حيث يجيء الناس يومَ القيامة (عُرَاة) كما يقول عليه السلام.

إِنَّ تَصَوُّرَ الْأَمْرِ مُرْعَبٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَأْتِيَ الْحَيُّ

(١) البلد الأمين ص ٣١٤.

المستور في الدنيا مجرداً يوم القيامة أمام الأشهاد؟!!

إنَّ الغبرة والشحوب والخضوع والذبول والجوع والعطش في ذلك اليوم ليس كما نعهده في هذه الأيام، لكن رغم ذلك لا يخشى الإنسانُ منه خشيته من ظهور سوءته وانكشافه أمام العباد!

لقد روي عن الباقر عليه السلام: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَهُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، فَيُوقَفُونَ فِي الْمَحْشَرِ حَتَّى يَعْرِقُوا عَرَقًا شَدِيدًا، وَتَشْتَدُّ أَنْفَاسُهُمْ، فَيَمْكُثُونَ فِي ذَلِكَ خَمْسِينَ عَامًا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(١).

ليس العجبُ من خفوت صوتهم وكلامهم همساً، بل العجبُ من صدور الكلام منهم وهم في ذلك الموقف المهيب!

يعلّم الله سببَ تعرُّقهم واشتداد أنفاسهم، هل هو فقدان الساتر؟ أم هيبة الاجتماع العظيم؟ أم الوقوف بين يدي الرحمان؟ أم غير ذلك؟ لكنَّ تصوُّر المشهد بنفسه يبعثُ على الاضطراب والقلق، بل على الخوف والرُّعب!

لقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا المعنى، وقد بينَ صلى الله عليه وآله أنَّ العرق يبلغ شحوم الآذان! أي أنَّ الناس تكادُ تغرقُ في عرقها ذلك اليوم!
حينها: قَالَتْ سَوْدَةُ رَوْحِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: .. يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَاسْوَأَتَاهُ! يَنْظُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟!!

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٤.

فَقَالَ: شُغِلَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(١).
 إِنَّ حَالِ النَّاسِ حِينَهَا يَمْنَعُ بَعْضُهُمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى بَعْضٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ
 مَسْحُوقًا عَلَى وَجْهِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُوْطَأُ بِالْأَقْدَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلَّبُ عَلَى شَفِيرِ النَّارِ
 حَتَّى يَفْرَغَ النَّاسُ مِنَ الْحِسَابِ، فَأَتَى لَهُمْ أَنْ يَشْتَغَلُوا بِالنَّظَرِ؟!^(٢).
 لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَفِيفَ السَّتِيرَ الْخَجُولَ يَسْتَحْيِي حَتَّى مِنْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ
 أَنْ يَكُونَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ؟!!

تَكشِفُ نِصُوصُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُوَالِيَّ لِعَلِيِّ ﷺ وَفَاطِمَةَ ﷺ
 يَكُونُ مَسْتَوْرًا، أَمْنًا حِينَ يَخَافُ النَّاسَ.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجِدُّ اللَّهُ تَعَالَى كَفَنَهُ بَعْدَ الْبَلِيِّ فَيَسْتَرِهِ بِهِ، فَقَدْ رَوَى عَنِ
 الصَّادِقِ ﷺ: بَلْ يُحْشَرُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ.. إِنَّ الَّذِي أَحْيَا أَبْدَانَهُمْ جَدَّدَ أَكْفَانَهُمْ^(٣).
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنُّورِ، فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُسْتَرُ عَوْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ،
 وَتَبْدُو عَوْرَةُ الْكَافِرِينَ.

وَأَنَّ الَّذِي يَسْتَرُهُمْ: نُورٌ يَتَلَأُلُ لَا يُبْصَرُونَ أَجْسَادَهُمْ مِنَ النُّورِ^(٤).
 إِنَّ الْمِيزَانَ فِي ذَلِكَ هُوَ وِلَايَةُ عَلِيِّ ﷺ، فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: يُحْشَرُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً إِلَّا شِيعَةَ عَلِيٍّ^(٥).

(١) مجموعة ورام ج ١ ص ٢٩٤.

(٢) عدة الداعي ص ١٧٥.

(٣) الإحتجاج على أهل اللجاج للطبرسي ج ٢ ص ٣٥٠.

(٤) جامع الأخبار ص ١٧٥.

(٥) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ٧٧.

مَسْتُورَةٌ عَوْرَاتِهِمْ، قَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ الشَّدَائِدُ وَسَهَلَتْ لَهُمُ الْمَوَارِدُ، يَخَافُ النَّاسُ
وَهُمْ لَا يَخَافُونَ، وَيَظْمَأُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَظْمَأُونَ^(١).

حينما يُوقَفُ الناس يوم القيامة يكون شيعتها عليها السلام قد جلسوا على موائد من
جوهر، على أعمدة من نور، يأكلون منها والناس في الحساب.

أفلا يودُّ الخلائق لو كانوا فاطميين؟!

إنَّ في مُشايعتها نِجاةً للعبد من أن يجوع ويعرى يوم القيامة.. ونِجاةً من
الفرع والخوف يوم الحساب.. وفوزاً بكرامة الله ورحمته.
ولكن..

هل يُكتفى في ولايتها بقلقة اللسان؟

يقول الصادق عليه السلام: مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ، كُونُوا لَنَا زِينًا، وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا،
قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، احْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ وَكُفُّوا عَنِ الْفُضُولِ وَقَبِيحِ الْقَوْلِ^(٢).

ينبغي على مَنْ يريدُ الاعتصام بفاطمة يوم القيامة أن يكون لها زِينًا، وينبغي
على مَنْ يريدُ أن يُنسبَ إليها يوم القيامة ويكون آمنًا مستورًا أن لا يكون لها شينًا!

هل ترضى عَمَّن لا ينطق لسانه إلا بالكذب والقبيح والفضول؟!

هل يجبُ الفاطميُّ فاطمة إلى الناس أم يبغضهم بها؟! هل يجزُّ إليها وإلى
شيعتها كلُّ مودَّةٍ ويدفع عنها وعنهم كلِّ قبيحٍ أم يخالف ذلك؟!

ألا ينبغي للموالي لها أن يقفَ وقفةً صادقةً بين يدي ربِّه يُصلحُ بها أمره

(١) تفسير فرات الكوفي ص ٤٤٦.

(٢) الأمالي للصدوق ص ٤٠٠.

كي يثبت على ولايتها؟!!

ألا يخشى العاصي من أن يودي به عصيانه إلى الانحراف عن مُشايعتها
ومُبايعتها فيكون مستودعَ الإيِّان؟!!

ليس لأعدائها وأعداء وُلدها وأعداء شيعتها من خلاقٍ ولا نصيبٍ يوم
القيامة، فإنَّهم كانوا بأعظم آيات الله من الكافرين.

لكنَّ مَنْ آمَنَ بأعظم آيات الله: بمحمدٍ وعليٍّ وفاطمة، وجبَّ عليه أن يمثَّل
أمرهم وأمر بارئهم ويطيعه، فينتهي عمَّا نهى الله، ليكون يوم القيامة من الفاطميين
الذين يسكنون دوراً بيضاء أعدَّها لهم ربُّهم، بجوار فاطمة وأبيها، وبعلمها وبنيتها
عليها السلام.

قال عليٌّ عليه السلام في نهجه: **أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمُضْمَرَ وَغَدَا السَّبَّاقُ!**

وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ، أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِّيَّةٍ؟! أَلَا عَامِلٌ
لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُرْسِهِ؟! (١).

ها همُّ الفاطميون اليوم سباقون في العودِ إلى الله، والتوبة إليه، واتِّباع
أوليائه. همُّ الصادقون في قولهم، المخلصون في عملهم، المحسنون إلى إخوانهم.

هم أهل الشفقة والمحبة والمودة، يرحمون عباد الله فيرحمهم الله برحمته.

جعلنا الله منهم، وثبتنا على ولاية فاطمة وأبيها، وبعلمها وبنيتها، وعجَّل فرج

المنتقم لها. والحمد لله رب العالمين (٢).

(١) نهج البلاغة ص ٧١.

(٢) الخميس الرابع عشر من ربيع الثاني ١٤٤٤ هـ، الموافق ١٠ - ١١ - ٢٠٢٢ م.

٤٠. الانتقام.. لفاطمة!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد روي عن النبي ﷺ حديث يستغربه كثير من الناس، قال فيه ﷺ: لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته! (١).

ولئن أتصف الكُمَّل من المؤمنين بذلك، فإننا لا نلاحظ أن جميع أهل الإيمان قد صاروا على هذه الشاكلة، فهل يُنفى الإيمان عنهم؟!

لقد روي عن النبي ﷺ حديث آخر يُبين صفة تكشف وجهاً آخر لهذا الخبر، حيث يصير المؤمن فيه مُحباً له ﷺ أكثر من نفسه، ولعرة النبي ﷺ أكثر من عترته.. ذاك حيث يُخاطب ﷺ قوماً فيقول لهم:

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَطَا عَلَيَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فَتَالَ مِنْهُ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ، كَانَ الْعَفْوُ عَنْهُ أَفْضَلَ؟ أَمْ السُّطْوَةُ عَلَيْهِ وَالْإِنْتِقَامُ مِنْهُ؟
قَالُوا: بَلِ الْعَفْوُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ.

إن النبي ﷺ قد حثَّ الناس على العفو، وفضَّله على الانتقام، فصار العفو لمن يقدر عليه أفضل وأكمل من الانتقام، لكنَّ هذه القاعدة لا تسري إذا ما كانت الأذية واقعةً على النبي ﷺ، فإنَّ العفو لا يظُلُّ راجحاً، بل يكون الانتقام أفضل. قال النبي ﷺ لهم:

(١) الأماي للصديق ص ٣٣٥.

أَفَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَنِي عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِسُوءٍ، وَتَنَاوَلَنِي بِيَدِهِ كَانَ
الْإِنْتِقَامُ مِنْهُ وَالسَّطْوَةُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ أَمْ الْعَفْوُ عَنْهُ؟
قَالُوا: بَلِ الْإِنْتِقَامُ مِنْهُ أَفْضَلُ.

قَالَ: فَأَنَا إِذْنٌ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ^(١).

يُؤَسِّسُ هَذَا الْحَدِيثُ لِقَاعِدَةٍ تَفِيدُ أَنَّ الْعَفْوَ عَمَّنْ يَتَنَاوَلُ النَّبِيَّ ﷺ بِسُوءٍ
قَوْلًا أَوْ فِعْلًا هُوَ أَمْرٌ مَرْجُوحٌ، وَأَنَّ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ هُوَ الرَّاجِحُ، وَأَنَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ عَنِ
حَقِّهِ وَيَعْفُو عَنْهُ وَلَا يَتَنَاوَلُ عَنِ حَقِّ النَّبِيِّ وَلَا يَعْفُو عَنْهُ هُوَ مُحِبٌّ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرَ
مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ.

وَكَذَا مَنْ عَفَا عَنْ ظَلَمٍ أَصَابَهُ أَوْ أَصَابَ عِتْرَتَهُ، وَلَمْ يَعْفُ عَنِ ظَلَمٍ أَصَابَ
الْعِتْرَةَ الطَّاهِرَةَ، فَإِنَّهُ أَكْثَرُ حُبًّا لَهُمْ مِنْ عِتْرَتِهِ. وَهَكَذَا يَتَسَامَى الْعَبْدُ فِي مَرَاتِبِ
الْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ الْأَطْهَارِ.

وَإِذَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِعِتْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ خُصُوصِيَّةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، تَجْعَلُ
الْعَفْوَ عَنِ ظَالِمِيهِمْ قَبِيحًا، لَمْ يَكُنْ دُعَاءُ النَّبِيِّ عَلَى هَؤُلَاءِ بَدْعًا مِنَ الْقَوْلِ، وَقَدْ أَكْثَرَ
مِنْ دُعَائِهِ عَلَى ظَالِمِي ابْنَتِهِ الزَّهْرَاءِ عَاطِلِيًّا، فَقَالَ تَارَةً:

اللَّهُمَّ الْعَنْ مَنْ ظَلَمَهَا، وَعَاقِبْ مَنْ غَضَبَهَا، وَذَلِّلْ مَنْ أَدْلَمَهَا، وَخَلِّدْ فِي نَارِكَ
مَنْ ضَرَبَ جَنْبَهَا حَتَّى الْقَتْلِ وَلَدَهَا!^(٢)

فَخَرَجَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِلَعْنِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ، ثُمَّ اسْتَحَقُّوا أَلِيمَ

(١) الأماي للطوسي ص ٤١٦.

(٢) الأماي للصدوق ص ١١٤.

عقابه لسوء فعاهم.

لقد قدّم النبي ﷺ الشكوى لربه على ظالمي بضعته، وقد قال لها قبل وقوع الظلم: مَنْ ظَلَمَكَ فَقَدْ ظَلَمَنِي، لِأَنَّكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَأَنْتِ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَرُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: إِلَى اللَّهِ أَشْكُو ظَالِمِيكَ مِنْ أُمَّتِي^(١).

ثم يصيرُ النبي خصباً لهؤلاء يوم القيامة، فقد روي عنه ﷺ أنه قال لها ﷺ: والذي بعثني بالحق، لأقومنَّ بخصومة أعدائك، وليندمنَّ قومٌ ابتزوا حَقَّكَ، وقطعوا مودَّتَكَ، وكذبوا عليّ^(٢).

فإن قال قائلُ:

إنَّ هذا يتنافى مع عظمة النبي ﷺ، وقد وصفه تعالى بأرفع الأوصاف فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، فهل ينسجمُ الانتقام مع الخُلُقِ العظيم؟ إنَّ عظمة النبي ﷺ لا تتناسب مع خصومته لهؤلاء، ودعائه عليهم، فما ينسبه له الشيعة هو كذبٌ وافتراءٌ عليه ﷺ، يحاولون به تبرير عداوتهم لأعداء الزهراء ﷺ.

قلنا:

لقد غابَ عن القائل أنَّ الانتقام بالحقِّ لأهل الحقِّ حَقٌّ راجحٌ، قد وقعَ من إله محمدٍ ﷺ، فكيف لا يقع منه صلوات ربي وسلامه عليه؟! فلماذا يُنهي

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٤٩٨.

(٢) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٩٣.

(٣) القلم ٤.

الشيعة عنه؟!

لقد وَصَفَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُ ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(١)، وَقَدْ انْتَقَمَ مِنْ أَقْوَامٍ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَهَؤُلَاءِ قَوْمُ فِرْعَوْنَ قَدْ قَالَ عَنْهُمْ: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾^(٢).

بَلْ كَانَ الْإِنْتِقَامُ الْإِلَهِيُّ سَيِّئاً شَمَلَ الْمَجْرِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِرَسُولِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

لَقَدْ أَبْكَتْ مُصِيبَةُ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ الْكَائِنَاتِ لَيْلَةَ وَفَاتِهِ بِكَاءٍ عَجِيباً، حَتَّى هَمَلَتْ عَيْنَاهُ مِثْلَ الْمَطَرِ! وَقَدْ ضَمَّ الزَّهْرَاءُ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَقَالَ: فِدَاكِ أَبُوكِ يَا فَاطِمَةُ! فَعَلَا صَوْتَهَا بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ ضَمَّهَا إِلَيْهِ وَقَالَ:

أَمَّا وَاللَّهِ لَيَسْتَقِمَنَّ اللَّهُ رَبِّي، وَلَيَغْضَبَنَّ لِعْضَبِكَ، فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِلظَّالِمِينَ.

فَإِذَا لَمْ يُسَامَحِ الْمُؤْمِنُ ظَالِمِي آلِ مُحَمَّدٍ، وَرَأَى أَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْإِنْتِقَامَ، فَلَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى ذَلِكَ.

وَالْمُنْتَقِمُ حَقًّا هُوَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَمَّا وَاللَّهِ لَيَسْتَقِمَنَّ اللَّهُ رَبِّي)، فَلَيْسَ لِلْمُخَالَفِ أَنْ يُوَازِحَ الشَّيْعَةَ عَلَى رَغْبَتِهِمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْ ظَالِمِي الزَّهْرَاءِ، لِأَنَّهُمْ تَبِعُوا النَّبِيَّ ﷺ

(١) آل عمران ٤.

(٢) الأعراف ١٣٦.

(٣) الروم ٤٧.

في ذلك.

لقد أبكت مصيبتها النبي ﷺ بكاءً عجبياً لا يمكن تصوُّره، حتى قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام:

فَوَ اللَّهُ لَقَدْ حَسِبْتُ بَضْعَةَ مِنِّي قَدْ ذَهَبَتْ لِبُكَائِهِ، حَتَّى هَمَلْتُ عَيْنَاهُ مِثْلَ الْمَطْرِ، حَتَّى بَلَّتْ دُمُوعُهُ حَيْثَهُ وَمِلاءَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَلْتَرِمُ فَاطِمَةَ لَا يُفَارِقُهَا^(١).
لا بدَّ أن يتناسب العقابُ مع الجُرم، فليس جُرمُ فرعونَ عندما لحق موسى عليه السلام وقومه فانتقم الله منهم وأغرقهم كجُرمٍ من آذى محمداً صلى الله عليه وآله في بضعته.
إِنَّ الْإِنْتِقَامَ الْحَقَّ سِيَأْتِي يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾^(٢).

هناك، في ذلك اليوم العجيب، يبطشُ الله تعالى بمن استحقوا الانتقام، وأولهم من بين كلِّ البشر ظالمي الزهراء عليها السلام.

إِنَّ الْبَطْشَ هُوَ: التناول عند الصولة. والأخذ الشديد في كل شيء^(٣).
فالبطش بنفسه هو الأخذ الشديد، لكنَّ الله تعالى يصفُ بطشه الشديد بأنَّه شديد! فيقول تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾^(٤).

فهو بَطْشٌ ليس كأَيِّ بَطْشٍ، بَطْشٌ شديدٌ لا يُمكن الإحاطة بحدوده، لكنَّ

(١) طرف من الأنباء والمناقب ص ١٩١.

(٢) الدُّخان ١٦.

(٣) العين ج ٦ ص ٢٤٠.

(٤) البروج ١٢.

هذا البطش على مراتب، فمنه البطش الشديد، وأما أعظمه فهو ﴿البَطْشَةُ الْكُبْرَى﴾.

فما هو مصير مَنْ استحقَّ بطش الله الشديد، بل بطشة الله الكبرى، وكان قد ارتكب أعظم جريمة في تاريخ البشرية وحاضرها ومستقبلها؟! كيف بمن أسس أساس الظلم والجور على آل محمد؟! كيف بمن أبكى النبي ﷺ قبل وفاته، ثم أبكى آل محمد أجمعين وشيعتهم إلى يوم الدين؟! لقد استحقَّ هؤلاء إنتقاماً رهيباً في الدنيا، وآخر في الآخرة:

أما إنتقام الدنيا، فعند خروج الإمام المهدي ﷺ، واستخراج جثتيهما، حيث: يَأْمُرُ بِهِمَا فَيَقْتَصُّ مِنْهُمَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَظَالِمٍ مَنْ حَضَرَ، ثُمَّ يَصْلِبُهُمَا عَلَى الشَّجَرَةِ، وَيَأْمُرُ نَاراً تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ فَتُحْرِقُهُمَا وَالشَّجَرَةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ رِيحاً فَتَنْسِفُهُمَا فِي الْيَمِّ نَسْفًا.

ثُمَّ يُرَدَّانِ كِي يَقْتَصَّ وَيَنْتَقِمَ مِنْهُمَا النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَتْرَةُ الطَّاهِرَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ الْكَمَلُ: حَتَّىٰ إِنَّهُمَا لَيَقْتُلَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ الْفَقْتَلَةَ، وَيُرَدَّانِ إِلَىٰ مَا شَاءَ اللَّهُ^(١). أما يوم القيامة، فإنَّ أول من يدخل النار: إبليسُ وَرَجُلٌ عَنِ يَمِينِهِ وَرَجُلٌ عَنِ يَسَارِهِ.

وإنَّ أشدَّ الناس عذاباً ذلك اليوم: اثنان من هذه الأمة، أحدهما شرُّهما، في تأبوتٍ من قوارييرٍ تحتَّ الفلقِ في بحارٍ من نارٍ^(٢).

(١) مختصر البصائر ص ٤٥٠.

(٢) ثواب الأعمال ص ٢١٥.

لهذا يؤمن الشيعة بالانتقام، إنتقامٌ إلهيٌّ لا دافع له، فكانوا بهذا ممن أحبَّ النبيَّ وآله حقاً وصدقاً، أمّا من يزعم أنه يحبُّ النبيَّ ﷺ وهو لا يتبرأ ممن آذاه في حياته وبعد وفاته، بل يوالي ويحبُّ من اعتدى على بضعته، فإنه كذوبٌ في دعواه، فإنَّ ميزانَ محبَّة النبي ﷺ أتباعه، والبراءة من أعدائه وأعداء عترته، وتفضيل الإنتقام منهم على العفو عنهم.

تلك إرادة السَّاء، لا يحدُّ عنها المؤمنُ دهره، ثبتنا الله عليها، وحشرنا مع الزَّهراء وأبيها وبعلمها وبنيتها، وعَجَّلَ في فرَج الآخذ بثأرها، إنه سميعٌ مجيبٌ. والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٨ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٤١. الله يعزي الزهراء .. لما جرى في عاشوراء!!

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما تحين ساعة الكرامة، لسيدة النساء في يوم القيامة، ينادي مُنادٍ من بطنان العرش:

يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ بِنْتُ حَبِيبِ اللَّهِ إِلَى قَصْرِهَا! (١).
لا يترك النبي ﷺ الأمر مُبْهِمًا، فَيَسْمِيهَا بِشَخْصِهَا وَيَقُولُ ﷺ: فَاطِمَةُ
عَلَيْهَا السَّلَامُ ابْنَتِي. حينها تمرّ ومعها سبعون ألف حوراء، الى أن تبلغ باب قصرها، وههنا
يحصل ما يُفاجئ المتأمل في أحداث يوم القيامة، فهذه الزهراء التي أكرمها الله
تعالى بأن أمر الخلائق بغض الأبصار لأجلها، ترى ما يسوؤها عندما تبلغ باب
قصرها! فعن النبي ﷺ:

فَإِذَا بَلَغَتْ إِلَى بَابِ قَصْرِهَا وَجَدَتْ الْحَسَنَ قَائِمًا، وَالْحُسَيْنَ نَائِمًا مَقْطُوعَ
الرَّأْسِ!

أمرٌ يُثير الدهشة والغرابة! هذا محل النعيم في الآخرة، فلماذا ترى الزهراء
ابنها الحسين مقطوع الرأس؟!

كيف تنهت ذلك اليوم في قصرها إذا كان الحسين بلا رأسٍ على بابها؟!
وأين الكرامة من الله تعالى في ذلك إذا؟ ألا يحجب المحب كل سوءٍ عمّن
يحبّه؟ فلماذا لم يحجب الله تعالى ذلك عنها؟!

(١) تفسير فرات ص ٢٦٩.

ما يلبث أن يأتيها النداء من عند الله تعالى، فيدفع لنا استغرابنا: إني إثمًا
أرئيتك ما فعلت به أمة أبيك، إني ادخرت لك عندي تعزية بمصيبتك فيه.

التعزية هي ما يفعله أحد ليصبر أحداً على ما رزى به وفقده، والله تعالى
ينادي الزهراء عليها السلام في ذلك اليوم ليبيّن أنه ما أراد لها الأذى، وهو الذي يرضى
لرضاها ويغضب لغضبها، بل إن رؤيتها للحسين عليه السلام مقطوع الرأس في ذلك
اليوم مقدمة لمزيد كرامة من الله تعالى لها، وهذا صوت النداء من الله تعالى يكشف
ذلك: وإني جعلت تعزيتك اليوم أني لا أنظر في محاسبة العباد حتى:

١. تدخل الجنة أنت.

٢. وذريتك.

٣. وشيعتك.

٤. ومن والاكم [أو لاكم] معروفاً ممن [بمن] ليس هو من شيعتك قبل أن
أنظر في محاسبة العباد! ^(١).

ليست تعزية الإله الغني العظيم القدير كتعزية من دونه من خلقه!

لن تُنصب الموازين التي قال عنها تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ﴾ ^(٢)، ولن ينظر الله في أعمال العباد ليحاسبهم شديداً أو يسيراً، حتى
يكتمل دخول أفواج من الناس للجنة: الزهراء سيّدة النساء، يتبعها ذريتها
وشيعتها الذين اتبعوا أباهم وبعلمها وبنيتها والأئمة المعصومين جميعاً.

(١) تفسير فرات ص ٢٦٩.

(٢) الأنبياء ٤٧.

ثم يلحق بهؤلاء من أولاهم معروفاً ولم يكن منهم!
أي كرامةٍ وتعزيةٍ هذه؟! في يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١)، يفرُّ المرء فيه من
أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبه وبنيه، لكنَّ من كان للزهراء موالياً، ولها محباً، كان
من الآمنين الذين ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾^(٢).

أيكتفى في يوم الجزاء وفي عزاء الله لها بذلك؟! وهل تنسى الزهراء من قتل
ولدها الشهيد؟! أتدخل الجنة قبل أن يعاقب هؤلاء؟!!

يكشف لنا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام حديثاً آخر يسبق هذه الواقعة، قبل
أن تصل الزهراء الى باب قصرها، وقبل أن تُقبل الى الجنة، وبعد أن يغص الخلق
أبصارهم وينكسوا رؤوسهم: تَقِفُ مَوْقِعًا شَرِيفًا مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَنْزِلُ عَنْ
نَجِيهَا، فَتَأْخُذُ قَمِيصَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام بِيَدِهَا مُضْمَخًا بِدَمِهِ، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ
هَذَا قَمِيصٌ وَلَدِي، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا صُنِعَ بِهِ!

تقف الزهراء التي يرضى الله لرضاها في موقفٍ (شريفٍ) وهي تحمل هذا
القميص، ولا تطلب عقاباً محمداً لهؤلاء، بل تشتكي الى الله تعالى.

لا تذكر ما جرى على ولدها: يَا رَبِّ.. قَدْ عَلِمْتَ مَا صُنِعَ بِهِ!

ماذا صنِعَ به يا زهراء؟! هل ستقيمين حينها مأمماً يذكُر فيه ما صنِعَ به؟! أم
أنَّ الخلائق كلهم سيرون ذلك رأي العين ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

(١) المزمّل ١٧.

(٢) الأنبياء ١٠٣.

حَدِيدٌ ﴿١﴾؟!؟!

أم أن الموقف الشريف هذا لا يُناسب ذكر مصيبتَه فتُذكر في محلٍّ آخر؟!
هذا ما لا سبيل لنا لمعرفته.. لكن ما نعرفه هو أن الله تعالى يناديها: يَا فَاطِمَةُ
لَكَ عِنْدِي الرَّضَا!

هناك التعزية، وهنا الرضا، وهل رضاه أمرٌ جديد مع هذه الأسرة
الطاهرة؟!؟!

لقد سبق أن قال الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج الى العراق: رَضِيَ اللهُ
رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصَبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَيُوفِينَا أَجُورَ الصَّابِرِينَ^(٢).

يَعِدُّ اللهُ تَعَالَى فَاطِمَةَ بِالرِّضَا، فَتَقُولُ عليها السلام: يَا رَبِّ أَنْتَصِرُ لِي مِنْ قَاتِلِهِ.

فما حال من ينتصرُ اللهُ تَعَالَى لَهُ؟! وما حال من ينتصرُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ؟!؟!

فَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عُنُقًا مِنَ النَّارِ، فَتَخْرُجُ مِنْ جَهَنَّمَ، فَتَلْتَقِطُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ
عَلِيِّ عليه السلام كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ، ثُمَّ يَعُودُ الْعُنُقُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيَعَذَّبُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ
الْعَذَابِ.

إِنَّ لِكُلِّ مَعْصِيَةٍ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَعَذَّبُونَ (بأنواع
العذاب) المختلفة، وَلَا تَنْتَظِرُهُمُ النَّارُ أَنْ يَدْخُلُوهَا، بَلْ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنْهَا إِلَى
خَارِجِهَا وَيَلْتَقِطُهُمْ وَيَأْتِي بِهِمْ إِلَيْهَا! فَهَؤُلَاءِ مِمَّنْ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَيْهِمْ لِقَتْلِهِمْ
ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ، وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

(١) ق ٢٢.

(٢) نزهة الناظر ص ٨٥.

بعد هذا الموقف الشريف، تَرَكَبُ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ نَجِيبَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَمَعَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُشِيعُونَ لَهَا، وَذُرِّيَّتُهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَأَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ النَّاسِ عَنِ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا^(١).

يَجْتَمِعُ بهذا أمران: العقاب على الأعداء، والإكرام للأولياء.

الحديث الثاني يُبَيِّنُ انتصار الله تعالى للزهراء وعذاب قاتلي ولدها الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، والحديث الأول يُبَيِّنُ تعزية الله تعالى لها، حين يُدْخِلُ الى الجنة ذرِّيَّتَهَا وَمَحْبِبَهَا وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ.

ولا يزال الباب مفتوحاً في هذه الأيام للانضمام الى كلا الصنفين:

فمَنْ يَنْضَمُ الى شيعتها، ويحي أمرها وأمر قرّة عينها الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

ومنافقٌ يرضى بأفعال قتلة الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فيكون معهم.

وَمُدْبَذِبٌ بَيْنَ هَوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ، لا يُدْرِي كيف تُخْتَمُ حياته!

اللهم اجعلنا من شيعتهم، وادفع عَنَّا أذى أعدائهم، وعظّم لنا أجورنا

بمصائبهم، واحشرنا معهم قبل أن تنظر في محاسبة العباد.

وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) الأماي للمفيد ص ١٣٠.

(٢) الخميس ٣ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٢-٨-٢٠٢١ م.

الفصل الخامس: عظيمات التاريخ

٤٢. خديجة.. الأم المحسودة!

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَدِيجَةَ، وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ^(١).

كانوا ثلاثة: محمدٌ وعليٌّ وخديجة، فجعلهم الله تعالى في آياته: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ * أولئك المقربون^(٢)، فكان: المقربون آل محمد ﷺ.

ومصدق هذه الآية: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةُ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَذُرِّيَّاتُهُمْ تَلْحَقُ بِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣).

١. محمدٌ، نورُ الله تعالى، وأفضل خلقه وأحبهم إليه، من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

٢. وعليٌّ، وليُّ الله، ونفسُ محمد، وصنوه وأفضل الخلق بعده.

٣. وخديجة، ثالثة هذين العظيمين!

فمن تكون هذه السيِّدة الجليلة؟ حتى رُزقت هذه الكرامة، وكانت أول من أسلم مع أعظم مخلوقات الله؟! ومن تكون حتى نزلت فيها آية ﴿أُولَئِكَ

(١) نهج البلاغة ص ٣٠١.

(٢) الواقعة ١٠-١١.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٤١٢ عن الإمام الصادق عليه السلام.

المقربون؟! حيث لا قرب فوق قربهم، ولا يدانيهم أحد؟!!

ثم ما مقدار عظمتها وقد جعل الله تعالى قرّة عين الرسول منها؟!!

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١)، فطلب النبي ﷺ من الله تعالى أمرين:

أولهما: أن يهبه قرّة عين، فكان: الحسن والحسين.

وثانيهما: أن يهبه الإمامة، فكان: علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكن النبي أراد قرّة عين من سبيل خاص حين قال ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَذُرِّيَّاتِنَا﴾، فكانت ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾: خديجة، وكانت ﴿ذُرِّيَّاتِنَا﴾: فاطمة، كما

فسرها النبي ﷺ نفسه^(٢)، وكانت هذه الآية في آل محمد أيضاً، كما عن الصادق

عليه السلام: نَحْنُ هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ^(٣).

كانت خديجة السبّاقة في الإسلام، فجعلها الله من المقربين، وبارك بها

فجعل ذرية النبي ﷺ وقرّة عينه منها لا من سواها، وأبى ذرية تلك.

قال عنها النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَارَكَ فِي الْوَلَدِ الْوَدُودِ^(٤).

وكان يغضب كلما ذكرت بسوء، سيّما إذا ما انتقصت منها الحميراء، ويكثر

من الثناء عليها أمامها فيقول: مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا:

(١) الفرقان ٧٤.

(٢) تفسير فوات الكوفي ص ٢٩٥.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١١٧.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٤٠٥.

١. صَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ .

٢. وَوَأَسْتَنِي بِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ .

٣. وَرَزَقَنِي اللَّهُ الْوَلَدَ مِنْهَا وَلَمْ يَرْزُقْنِي مِنْ غَيْرِهَا^(١) .

فَبَلَّغَتْ بِهَا طَهَارَتَهَا وَأَفْعَالَهَا أَنْ صَارَتْ وَاحِدَةً مِنْ أَفْضَلِ نِسَاءِ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةِ، كَمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ^(٢) .

ثُمَّ أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا نُورَ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ، وَجَعَلَ أَفْضَلَ نِسَاءِ الدُّنْيَا أُنَيْسَةً لَهَا حَتَّى قَالَتْ: إِنَّ الْجَنِينَ الَّذِي فِي بَطْنِي يَكَلِّمُنِي وَأَكَلُّمُهُ، وَلِي بِهِ أَنْسٌ فِي حَالِ وَحْدَتِي^(٣) .

وَكَلَّمَا كَانَتْ تَعْتَمُّ عِنْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ، وَتَحْزَنُ وَتَحْذَرُ عَلَيْهِ ﷺ: كَانَتْ فَاطِمَةُ تُحَدِّثُهَا مِنْ بَطْنِهَا، وَتُصَبِّرُهَا^(٤) .

هِيَ مَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ تَعْجُزُ كُلَّ نِسَاءِ الدُّنْيَا عَنْ بُلُوغِ شَأْنِهَا، بَلْ عَنْ إِدْرَاكِ فَضْلِهَا، وَكَذَا الرِّجَالِ، فَقَدْ تَفَوَّقَتْ بِإِيْمَانِهَا وَعَمَلِهَا وَنَصْرَتِهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِخْلَاصِهَا عَلَى أَعْظَمِ رِجَالِ التَّارِيخِ وَنِسَائِهِ، وَتَسَامَتِ فِي عَلِيَاءِ الْمَجْدِ، وَبَلَغَتْ مِنَ الْمَعَالِي أَكْمَلَهَا وَمِنَ الْكِمَالِ أَشْرَفَهُ .

(١) الإفصاح في الإمامة ص ٢١٧ .

(٢) الخصال ج ١ ص ٢٠٦ .

(٣) عيون المعجزات ص ٥٩ .

(٤) دلائل الإمامة ص ٧٧ .

ولكن.. للكمال والرِّفعةِ ثَمَنُهُ، وكلِّمَا حازَ المؤمنُ مزيدَ فضلٍ وعظيمَ منزلةٍ تكاثَرَ عليه الحُسَّادُ، وكان مِن أكثرِ الناسِ حسداً لخديجةِ امرأةٍ لم تُدرِكها!
إنَّها عائشة!

يروى مسلم في صحيحه عن عائشة أنها قالت: ما غرَّتْ على نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا!^(١).

لقد كان رسولُ الله ﷺ يكثر من ذكر خديجةِ عليها السلام ومن الشناءِ عليها، فكانت عائشة تتألم من ذلك وتغيِّرُ منها وتحسدها، حتى أنَّها كانت تتعمدُ إغصابَ رسولِ الله ﷺ بذكر خديجةِ والانتقاصِ منها، فتكمل قولها في صحيح مسلم:
فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا!^(٢).

فكان حُبُّ النَّبِيِّ لخديجةِ رِزْقاً من الله تعالى ساقه إليه، فأشعلَ في قلب هذه المرأةِ غيظاً وحنقاً وحسداً وبُغضاً وكرهية، ظهرت في حياته أولاً بالانتقاصِ منها أمامه ﷺ وإغصابه لذلك، فكانت تقول له ﷺ: كأن ليس في الأرض امرأةٌ إلا خديجة!^(٣).

ثم صارت تُغضبُ الزهراء عليها السلام بقولها لها: والله يا بنتَ خَدِيجَةَ! مَا تَرَيْنِ إِلَّا أَنَّ لَأُمَّكِ عَلَيْنَا فَضْلاً! وَأَيُّ فَضْلٍ كَانَ لَهَا عَلَيْنَا؟ مَا هِيَ إِلَّا كَبَعْضِنَا!^(٤).

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤.

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤.

(٣) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام ج ٣ ص ١٨.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٤٠٥.

مع معرفتها بمنزلتها عليها السلام عند النبي صلى الله عليه وآله وفضلها وكرامتها عند الله، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

كَانَتْ عَائِشَةُ تَمْتُّ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَتَشْنُوهَا شَنَّانَ الضَّرَائِرِ، وَكَانَتْ تَعْرِفُ مَكَانَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَيَثْقُلُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَتَعْدَى مَقْتَهَا إِلَى ابْنَتِهَا فَاطِمَةَ فَتَمُقَّتُنِي وَتَمُقَّتُ فَاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ^(١).

قال ذلك عندما سئل عن سبب مظاهرة عائشة عليه وخروجها لحربه، فذكر أسباباً (لحقدتها عليه) و(حسدها إياه) وكان منها مقتها لخديجة!

كان هذا أول ما ظهر من الحسد والغيرة، إغضاب النبي صلى الله عليه وآله والبضعة عليها السلام، ثم بلغ حرب الوصي عليه السلام! فصارت المصداق الأتم للحديثين الشريفين:

١. غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ! كما في النهج الشريف^(٢).

٢. الْحَسَدُ هُوَ أَصْلُ الْكُفْرِ! كما عن الباقر عليه السلام^(٣).

فاجتمع فيها الغيرة والحسد لأفضل مخلوقات الله معاً، فأَيُّ امرأةٍ يؤدي بها حسدها لخديجة إلى إغضاب رسول الله؟! فأغضبت الله تعالى، ثم أغضبت البضعة، ثم حاربت الوصي، ومقتتهم جميعاً، واشتركت معها ببعض ذلك صاحبها حفصة، بينما كان أبواهما يؤسسان أساس الظلم والجور على آل محمد، وهم من أوجب الله تعالى برهم.

(١) الجمل للمفيد ص ٤١١.

(٢) نهج البلاغة ص ٤٩١.

(٣) الكافي ج ٥ ص ٥٠٥.

وَجَعَلَ اللهُ خَدِيجَةَ أُمَّاً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْجَبَ عَلَى النَّاسِ بَرَّهَا، لَكِنَّ الْأُمَّةَ عَقَّتْ أُمَّهَا خَدِيجَةَ! وَكَانَ أَصْعَبُ هَذَا الْعُقُوقَ بَعْدَ وَفَاتِهَا، عِنْدَمَا عَقَّتْهَا الْأُمَّةُ فِي أَوْلَادِهَا.. بَظَلَمِ الزَّهْرَاءِ وَسَمِّ الْحَسَنِ وَقَتْلِ الْحُسَيْنِ!

عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنَّ الْكِبَائِرَ سَبْعٌ، فِينَا أَنْزَلَتْ وَمِنَّا اسْتَحَلَّتْ..

وَأَمَّا عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾:

١. فَعَقُّوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ.

٢. وَعَقُّوا أُمَّهُمُ خَدِيجَةَ فِي ذُرِّيَّتِهَا! ^(١).

ليس العقوق للرسول فقط، بل عقوق لسيدة في منتهى الكرامة والمنزلة الشريفة.

المرء يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُنْكَوسَةَ مَا حَفِظَتْ وَوَلَدَ الرَّسُولِ وَلَا وَلَدَ خَدِيجَةَ! فَظَلَمُوا الْبِضْعَةَ الزَّهْرَاءِ وَهِيَ ذَرِيَّةُ خَدِيجَةَ وَالرَّسُولِ، ثُمَّ تَعَاقَبُوا عَلَى ظَلَمِ أَوْلَادِهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَكَانَ الْعُقُوقُ مُضَاعَفًا.

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ خَدِيجَةَ عَلَى تِلْكَ الْمَثَابَةِ مِنَ الْعَظَمَةِ، مَا كَانَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ: أَنْشُدْكُمْ اللهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدَّتِي خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أَوَّلُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِسْلَامًا ^(٢).

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٦٢.

(٢) الأمايلي للصدوق ص ١٥٩.

يريدُ القومَ قتلَهُ فيحجُّهُمَ بما أوجب اللهُ تعالى من حفظِ مقامِ خديجةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ،
وَأَنَّ ظُلْمَهُ عَقُوقٌ لَهَا، واللهُ تعالى قد أوجبَ بَرَّهَا بحفظِ أولادِها!

أما علموا ذلك يا أبا عبد الله؟!!

بل علموا ذلك وأرادوا قتلَكَ لأنك من نسلِ محمدٍ وخديجةَ، وعلي
وفاطمة! ولأنك وليُّ اللهُ وخليفته.

عرفوك يا أبا عبد الله، وعرفوا أمك وأباك، وجدك وجدتك وأخاك..
لكنكم القومَ المحسودون.. وحاسدكم شرُّ خلقِ الله.

نِعَمَ الصَّابِرُونَ أَنْتُمْ، ثَبَّتْنَا اللهُ عَلَى وَلَايَتِكُمْ، وَأَلْهَمْنَا صَبْرًا عَلَى مَا جَرَى
عَلَيْكُمْ، وَعَجَّلَ فِي فَرْجِ وَلِيكُمْ. وَعَظَّمَ أَجُورَنَا بِكُمْ.
والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) التاسع من أيام شهر الله ١٤٤٢ هـ الموافق الموافق ٢٢ - ٤ - ٢٠٢١ م.

٤٣. لِنَامُ.. فِي مَحْضَرِ الزَّهْرَاءِ.. وَالْحَوْرَاءِ!

في ذكرى ولادتها عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا:

رسولُ الله تعالى وآله الأَطْهَارُ هم خَيْرَةُ الله من خلقه، والله تعالى عَلِيمٌ حَكِيمٌ لا يَخْتَارُ عَبَثًا، ولا يَنْتَخِبُ اعتباطًا، لا يرفعُ حَقِيرَ النَّفْسِ، ولا يَضَعُ الشَّرِيفَ العَزِيزَ، سبحانه من إله لا تتناهى عظمته.

لقد كَشَفَ اختيارُ الله تعالى لهذه الثَّلَاةِ الطَّاهِرَةِ أَنَّهُم الصَّفْوَةُ وَأَهْلُ الكَمَالِ، فحازوا عنده عَظِيمَ الدَّرَجَاتِ، ثم تلاهم في الفضل شيعتهم!

يقول عليه السلام: وَاخْتَارَ لَنَا شِيعَةً:

١. يَنْصُرُونَنَا.

٢. وَيَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا.

٣. وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا^(١).

فكان الشيعة أفضل الخلق بعد محمد وآله عليهم السلام، وهم لا يقتصرون على المؤمنين من أصحاب النبي وآله، ولا على أتباعهم المقرين بفضلهم إلى يوم الدين، بل يدخل في شيعتهم أنبياء الله المتقدمون وغيرهم.

(١) الخصال ج ٢ ص ٦٣٥.

يتميّز هؤلاء الشيعة بالنُّصرة لآل محمد، قولاً وفعلاً، والفرح لفرحهم، والحزن لحزنهم، وتبرُّر هذه الصفات الثلاثة جليّة عند الشيعة الأبرار في هذه الأيام المباركة، أيام ولادة عَظِيمَةٍ من عَظِيمَاتِ الأُسرة الطاهرة، ولادة سَيِّدَةٍ جليّة، يحارُّ أكابرُ الشيعة في منزلتها ومكانتها عند الله تعالى.

إنّها عقيلة بني هاشم، وفخر المخدرات، وسليمة المجد والشرف، زينب بنت عليّ عليها السلام وفاطمة عليها السلام.

هي مُناسبةٌ عظيمةٌ تَظْهَرُ فيها:

١. نُصرةُ المؤمنين للعترة الطاهرة، بإحياء أمرهم فيها، وزيارة قبورهم وتعاهدها، وبيان فضائلهم وذكر مناقبهم، سيّما الحوراء زينب عليها السلام.

٢. وفرحُ المحيِّين لآل محمد حيث تطرَّبُ القلوب في ذكرى الولادة الميمونة.

٣. وحُزنٌ مقرونٌ ومزوجٌ بالفرح، لا يُغادرُ محافلَ آل محمدٍ حتى في أعيادهم، فعنهم عليهم السلام: مَا مِنْ عِيدٍ لِلْمُسْلِمِينَ.. إِلَّا وَهُوَ يُجَدِّدُ لآلِ مُحَمَّدٍ فِيهِ حُزْنَاً^(١).

يستذكرُ المؤمنُ في هذه الأيام زينب عليها السلام، ومَن كانت لها قدوةٌ وأسوةٌ ومثالاً: أمُّها الزهراء عليها السلام.

لقد ورثت الحوراء من أمِّها إرثاً عظيماً تنوءُ الجبال عن حمله، سمّت به إلى العلياء، ونالت به معاهد العزِّ والشرف، وضاهت به الأنبياء والمرسلين، حين

(١) الكافي ج ٤ ص ١٧٠.

وَرِثَتْ مِنْ أُمَّهَا (الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ) مِنْ غَيْرِ مُعَلِّمٍ وَلَا مُفَهِّمٍ، سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ!
 حَتَّى قَالَ لَهَا الْإِمَامُ الْمُعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَنْتِ بِحَمْدِ اللَّهِ عَالِمَةٌ غَيْرُ مُعَلَّمَةٍ، فَهَمَّةٌ
 غَيْرُ مُفَهَّمَةٍ! (١).

فَمَا كَانَ لِزَيْنَبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعَلِّمٌ كَسَائِرِ الْخَلْقِ، بَلْ كَانَ تَعْلِيمُهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ
 خَصِيصَةٌ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا وَصَفَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ عَنْ
 يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ (٢).

وَعَنْ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٣).

وَعَنْ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٤).

ثُمَّ عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٥).

هَكَذَا ضَاهَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَةُ الْأَنْبِيَاءِ.. فِي تَلَقِّي عُلُومِ السَّمَاءِ!

فَأَعْطَاهَا اللَّهُ تَعَالَى قُدْرَةً فَائِظَةً عَلَى الْفَهْمِ فَلَا تَحْتَاجُ لِتَفْهِيمٍ مِنْ أَحَدٍ!

فَمَنْ ذَا يُدْرِكُ شَأْنَهَا؟! أَوْ يَعْرِفُ مِقْدَارَ فَضْلِهَا؟!

وَمَا الَّذِي اتَّصَفَتْ بِهِ حَتَّى صَارَتْ مُسْتَحَقَّةً لِهَذَا التَّعْظِيمِ مِنْ إِلَهِ السَّمَاءِ؟!

إِنَّهُ أَمْرٌ يُحِيرُ الْعُقُولَ.. فَنَطْوِي عَنْهُ كَشْحًا، وَنَتَأَمَّلُ فِي مَوَاقِفِهَا، حَيْثُ

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٣٠٥.

(٢) يوسف ٦٨.

(٣) الأنبياء ٧٩.

(٤) الكهف ٦٥.

(٥) النجم ٥.

يستوقفنا موقفٌ تطابَقَ فيه قولها مع قول أمِّها الزَّهراءِ عليها السلام، في واحدٍ من أشدِّ الظروف التي قد تمرُّ بها امرأةٌ في التاريخ.

موقفٌ ظهرَ فيه لؤم الأعداء مع الأم وابتتها، حيث حُكِّمَ يرونَ أنَّ لهم حقَّ قهرِ النساء ولو كنَّ على هذه الدَّرَجَة من العظمة! لا لشيءٍ إلا لدناءةٍ وخساسةٍ فيهم، وحسدٍ وحقْدٍ دفينٍ، وخُبثٍ قلَّ نظيره، يسري منهم إلى حواشيهم ومن حولهم.

الموقف الأول: لئيم.. في محضر الزهراء!

كانت فدكٌ أرضاً تحت يد الزهراء عليها السلام، أنحلها إياها النبي صلى الله عليه وآله، فأراد الغاصبان سلبها، فقالت لهما: أَلَيْسَتْ فِي يَدِي؟ وَفِيهَا وَكَيْلِي؟ وَقَدْ أَكَلْتُ غَلَّتَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَيٌّ؟

قَالَا: بَلَى!

ليس لهما أن يطلبها منها البيّنة، لأن فدك تحت يدها، وهما المدعيان أنها فيءٌ للمسلمين، والبيّنة لازمةٌ عليهما. فأتمت عليها السلام الحجةَ عليها حين قالت:

أَرَأَيْتُمَا إِنْ ادَّعَيْتُمْ مَا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ أَسْأَلُونَنِي الْبَيْتَةَ أَمْ تَسْأَلُونَهُمْ؟

قَالَا: بَلْ نَسْأَلُكَ.

قَالَتْ: فَإِنْ ادَّعَى جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ مَا فِي يَدِي تَسْأَلُونَهُمُ الْبَيْتَةَ أَمْ تَسْأَلُونَنِي؟ فَغَضِبَ عُمَرُ!

هكذا يغضبُ أهلُ الباطلِ من صوتِ الحقِّ المدوّي جلياً، يتلاعب الأوّلان
بدين الله تعالى، ولما يعلو صوتُ الحقِّ بالحجة، يصيرُ الغضبُ سلاحاً، ويتمسكُ
الغاصبان بضرورة البيّنة!

تحتجُ عليهما بما سمعا من كلام النبي ﷺ، من أنّها سيّدة نساء أهل الجنة،
فيقرأ بذلك، فتقول: أفسيدة نساء أهل الجنة تدعي الباطل وتأخذ ما ليس لها؟!
أرايتم لو أنّ أربعة شهدوا عليّ بفاحشة أو رجلاً بسرقة أكنتم مُصدّقين
عليّ؟

فأمّا أبو بكر فسكت، أمّا عمرُ فقال: نعم! ونوقع عليك الحد!

فقالت: كذبت وكُومت!

الا أنّ تقرّ أنّك لست على دين محمد ﷺ!

إنّ الذي يُجيزُ على سيّدة نساء أهل الجنة شهادة أو يُقيمُ عليها حداً للمعون
كافرٍ بما أنزل الله على محمد ﷺ (١).

هكذا يكون اللّثام! كلمة لا يزال صداها يتردّد على مرّ التاريخ: (كذبت
وكُومت)! فالله تعالى يشهد بطهارة الزهراء ؑ! وهنا لئيمٌ مُستعدٌ لإقامة الحدِّ
على أطهر مخلوقة في الوجود! بعدما ردّ كلامها!

إنّ اللّوم خُلِقَ رديءٌ يرجع إلى دناءة الأصل وحقارة النفس! وهو داءٌ لا

دواء له!

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦٧٨.

الموقف الثاني: لئيم.. في محضر الحوراء!

لقد أسست حقارة الأولين لآلاف الظلمات على آل محمد! حتى آل الأمر إلى أن تدخل الحوراء زينب مع الإمام زين العابدين عليه السلام وسائر العلويات إلى مجلس الطاغية يزيد، حيث يقوم رجل شامي إلى يزيد فيقول له:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَبْ لِي هَذِهِ الْجَارِيَّةَ، يَعْنِي فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ!

لقد سلب الأوائل فدكاً والإمامة، وسلب من ورثهم خيام الحسين عليه السلام، أما قمة الحقارة، ففيمن يريد أن يسلب ابنة الحسين نفسها وذاتها! لا قرطها وخلصها!

فلاذت بالحوراء: أَخَذَتْ بِيَثَابٍ عَمَّتْهَا زَيْنَبُ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَتْ: أُوْتِمُّ وَأُسْتَحْدَمُ؟!

لا حول ولا قوة إلا بالله.. كلمة تقطع القلوب.

يكفي تصوّر بنات الوحي وهن على هذه الحالة، لكي تضرب أركان المؤمن، أما الحوراء زينب، فإنها تستحضر موقف أمها الزهراء، حين قالت للثاني: (كَذَبْتَ وَلَوْ مُتَ).

فَقَالَتْ زَيْنَبُ لِلشَّامِيِّ: كَذَبْتَ وَلَوْ مُتَ! وَاللَّهِ مَا ذَاكَ لَكَ وَلَا لَه!

موقف كموقف أمها الطاهرة، يمتلئ عزاً وعظمة وهيبة وجلالة، من امرأة في محضر الأجلاف! وكما غضب عمر من قول أمها، غضب يزيد من قولها، ثم قال: إِنَّ ذَلِكَ لِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفْعَلَ لَفَعَلْتُ!

قَالَتْ زَيْنَبُ: كَلَّا وَاللَّهِ، مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ، الْإِنِّ تَخْرُجُ مِنْ مِلَّتِنَا، وَتَدِينُ

بِغَيْرِ دِينِنَا! (١).

هو مَجْلِسُ أَفْرَعَتٍ فِيهِ الْحَوْرَاءُ زَيْنَبُ عَنْ لِسَانِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا، فليس في جلوس (اللثام) بمحضَرِهَا هَوَانًا بَهَا مِنْ اللَّهِ، بَلْ طَيْشٌ وَجَهْلٌ مِنْهُمْ، وَاسْتِدْرَاجٌ وَإِمْلَاءٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ أَهْلُ الْجُحُودِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ أَظْهَرُوا الْكُفْرَ قَوْلًا وَعَمَلًا.

وليس أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهَا ﷺ فِيهِمْ: فَتِلْكَ قُلُوبٌ قَاسِيَةٌ، وَنُفُوسٌ طَآغِيَةٌ، وَأَجْسَامٌ مَحْشُوءَةٌ بِسَخَطِ اللَّهِ وَلَعْنَةِ الرَّسُولِ، قَدْ عَشَّشَ فِيهَا الشَّيْطَانُ وَفَرَحَ! (٢).

هكذا تجلّى في الحوراء نبض الرسالة المحمدية، وروح الإمامة العلوية، وسمو الحكمة الحسنية، وعبق الشهادة الحسينية.

ها هي وريثة أمها الزهراء، وسليمة الشرف والطهر، تلهج بالحق في محضر اللثام! وقد وصفهم بذلك الحسين ﷺ من قبل حين أبي أن يؤثر: طاعة اللثام على مصارع الكرام! (٣).

سلام الله على الحوراء زينب.. المرأة العظيمة التي تترقق العبرات لذكرها، حتى في أيام ولادتها، فسلام الله عليها آناء الليل وأطراف النهار.

رزقنا الله في الدنيا زيارتها، وفي الآخرة شفاعتها، وحشرنا معها ومع أخويها وأمها وأبيها وجدها. والحمد لله رب العالمين (٤).

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣١٠.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٩.

(٣) اللهوف ص ٩٨.

(٤) الخميس ٤ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ الموافق ٩ - ١٢ - ٢٠٢١ م.

٤٤. زينب.. وريثة الزهراء.. وناعيّة الحسين!

في ذكرى ارتحالها عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قَتَلَ الطَّغَاةَ حُسَيْنًا، فَتَجَبَّرُوا وَتَكَبَّرُوا، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَعْصِيَةٍ، وَأَصْدَرَ
ابنُ زِيَادٍ أَمْرًا بِقَتْلِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، لَمَّا بَرَّأَ الْإِمَامُ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ مِنْ قَتْلِ أَبِيهِ
الْحُسَيْنِ عليه السلام!

استشاط اللّعينُ غَضَبًا، انتصاراً لنفسه الدنيّة، وأراد أن يُفجِعَ زينب عليها السلام
بابن أخيها كما أفجعها به عليها السلام.

استحضرت الحوراء عليها السلام موقف أمّها الزّهراء عليها السلام، حينما أراد القومُ قتلَ
عليّ عليه السلام، ولم يكن له ناصرٌ ولا مُعين، وكان لا بدّ من حفظه لحفظ الإمامة، حينما
كادت تنشرُ شعرها، فتقلّعت حيطان المسجد من أسفلها، وكاد الخسفُ أن يقع
بالمدينة، فأخذت الرعدةُ القوم، وأفرجوا عن عليّ عليه السلام (ثُمَّ أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَنْطَلَقَتْ
بِهِ) ^(١).

والحوراء وريثة الزّهراء: عالمةٌ غير معلّمة، عارفةٌ بزمانها، وإمامة، وإمامها،
تنظر فترى السجّاد عليه السلام دون معين.

لم تقدر الحوراء على الدّفع عن سيّد الشهداء أمام جحافل الكفر والنفاق،
لكنّها لم تعجز عن الوقوف إلى جانب ابن أخيها.

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٨.

فَتَعَلَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ عَمَّتُهُ، وَقَالَتْ: يَا ابْنَ زِيَادٍ، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا!
وَاعْتَنَقَتْهُ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ^(١).

أَيَقْنُ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تُقْتَلَ فِعْلًا لَوْ قُتِلَ الْإِمَامُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ مَوْقِفِهَا
وَصَلَابَتِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْ قَتْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَعَادَتِ الْحَوَارِيُّ التَّارِيخَ، فَحَفِظَتِ الْإِمَامَ
الْمَعْصُومَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا حَفِظَتْ أُمَّهَا أَبَاهَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَفْذِي الْحَسِينِ بِنَفْسِهَا، لَكِنْ لَمْ يُقَدَّرْ أَنْ تَدْفِعَ عَنْهُ الْقَتْلَ،
كَانَتْ تَقُولُ بَعْدَمَا رَأَتْ الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ شَيْبَتِهِ الْمُبَارَكَةِ:

أَنَا الْفِدَاءُ لِمَنْ شَيْبَتُهُ تَقَطَّرُ بِالدَّمَا^(٢).

فَأَوْكَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا حِفْظَ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْإِمَامِ بْنِ الْأَمَامِ.

لَقَدْ بَلَغَتْ بِفِعْلِهَا هَذَا مَكَانَةً فَضَّلَتْ بِهَا عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهَا، فَعَنَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
أَعْرَفُ النَّاسِ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ، وَأَشَدُّهُمْ قَضَاءً لَهَا، أَعْظَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ شَأْنًا^(٣). فَلَمْ
يَكُنْ أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْهَا بِحَقِّ الْمَعْصُومِ، وَلَا أَشَدَّهُمْ قَضَاءً لِحَاجَتِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنْهُ،
فَصَارَتْ أَعْظَمَ شَأْنًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بَعْدَ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ بَعْدَ تَفْضِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَنْ
سِوَاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَهُمْ مَنْ أَعَانَهُمْ عَلَى حَقِّهِمْ^(٤).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١١٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١١٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٢٥.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٤٣.

ولم يكن في ذلك الزمن ولا سواه من أعانهم على حقهم كما فعلت عليهما، بما لا يخفى على القاصي والداني، فصارت أفضل الناس بعدهم، فسلام الله عليها من عظمة لا يدرك شأنها.

زينب ناعية الحسين

ثم صارت ناعية الحسين عليه السلام، وهذه منزلة جليظة عظيمة يحص الله تعالى بها أقرب خلقه إليه.

لقد صارت ناعية له عليه السلام من قبل شهادته، مُذ سمعته يقول: (يا دهرُ أف لك من خليل)، فتكلمت بكلمات عجيبة: **وَإِثْكَلَاهُ! لَيْتَ الْمَوْتُ أَعْدَمَنِي الْحَيَاةَ! الْيَوْمَ مَاتَتْ أُمِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي عَلِيٍّ وَأَخِي الْحَسَنُ**^(١).

هذه كلمات من تعرف حقيقة الإمام، فلا ترى للحياة معنىً دونه.

هي كلمات من ترى في أخيها أمها وأبيها! وفي فقدانه فقدانهم جميعاً.. لقد كانت تتعزى به بعد فقد الأحبة الأطهار، والآن يفتقد أهل الكساء جميعاً بفقد الحسين عليه السلام، وقد كان هذا الموقف قبل شهادته عليه السلام، أما بعدها، فقد خرجت النساء من الخيام إلى مصرع الحسين عليه السلام، وجعلت زينب تنعاه نعيًا مُفجعاً، مخاطبةً جدّها صلى الله عليه وآله: **يَا مُحَمَّدَاهُ، صَلَّى عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، هَذَا الْحُسَيْنُ مُرْمَلٌ بِالِدَّمَاءِ، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ.. هَذَا حُسَيْنٌ مُجْزُوزُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَا**^(٢).

ثم أكملت نعيها لما وصلت المدينة، فأخذت بعضادتي باب مسجد الرسول

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٣.

(٢) اللهوف ص ١٣٣.

ونادت: يَا جَدَّاهُ، إِنِّي نَاعِيَةٌ إِلَيْكَ أَخِي الْحُسَيْنِ! (١).

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف: زينبٌ على باب مسجد الرسول ﷺ، هو مسجدٌ لطالما أظهر الرسول ﷺ مكانة الحسين فيه وفي كلِّ مكان حلَّ فيه، أمّا اليوم فينعى الحسين عليه السلام إليه ﷺ على لسان الحوراء زينب عليها السلام.

الناعية: خيرٌ أختٍ خيرٍ أخ.. عظيمةٌ من عظيّمات الدهر، يعجزُ الزمان أن يجودَ بمثلها: قِمةٌ في الكمال.. عِلْمٌ ومعرفةٌ وحِلْمٌ وطهارةٌ وإخلاصٌ وعظْمةٌ ومجدٌ وشرفٌ لا نظير له.

المنعي: الحسين بن عليّ عليه السلام، خليفة الله في أرضه وسمائه، وحجته على عباده، يدُ الله الباسطة، وعينه التي لا تنام.

المنعي إليه: رسول الله ﷺ، أحبُّ الخلق إليه على الإطلاق، وأقربهم منه، وأرفعهم منزلة، وبابُ كلِّ خيرٍ يرتجى للخلائق.

إنَّه موقفٌ يُقَطِّعُ نياط قلوب المؤمنين، الذين لم يشهدوا الواقعة، ولم يكونوا من الحسين كما كانت منه زينب.. فما حالُ الحوراء عليها السلام!؟

يعجزُ الإنسان عن إدراك ما كانت تُعانيه من آلام، حتى كانت: لَا تَجِفُّ لَهَا عَبْرَةٌ، وَلَا تَفْقُرُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ.

وَكُلَّمَا نَظَرَتْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ تَجَدَّدَ حُزْمُهَا وَزَادَ وَجْدُهَا (٢).

فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٨.

زينب أنموذج الكمال

إِنَّ لِلْكَمَالِ عِلَامَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا، مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ:
 إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قَدْرًا الَّذِي لَا يَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطْرًا^(١).
 ومنها ما ورد: إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ
 وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّهَهُ، مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ^(٢).
 ومنها: أَفْضَلُ النَّاسِ أَعْقَلُ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْعَقْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ..
 الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَحُسْنَ الطَّاعَةِ، وَحُسْنَ الصَّبْرِ^(٣).

وقد جمعت الحوراء كل هذه الخصال وسواها، فكانت أسطورة في الصبر
 على ما أصابها، بعدما شهدت من الفجائع يوم عاشوراء ما تنوء الجبال عن حمله.
 وكانت عارفة بإمام زمانها، ومعرفة إمام الزمان باب معرفة الله حقاً
 وصدقاً.

وكانت أطوع الناس لله تعالى وللإمام عليه السلام، وأعمل الناس بالحق، ولم تر
 للدنيا قيمة فقدّمت نفسها في سبيل حفظ إمامها عليه السلام.

ولقد كشفت مواقفها عن بعض عظيماتها، فمن ذلك لما أراد ابن زياد إذلالها
 بقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتَلَكُمْ وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَكُمْ!
 فَنَسَبَ الْأَطْهَارَ إِلَى الْبِدْعَةِ! وَقَتَلَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى! وقد هلكت الأمة بمثل

(١) الكافي ج ١ ص ١٩.

(٢) نهج البلاغة ص ١٨٢.

(٣) كنز الفوائد ج ١ ص ٥٦.

عقيدة الجبرِ هذه حيث تنسب قبائحها لله تعالى، وبإعراضها عن آل الرسول الأَطهار. فما شَعَلَهَا مُصَابُهَا وَمَنْ مَعَهَا عَنْ تَصْوِيبِ الْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ، فَقَالَتْ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرَّجْسِ تَطْهِيراً، وَإِنَّمَا يَنْتَضِحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

فإن إكرام الله تعالى لهم بالنبي ﷺ وتطهيرهم من الرجس لا يتناسب مع قتل الله تعالى لهم، وإلا لم يكن حكيماً عادلاً.

لكن اللعين ما ارعوى، فعاد وقال: كَيْفَ رَأَيْتِ فَعَلَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتِكَ؟

ههنا يرى ابن زياد نفسه حاكماً، يأمر فيطاع أمره، لكن زينب المفجوعة لم تنكسر رغم الجراح والآلام، ولم يشغلها ما هي فيه عن أن تنقل ابن زياد من محكمة تكون يده العليا فيها بزعمه، إلى محكمة الله تعالى، حيث يقف خصيماً لآل محمد الأَطهار، ويظهر كلُّ حُجَّتِهِ، فقالت: كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَيَّ مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّونَ إِلَيْهِ وَتَحْتَصِمُونَ عِنْدَهُ^(١).

أدرك اللعين بعدما سمع هذا الجواب أن ليس ينفعه في تلك الساعة شيء مما يتجبر به في هذه الدنيا، وأيقن بهوانه على الله تعالى، فاستشاط غضباً لما أسقط في يده. وأبانت ﷺ بكلماتها القصيرة هذه عن حقيقة الاعتقاد بالتوحيد والعدل، ونزَّهت ساحة الربِّ تعالى عن الظلم والعبث واللغو.

وأجلت وأوضحت عن عقيدة النبوة والإمامة، المقرونة بالطهارة والعصمة.

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١١٥.

ثم ختمت بتثبيت المعاد.. حيث تُجزي كل نفسٍ بما كسبت.
كلماتٌ قصيرةٌ من امرأةٍ مفجوعةٍ عجزَ عن جوابها الطاغية ابن زياد، وبانٍ
بها جلالَةٌ قدرها وعظيم شأنها عند ذوي الحجى.

ثم زادَ يزيدُ بنُ معاوية عمّا فعله ابن زياد، حينما صار يضربُ ثانيا الحسين
عليه السلام.. وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا * * خبرٌ جاء ولا وحي نزل..

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ما لبثت عليه السلام أن ردت الكربة، وثنت المقولة، مُذكّرةً بآيات القرآن الكريم،
وقالت له: أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض.. أن بنا من الله هواناً
وعليك منه كرامة.. فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً!

أ نسيت قول الله عز وجل ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ
لأنفسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(١).

فجعلت الصّراع بين الإيمان والكفر جلياً، وتمثّلت القرآن الكريم، حين
توعّد يزيد وأمثاله بالعذاب المهين.

يُريدُ يزيد أن يهين آل محمدٍ بإهانة الرأس الشريف للحسين عليه السلام، لكن
نصيبه سيكون عذاباً مهيناً.

ستأتي ساعةٌ لا ينفع فيها الندم، أخبرت عنها عليه السلام بقولها له:
وَلَتَوَدُّ يَمِينُكَ كَمَا زَعَمْتَ شَلَّتْ بِكَ عَنْ مِرْفَقِهَا وَجُدَّتْ! وَأَحْبَبْتَ أُمَّكَ لَمْ

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٣٠٨.

تَحْمِلُكَ، وَإِيَّاكَ لَمْ تَلِدْ. أَوْ حِينَ تَصِيرُ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَمُخَاصِمِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(١).
 إِنَّ يَدًا تَتَجَرَأُ عَلَى سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقِيقٌ أَنْ تُجَدَّ قَبْلَ جَنَائِهَا.

ولكن.. لأنَّ الدُّنْيَا دَارُ امْتِحَانٍ، خُلِّيَ بَيْنَ يَزِيدَ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ، لَكِنَّ شِدَّةَ
 الْجَزَاءِ وَصَعُوبَةَ الْعَذَابِ سَتَجْعَلُهُ شَدِيدَ النَّدَمِ، يُوَدُّ لَوْ أَنَّ أَحَدًا قَطَعَ لَهُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ
 يَحْرُكَهَا تَجَاهَ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ.

سَيَأْتِي يَوْمُ الْخِصُومَةِ، يَوْمَ يَنْتَصِرُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، وَسَيَكُونُ
 الْخِصْمُ رَسُولُهُ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَسَيُظْهِرُ لِمَنْ الْفَلَجُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.
 إِنَّهَا بَعْضُ مَوَاقِفِ زَيْنَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَمَزَ الْكَمَالَ وَالْعِظَمَةَ وَالْجَلَالَ، تُحَاكِي
 مَوَاقِفَ الْأُسْرَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا.

إِنَّهَا سَيِّدَةٌ شَرِيفَةٌ جَلِيلَةٌ احْتَمَلَتْ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ، فَمَا هَانَتْ وَلَا ضَعُفَتْ
 وَلَا اسْتَكَانَتْ، وَلَا شَغَلَهَا الْمَصَابُ عَنْ أَنْ تَحْمِلَ أَعْظَمَ الْأَعْبَاءِ، وَتَقُومَ بِأَهْمِّ
 الْأَدْوَارِ، فَتَفُوقَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ عَدَاهَا، وَبَلَغَتْ مِنَ الْعِلَاءِ أَرْفَعَهُ، وَمِنَ الشَّرَفِ
 أَعْظَمَهُ، فَسَلَامَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَوْمَ وُلِدَتْ وَيَوْمَ تُوُفِيَتْ وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيَّةً.

السَّلَامُ عَلَى الْخَوْرَاءِ زَيْنَبَ فِي ذِكْرِ ارْتِحَالِهَا.. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا فِي الدُّنْيَا زِيَارَتَهَا،
 وَفِي الْآخِرَةِ شِفَاعَتَهَا وَجَوَارَهَا.

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الْعِظِيمَةُ، يَا وَرِثَةَ الزَّهْرَاءِ، مِنْ جِوَارِ سَمِيَّتِهَا
 الْمَعْصُومَةِ.. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢).

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) الخميس ١٥ رجب ١٤٤٣ هـ الموافق ١٧ - ٢ - ٢٠٢٢ م.

٤٥. فاطمة المعصومة.. قبس من نور الزهراء!

بسم الله الرحمن الرحيم

تُدْفَنُ الزَّهْرَاءُ لَيْلاً.. وَيُعْفَى عَلَيَّ مَوْضِعَ قَبْرِهَا!

تَتَلَهَّفُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ لِزِيَارَتِهَا، لَكِنَّهَا تُزَارُ دُونَ مَرَقِدِ ظَاهِرِهَا!

خَفِيَ قَبْرُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ قَبْرًا لِفَاطِمَةَ الْمُعْصُومَةِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهَا! وَكَانَ الْعُلُقَةُ الْبَاطِنَةُ لَا تَرُوي غَلِيلَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مَرَقِدًا عَظِيمًا وَقَبَّةً شَاخِئَةً لِلْمُعْصُومَةِ، يَقْصِدُونَهَا لِتَبْقَى صِلَةٌ وَصَلٌّ بَيْنَ الْآلِ وَبَيْنَ شَرِيفَاتِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِ، مَعَ مَا لَهْنٌ مِنْ عَظِيمِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ حَقَّ يَلْزُمُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مَعْرِفَتَهُ.

لَقَدْ خَفِيَ قَبْرُ الزَّهْرَاءِ، تَأْصِيلًا لِلْبَرَاءَةِ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

وَوَظَّهَرَ قَبْرَ الْمُعْصُومَةِ، تَأْكِيدًا لِلْوَلَايَةِ وَالْبَرَاءَةِ، فِي زِيَارَتِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ: أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّكُمْ، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ!

هِيَ فَاطِمَةُ الْمُعْصُومَةِ، قَبْسٌ مِنْ نُورِ الزَّهْرَاءِ، سَيِّدَةٌ جَلِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، لَا يُدَانِيهَا فِي الْفَضْلِ أَعْظَمُ الرِّجَالِ.

حَقُّهَا مِنْ حَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَدْ اشْتَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ عَنْ أُخْيَاهَا الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ: مَنْ زَارَهَا عَارِفًا بِحَقِّهَا فَلَهُ الْجَنَّةُ! ^(١).

لَيْسَتْ مَعْرِفَةُ حَقِّهَا مُيسِّرَةً لِكُلِّ أَحَدٍ، فَكَمَا يَحْتَاجُ الْإِقْرَارَ بِوَلَايَةِ أَمِيرِ

(١) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٦٦.

المؤمنين ﷺ إلى طينة طيبة، وإخلاصٍ لله، وتوفيقٍ منه، كذلك لا يُقَرُّ بحقِّها وفضلها إلا شيعة العترة الطاهرة، الذين يعلمون بعضاً من فضل الذرية التي قال عنها تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾^(١).

إنَّ لذرِّيَّةِ النبيِّ كرامةً عند الله تعالى، فكيف بأشرافهم وعظمتهم؟! لقد قال النبي ﷺ: إني شافعٌ يومَ القيامةِ لأربعةِ أصنافٍ، ولو جاءوا بذنوبِ أهلِ الدنيا:

١. رَجُلٌ نَصَرَ ذُرِّيَّتِي.
 ٢. وَرَجُلٌ بَدَلَ مَالِهِ لِذُرِّيَّتِي عِنْدَ الْمَضِيقِ.
 ٣. وَرَجُلٌ أَحَبَّ ذُرِّيَّتِي بِاللِّسَانِ وَبِالْقَلْبِ.
 ٤. وَرَجُلٌ يَسْعَى فِي حَوَائِجِ ذُرِّيَّتِي إِذَا طُرِدُوا أَوْ سُرِدُوا^(٢).
- فمَحَبَّتُهُمْ بِنَفْسِهَا شَرَفٌ يُشَرِّفُهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِ، ينالُ به شفاعَةُ النبيِّ ﷺ أولاً، ثمَّ شفاعَةُ الزهراءِ ﷺ ثانياً، حينما يأتي النداء يومَ الجزاء من الله جلَّ جلاله:
- يَا حَبِيبَتِي وَأَبْنَةَ حَبِيبِي، سَلِّينِي تُعْطِي، وَاشْفَعِي تُشَفِّعِي!
- .. فَتَقُولُ: إلهي وَسَيِّدي: ذُرِّيَّتِي، وَشِيعَتِي، وَشِيعَةَ ذُرِّيَّتِي، وَحُبِّي، وَحُبِّي ذُرِّيَّتِي! فَإِذَا النِّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ: أَيَنْ ذُرِّيَّةُ فَاطِمَةَ وَشِيعَتِهَا وَحُبُّوهَا وَحُبُّو ذُرِّيَّتِهَا؟

فَيَقْبَلُونَ وَقَدْ أَحَاطَ بِهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، فَتَقْدُمُهُمْ فَاطِمَةُ ﷺ حَتَّى تَدْخُلَهُمْ

(١) آل عمران ٣٤.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٦٠.

الجَنَّة^(١).

فَالرَّسُولُ لَا يَشْفَعُ لِمَنْ لَا تَشْفَعُ لَهُ الزَّهْرَاءُ، وَالزَّهْرَاءُ لَا تَشْفَعُ لِمَنْ لَا تَشْفَعُ لَهُ الْمَعْصُومَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ! كَيْفَ ذَلِكَ؟

إِنَّ فَاطِمَةَ الْمَعْصُومَةَ جِزْءٌ مِنْ سِلْسِلَةِ طَهَّرَهَا اللَّهُ وَشَرَّفَهَا، وَأَوْجِبَ لَهَا حَقًّا عَلَى الْخَلْقِ لَا يَقْبَلُ تَبْعِيضَهُ، فَلَيْسَ مِنْ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ تَعَالَى دُونَ الْإِقْرَارِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَبْوَةٍ دُونَ الْإِمَامَةِ، وَلَا إِمَامَةٍ دُونَ الزَّهْرَاءِ، وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ عَامِلٌ لَمْ يَقَرَّ لآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالْفَضْلِ.

ولكن.. يقول قائل: إذا كان المؤمن ينال شفاعَةَ النَّبِيِّ وَالزَّهْرَاءِ، فَمَا حَاجَتَهُ لَشَفَاعَةِ الْمَعْصُومَةِ عَلَيْهَا السَّلَامُ!؟

يَأْتِي الْجَوَابُ عَنْ لِسَانِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلًا حِينَ يُعَلِّمُنَا أَنْ نَقُولَ فِي زِيَارَتِهَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ فَاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! ^(٢).

يشير في هذه الفقرات وسواها إلى الترابط بين هذه السلسلة، وأن إنكار بعضها إنكارٌ للكُلِّ، كآيات الكتاب العزيز، وقد قال تعالى: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ^(٣).

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٦٦.

(٣) البقرة ٨٥.

وَأَلِّ مُحَمَّدٍ أَعْظَمُ آيَاتِ اللَّهِ، فَلَا يُقْبَلُ الْإِيمَانُ بِبَعْضِهِمْ وَإِنْكَارُ الْآخَرِ.
 وَكَأَنَّ طَرِيقَ الزَّهْرَاءِ تَمُرًا بِالْمَعْصُومَةِ، فَهِيَ سِلْسَلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا الرِّضَا
 عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاجَتَنَا لِشَفَاعَةِ الْمَعْصُومَةِ، حِينَ نَقُولُ فِي زِيَارَتِهَا: يَا فَاطِمَةُ اشْفَعِي لِي فِي
 الْجَنَّةِ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَأْنًا مِنَ الشَّانِ!
 أَيُّ شَأْنٍ هُوَ هَذَا؟! يَحَارُّ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي فَهْمِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ (شَأْنًا مِنَ الشَّانِ)،
 وَلَا نَزْعُمُ الْإِحَاطَةَ بِمَا لَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ حَدِيثًا وَاحِدًا فِي فَضْلِهَا يُخَيِّرُ الْعُقُولَ، حَيْثُ
 رَوَى عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ عَنْهَا: وَتَدْخُلُ بِشَفَاعَتِهَا شَيْعَتِي الْجَنَّةَ بِأَجْمَعِهِمْ!^(١)
 إِنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَتَقْدُمُهُمْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 حَتَّى تُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ)، فَكَيْفَ صَارَ دُخُولُهُمْ (بِأَجْمَعِهِمْ) لِلْجَنَّةِ بِشَفَاعَةِ فَاطِمَةَ
 الْمَعْصُومَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!؟

إِنَّهَا قَبَسٌ مِنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ! وَنُورٌ مِنْ نُورِهَا.. وَنُورُهَا نُورُ اللَّهِ تَعَالَى!
 وَقَدْ وَرِثَتْ مِنْهَا الْفَضِيلَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْعِزَّ وَالشَّرَفَ وَالشَّفَاعَةَ، وَمَا لَا يَخْطُرُ
 عَلَى بَالٍ.

هَكَذَا تَكُونُ الشَّفَاعَةُ مُتَسَلِّسَةً عِنْدَ الْأَطْهَارِ، فَيَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُ إِلَى شَفَاعَةِ
 آخَرِهِمْ كَأَوَّلِهِمْ، وَلَا يَشْفَعُ الْأَوَّلُ مَا لَمْ يَشْفَعِ الْآخَرُ!
 فَمَا مِنْ شَفَاعَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا لِلزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَمْ
 تَشْفَعِ سِلْسَلَةُ الْأَطْهَارِ، فَهِيَ شَفَاعَةٌ مُوَحَّدَةٌ لَهُمْ جَمِيعًا، وَمِنْهُمْ السَّيِّدَةُ الْمَعْصُومَةُ،
 مَعَ أَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُصُوصِيَّتَهُ، وَلِلْأَرْبَعَةِ عَشَرَ فَضْلَهُمْ.

أما المعصومة، فقد شرفها الله تعالى، وشرف الأرض التي دُفنت فيها شرفاً عظيماً، فصارت: قُمْ عَشَّ آلِ مُحَمَّدٍ وَمَأْوَى شِيَعَتِهِمْ^(١).

وهي التي ظهر العلم فيها، ثم (يُفِيضُ الْعِلْمُ مِنْهُ إِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)^(٢).

كُلُّ هَذَا نَزَرَ مِنْ بَرَكَاتِ الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، تَظْهَرُ حَيْثُ يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا ذَلِكَ، وَمَا خَفِيَ وَادَّخَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ وَلِمَحْبِيهِمْ أَعْظَمَ.

لَقَدْ خَفِيَتْ عَنَّا سِيرَةُ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ، وَشَخْصِيَّتِهَا، وَغَابَ عَنَّا جُلُّ مَا جَرَى عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَبِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا أَنْ يُظْهَرَ شَيْئاً مِنْ فَضْلِهَا، فَلَا يُعْقَلُ أَنْ تَنَالَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَظِيمَةَ لَوْ لَمْ تَتَمَتَّعْ بِمَا يُؤْهَلُهَا لِذَلِكَ.

إِنَّهَا مِنْ قَوْمٍ زُقُوا الْعِلْمَ زَقاً، أَصْحَابُ نُفُوسٍ قُدْسِيَّةٍ كَسَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نُورِهِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةَ الْمَعْصُومَةَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ فَاطِمَةَ وَخَدِيجَةَ، أَنْتِ شَفِيعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْتِ أَهْلٌ لِلْقَبُولِ، فَمَا رَجَعَ مَنْ جَاوَرَكَ يَوْمَماً خَائِباً، وَمَا رُدَّ نَزِيلُكَ عَنِ بَابِكَ يَوْمَماً، وَنَحْنُ الرَّاجُونَ كَرَمَكُمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُخْتِمَ لِي بِالسَّعَادَةِ، فَلَا تَسْلُبْ مِنِّي مَا أَنَا فِيهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢١٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢١٣.

(٣) من جوار المعصومة، في ذكرى ارتحائها سلام الله عليها، ليلة العاشر من ربيع الثاني ١٤٤٣ هـ.

الموافق ١٥ - ١١ - ٢٠٢١ م.

كتب للمؤلف

كتبٌ للمؤلف من سلسلة (العِلْم والإيمان):

١. عِرْفَانُ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
٢. الإلْحَادُ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.
٣. قَبَسَاتُ الْهُدَى: وَقَفَاتٌ مَعَ فِكْرِ الدُّكْتُورِ شَرِيعَتِي.
٤. تَنْزِيهُهُ التَّشْيِيعُ مِنْ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ.
٥. الثَّالُوثُ وَالْكُتُبُ السَّامِيَّةُ.
٦. الثَّالُوثُ صَلِيبُ الْعَقْلِ.
٧. أَنْوَارُ الْإِمَامَةِ.
٨. الْوَدِيعَةُ الْمَقْهُورَةُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

وأبحاثٌ أخرى قيد الإعداد، يُمكنُ مُتَابَعَتِهَا عبرَ موقعِ (العِلْم والإيمان):

www.aliiman.net

الفهرس التفصلي

مقدمة	٥
الفصل الأول: ولادتها وفضائلها	١١
١ . مجدُ الزهراء .. فوق مجد الأنبياء!	١١
١ . كيف وُلِدَ المسيح؟	١٢
٢ . كيف وُلِدَت الزهراء؟	١٤
٢ . هل فُضِّلَت الزهراء .. على كلِّ الأنبياء؟!	١٧
٣ . وَهَلَّ هلالُ فاطمة!!	٢٢
أولاً: الهلالُ خَلَقَ مطيع!	٢٣
ثانياً: فضلُ شهر الله والعترة!	٢٤
ثالثاً: بنورِ فاطمة أضاءت السماوات والأرض!	٢٥
٤ . فاطمة .. وديعةُ الله!	٢٨
أولاً: آل محمد وديعة الله عند العباد	٣٠
ثانياً: آل محمد وصية الرسول	٣٠
ثالثاً: الأمة الخائنة	٣١
الفرقة الأولى: فرقة الحق	٣١
الفرقة الثانية: الفرقة الخائنة	٣٢

- ٣٣..... رابعاً: آثار الخيانة.....
- ٣٦..... ٥. ولاية الزهراء.. بشارتة السّماء ..
- ٣٧..... المعنى الأول: أنّ تصديق فاطمة تصديق الرّسول والإمام.....
- ٣٨..... المعنى الثاني: أنّ ولاية فاطمة سبيل الطّهارة!.....
- ٤١..... ٦. فاطمة.. وشجرة النبوة!.....
- ٥٠..... ٧. فاطمة.. مريم الكبرى!.....
- ٥١..... أولاً: آيات الله
- ٥٢..... ثانياً: وليد مريم وفاطمة.....
- ٥٤..... ثالثاً: قوم مريم.. وفاطمة
- ٥٩..... ٨. ما السرُّ في (تسبيح فاطمة)؟!.....
- ٥٩..... أولاً: مصدر (تسبيح فاطمة) وكيفيته
- ٦٠..... ثانياً: ثواب (تسبيح فاطمة)
- ٦١..... ١. أنّه أفضلُ تحميدِ الله تعالى!.....
- ٦١..... ٢. أنّه أحبُّ من ألف ركعة!.....
- ٦١..... ٣. مغفرة الذنوب وآلاف الحسنات
- ٦٢..... ثالثاً: ما السرُّ في (تسبيح فاطمة)؟.....
- ٦٢..... الوجه الأول: تخليداً (لذكرِ فاطمة)!.....
- ٦٣..... الوجه الثاني: أنّه وقايةٌ من الشقاء!.....
- ٦٤..... الوجه الثالث: أنّه من علامات الشيعة!.....
- ٦٧..... ٩. (تسبيح فاطمة).. وأُمَّة الكذب!.....
- ٦٩..... الأول: بغضهم لنسبة التسبيح لفاطمة عليها السلام!.....

- ٧٠..... الثاني: إقحام عائشة في الحديث!
- ٧١..... الثالث: التشويش على (تسيح فاطمة)!
- ٧٣..... الرابع: الكذب على النبي، لإبطال التسيح الحققة!
- ٧٥..... ١٠. (تسيح فاطمة).. وشيعتها..
- ٧٥..... الجهة الأولى: إجماع الشيعة على تقديم التكبير
- ٧٨..... الجهة الثانية: الترتيب المعروف عند الشيعة
- ٧٩..... الجهة الثالثة: هل اختلف الشيعة؟
- ٨٠..... الرواية الأولى
- ٨٥..... الرواية الثانية
- ٩٠..... النتيجة والثمره
- ٩٢..... ١١. فرحة الزهراء.. عيدٌ وسُرورٌ لآل الرسول!
- ٩٣..... ١. يَوْمُ نَزْعِ السَّوَادِ!
- ٩٤..... ٢. يَوْمُ عِيدِ اللَّهِ الْأَكْبَرِ!
- ٩٦..... ٣. يَوْمُ الْعَدِيرِ الثَّانِي!
- ٩٩..... الفصل الثاني: ظلامتها وقهرها
- ٩٩..... ١٢. نارٌ.. في الدار.. تسفَعُ وجه الزهراء!!
- ١٠٥..... ١٣. شياطينٌ.. على باب الزهراء!
- ١١١..... ١٤. إذا سمَّيتها فاطمة.. فلا تضرها!
- ١١٥..... ١٥. لمْ تسامح الزهراء؟!!

- الأمر الأوّل: أن العفو ليس ممدوحاً دائماً..... ١١٦
- الأمر الثاني: أن الله أولى بالعفو لو كان راجحاً..... ١١٧
- الأمر الثالث: أن النبي والإمام أولى بالعفو لو كان راجحاً..... ١١٧
- الأمر الرابع: أنها ما آمنّا بالله طرفة عين..... ١١٨
- الأمر الخامس: أئمتها من الأئمة الدعاة إلى النار..... ١١٨
١٦. فَصَعِقَ عَلِيٌّ... حَتَّى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ!!..... ١٢١
- الحدث الأول: الاجتماع العظيم..... ١٢٢
- الحدث الثاني: حال النبي (ص)!..... ١٢٣
- الحدث الثالث: فَصَعِقَ عَلِيٌّ!!..... ١٢٤
١٧. واستخفّت قريشٌ.. بعليّ والزهراء!..... ١٢٧
١٨. آداب (اقتحام الأبواب)!! وافطمته..... ١٣٢
- النهج الأول: نهج أهل الإيمان..... ١٣٢
- النهج الثاني: نهج أهل الكفر والنفاق..... ١٣٣
- الفئة الأولى: بنو إسرائيل..... ١٣٣
- الفئة الثانية: قوم لوط..... ١٣٥
١٩. أربعون يوماً.. بعد الرّسول!..... ١٣٨
٢٠. الزهراء.. والعداوة في الله!..... ١٤٤
٢١. الزّهراء.. وحكمُ الجاهليّة!..... ١٥٠
٢٢. سُحِقاً سُحِقاً.. لِمَن ظَلَمَ الزّهراء!..... ١٥٦
- أولاً: ماذا بدّل القوم؟..... ١٥٦

- ١٥٩..... ثانياً: مَنْ هم المُبدّلون؟
- ١٦٠..... ثالثاً: ما هو عذاب المُبدّلين؟
- ١٦٢..... ٢٣. عُمَرُ.. قَاتِلُ الرَّسُولِ.. وَالْبَضْعَةُ!
- ١٦٨..... ٢٤. لَعَنَ اللهُ.. مَنْ رَوَّعَ فَاطِمَةَ!
- ١٧٥..... ٢٥. بَابُ فَاطِمَةَ.. حِجَابِ اللهِ!
- ١٨٢..... ٢٦. فَاطِمَةَ.. رُكْنُ عَلِيٍّ.. الْمَهْدُودِ!
- ١٨٢..... أولاً: مُحَمَّدٌ وَفَاطِمَةُ رَكْنَا عَلِيٍّ!
- ١٨٤..... ثانياً: الوصية بالحسين
- ١٨٥..... ثالثاً: أيوصى عليٌّ بالإحسان.. لفاطمة؟!
- ١٩٠..... ٢٧. السلام على الصّلع.. المدقوق!
- ١٩١..... ١. ضَرَبُ فَاطِمَةَ.
- ١٩٣..... ٢. كَسْرُ ضِلْعِهَا.
- ١٩٧..... ٢٨. عَلِيٌّ.. وَقَبْرُ فَاطِمَةَ.
- ٢٠٣..... ٢٩. وَجَحَدُوا الرَّسُولَ.. بِقَتْلِ الْبَتُولِ!
- ٢٠٥..... أسوأ محضر!
- ٢٠٧..... ١. أَنَّهُمْ أَضْمَرُوا الشَّرَّ لِرَسُولِ اللهِ!
- ٢٠٨..... ٢. أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْمَلِكَ بِاسْمِ الرِّسَالَةِ!
- ٢٠٩..... ٣. أَنَّهُمْ أَرَادُوا اسْتِدْلَالَ رَسُولِ اللهِ!

- ٢١٣..... الفصل الثالث: موقفها يوم الدار
- ٢١٣..... ٣٠. لو نَشَرَت فاطمة شَعْرَهَا! ..
- ٢١٤..... أولاً: لماذا خرجت الزهراء؟ ..
- ٢١٦..... ثانياً: كيف خرجت الزهراء؟ ..
- ٢١٦..... الإشارة الأولى: قميص الرسول (ص) ..
- ٢١٧..... الإشارة الثانية: آخِذَةَ بِيَدِي ابْنَيْهَا! ..
- ٢١٨..... ثالثاً: ماذا جرى بعد خروجها؟ ..
- ٢٢٢..... ٣١. يوم أرادوا.. إحراق فاطمة! ..
- ٢٣١..... ٣٢. أين عليٌّ.. يوم الدَّار؟! ..
- ٢٣٢..... ما السَّرُّ في ذلك؟! ..
- ٢٣٤..... أين عليٌّ.. يوم الدار؟! ..
- ٢٣٩..... ٣٣. يوم لم يؤذَن لعليٍّ.. بِحَصْدِ الرُّؤُوسِ! ..
- ٢٣٩..... الصورة الأولى: حَمَلُ السَّيْفِ بِالْأَسْبَابِ
- ٢٤٠..... ١. حفظ الأسرة الطاهرة.....
- ٢٤١..... ٢. انتفاء القدرة الظاهرة.....
- ٢٤٤..... ٣. المصلحة العامة.....
- ٢٤٥..... ألا يجب الدفاع عن النفس؟ ..
- ٢٤٦..... ألا يجب الدَّفَاعُ عن الأسرة؟! ..
- ٢٤٧..... الصورة الثانية: حَمَلُ السَّيْفِ بِالْإِعْجَازِ
- ٢٥٠..... ٣٤. ليس عليٌّ (ع).. كمحمد (ص)! ..
- ٢٥٠..... أولاً: التَّقِيَّةُ بين النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ ..

- ٢٥١..... ثانياً: اختلاف الظرف بين النبي والإمام.....
- ٢٥٦..... ٣٥. ابن السوداء.. يُخْرِجُ الزَّهْرَاءَ!
- ٢٦٣..... الفصل الرابع: مكانتها يوم القيامة
- ٢٦٣..... ٣٦. أوَّل حاكمٍ يومِ القيامةِ.. المحسنُ بنُ عليٍّ!
- ٢٦٩..... ٣٧. نساءٌ خلف الزهراء.. في يوم الجزاء.....
- ٢٧٤..... ٣٨. يومٌ يُعرَفُ قَدْرُ فاطمة!
- ٢٨٠..... ٣٩. يومٌ يَوَدُّ الحَلْقُ.. لو كانوا فاطميِّين!
- ٢٨٦..... ٤٠. الإنتقام.. لفاطمة!
- ٢٩٣..... ٤١. الله يعزي الزَّهْرَاءَ.. لما جرى في عاشوراء!!
- ٢٩٩..... الفصل الخامس: عظيماُ التاريخ
- ٢٩٩..... ٤٢. خديجة.. الأُمُّ المحسودة!
- ٣٠٦..... ٤٣. لِيثامٌ.. في محضر الزَّهْرَاءِ.. والحوراء!
- ٣٠٩..... الموقف الأول: لثيمٌ.. في محضر الزَّهْرَاءِ!
- ٣١١..... الموقف الثاني: لثيمٌ.. في محضر الحوراء!
- ٣١٣..... ٤٤. زينب.. وريثة الزهراء.. وناعية الحسين!
- ٣١٥..... زينب ناعية الحسين
- ٣١٧..... زينب أنموذج الكمال.....

- ٣٢١ ٤٥. فاطمة المعصومة.. قَبَسُ من نُورِ الزَّهراءِ!
- ٣٢٦ كَتَبُ للمؤلف
- ٣٢٧ الفهرس التفصيلي
- ٣٣٥ الفهرس الإجمالي

الفهرس الإجمالي

٥	مقدمة
١١	الفصل الأول: ولادتها وفضائلها
٩٩	الفصل الثاني: ظلامتها وقهرها
٢١٣	الفصل الثالث: موقفها يوم الدار
٢٦٣	الفصل الرابع: مكانتها يوم القيامة
٢٩٩	الفصل الخامس: عظيماتُ التاريخ
٣٢٦	كتبٌ للمؤلف
٣٢٧	الفهرس التفصيلي
٣٣٥	الفهرس الإجمالي

في هذا الكتاب..

خمسة وأربعون مقالاً وبحثاً حول السيدة الزهراء عليها السلام..
حول ولادتها.. وفضلها.. وظلامتها.. وقهرها..
حول موقفها يوم الدار.. وموقف بعليها..
حول مكانتها يوم القيامة.. وعظيم منزلتها..
نضعها بين يدي القراء الكرام، إحياء لأمرها عليها السلام..
بقدرنا الضئيل.. لا بقدرها الجليل..
فذاك شأن لا مطمع لنا ولا للخلائق فيه..

عاشق

